اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمة الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الإعلام " بغداد "

يصدرها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي
جامعة الدول العربية :
الرباط (المملكة المغربية)



مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل لأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد الثامن

الجزء الثالث

يصدرها

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جامعة الدول العربية

(الرباط - المملكة المغربية)

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمة الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الاعلام " بغداد "

لادري هل احمد نفسي ام الحاها على القيام بترجمة هذا المعجم . اذ لم اكد اخطو فى شعابه بضع خطوات ، حتى قامت بوجهي عقبات لا حصر لها ، فمن لغات اجنبية قد يبلغ تعدادها العشرين ، غربية وشرقية ، قديمة وحديثة ... والحديثة : كالفرنسية والهولندية والالمانية والاسبانية ، مكتوبة بلغة قديمة، والقديمة مكتوبة بلغة اقدم ، كاللاتينية واليونانية .وهناك الآرامية والسريانية والعبرانية والقبطية والحبشية . وثمة كلمة يقول المؤلف انها كلدانية فى حين ظهر بعدئذ انها عبرية . وهو يستطرد استطرادات عجيبة ، يهواها الطبع العربي ، ولا يستنكرها الطبع الجرماني ، ولكن السليقة اللاتينية تعافها وتستنكرها. ولو ان دوزي كان يعمل تحت اشراف استاذ فرنسي لنسف كتابه نسفا؛ ودوزي لا يكتفي بالاستطراد، بل يفسر بعض النصوص تفسيرا خاطئا ، ويبني على ذلك التفسير حكما خاطئا . ويوصي باضافة التصريف الفلاني الذي ابتدعه الى المعاجم العربية والتصريف الآخر الى القواميس الفارسية . وهو يدحرج الحوادث التاريخية دحرجة سريعة فى تعليقاته ، حتى يكاد ينسيك الموضوع الاصلي .

وشهدته مرة يضيف ثلثين من التعليقات الى الثلث الثالث وهو النص ، دون ضرورة ملحة . ويضرب صفحا عن ذكر المصادر احيانا : فهناك اسم بدون مؤلفات ومؤلفات بدون مؤلف .

لم اذكر هذه المآخذ لاقدح فى قيمة الكاتب وخطر شانه ، لاننا يجب ان نتذكر ان المؤلف الفه بين الاعوام 1841 – 1843 ، فى قلة من المصادر التي لم يطبع بعضها حتى يومنا هذا .

والكتاب ليس كله ملابس بل فيه تاريخ وادب وفولكلور .

وهو يتناول الازياء فى جميع الاقطار العربية ،شرقيها وغربيها . ولكن هذه المواد تخص اكثر ما تخص الاندلس واقطار المغرب العربي ومصر .

واذا اردنا ان نقع على سائر اسماء الملابس العربية ، فاننا سنصاب بخيبة امل . ولكننا نرى طريقة للبحث ونماذج مدروسة ومحاولة جليلة يؤسفني ان اقول ان عربيا واحدا لم يحاول مثلها .

والانكى من ذلك ان الكتاب ظل اكثر من قرن قابعا فى نصه الاول .

وقد اهتديت الى الكتاب بحكم تعييني مدير النفنون والثقافة الشعبية فى وزارة الاعلام العراقية ، اذ وجدت من الخير نقله الى لغة الضاد ، لانه مصدرعالمي يراجع فى فرنسا وانكلترا ومصر ، واخيرا فى العراق . ولاننا نعاين فى العالم كله فورة فولكلورية جامحة .

اما الطريقة التى سلكتها فهي الاحتفاظ بأسلوب المؤلف ، لانني أرجو من القاريء ان يقرأ دوزي كما كان يشاء دوزي أن تقرأه . واما النصوص فقد حققتها ما وسعني التحقيق ، الا ان بعضها مسطرا بالعامية ، فكان لا مناص من ابقاء الوضع على حاله . ولكنني من جهة اخرى صححت رواية الابيات الواردة فى الكتاب دون الاشارة الى هذا التصحيح ،لانني لا اريد ان أتحذلق على حساب دوزي . على انني قد أشير الى التصويب فى بعض الاحيان ، على سبيل التنبيه على وجود هفوات .

وختاما ، لا بد لي من التوجه بالاعتراف بالجميل الى الذين شاركوا فى مساعدتي ولو بكلمات معدودات وعلى راسهم المستشرق الفرنسي الاب جان فييه ــ الذي لا أستطيع ان أفيه حقه من الشكر ــ والدكتور حسين علي محفوظ والاستاذ عبد الحميد العلوجي والاستاذ هاشم الطعان .

المقدمة

مهما تكن الخطوات ، التي خطاها الادب العربي فى مجال التقدم والرقي ، واسعة فى هذه الازمنة الاخيرة ، فليس بمقدورنا ان ننكر ان علم فقه اللغة لم يقطع نفس الاشواط التي قطعتها العلوم التاريخية والجغرافية . بل اراننا مرغمين على الاعتراف بأننا ، فى حلبة علوم اللغة ، لم نندفع الى أبعد مما اندفع اليه الباحثون فى عهد كوليوس Golius

فالحقيقة اننا ما زلنا فى الحالة الراهنة للعلم ، غير قادرين على التفكير تفكيرا جديا بوضع معجم عربي شامل . فان مكتبات اوربا وآسيا وافريقيا ما تبرح تطوي اضالعها على الآلاف من المجلدات المخطوطة، التي ما انفكت حتى عناوينها مجهولة لدينا . ذلك لان مخطوطات اعرق الكتب كلاسيكية فى الادب العربي لم تتناولها يد التحقيق والتدقيق ، بالعناية اللازمة، حتى يومنا هذا ، ولم يعارض بعضها ببعض .

وان القيام بطبع خمسين مؤلفا من الطراز الاول لا يعد عملا كبيرا ، اذا وازناه بالعدد الهائل من الكتب الذي ينتظر بلهفة نشره على الكافة .

وانني اذ اتحدث عن معجم عربي اعني بذلك قاموسا ياخذ على عاتقه ــ الى جانب اهتمامه ، بكل ما لديه من طاقة ، بالمعنى الدقيق الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشاتها ــ مهمة جعلنا نعلم بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقتها كل كلمة فى الجزيرة العربية وفى فارس وفى سورية وفى افريقيا، الخ . . . واخيرا نناشد هذا القاموس ان يكشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات فى جميع الاقطار التي تألفت منها هذه الامبراطورية العربية المترامية الاطراف ، التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا .

وانني اتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي انتظر منه ان يستند على الدوام الى نصوص المؤلفين ، فيخط لنا ، اذا صح التعبير ، تاريخ كل كلمة ، وقصة كل جملة . هذا المعجم المفقود الذي يميز ، بوضوح وجلاء ، المعاني الخاصة لكل كلمة فى قطر معين من الاقطار العربية ، من المعاني التي كانت تعرب عنها الكلمة فى قطر معين آخر : القاموس الذي يجب ان يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء ، من معناها الخاص لدى كتاب النثر .

وختاما ، انني أحلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العامية والفنية ، المشروحة شرحا منهجيا. ولكنني أكرر القول ان الازمنة التي يستطاع ان يؤلف خلالها هذا المعجم ما انفكت بعيدة كل البعد عنا . وبوسعنا ونحن نرقب هذا العهد المرموق ، ان ندفع عجلة علوم اللغة الى الامام بثلاث طرق . الطريقة الاولى تنحصر فى تدبيج تعليقات وملاحظات من صميم فقه اللغة على هيئة شرح كتاب لمؤلف من المؤلفين ، أو باضافة ملحق بشرح الكلمات التي أوردها المؤلف فى كتابه وذلك حين يقدر نشر ذلك الكتاب . وهذا

القاموس الصغير هو بمثابة تكملة للمعجم موضوع البحث . وهذا المنهج هو الوسيلة المتبعة بصورة عامة حتى هذا اليوم . اما الطريقة الثانية فهي جمع الكلمات التي تؤلف صنفا من الاصناف. واما الطريقة الثالثة فهي الاقتصار على لغة قرن واحد او على لغة قطر واحد . ولكن هذه الطريقة لم تتبع حتى هذه اللحظة.

لن اتوقف هنا لمناقشة مختلف المنافع التي تجنيها كل طريقة من هذه الطرق ، ولكنني سأحملكم فقط على ملاحظة ان الطريقة الثانية ، الطريقة التي كنت اول من اتبعها في هذا الكتاب انصياعا لبرنامج المعهد ، هي التي تنفحنا بفوائد حقيقية ، لا سيما اذا كانت الكلمات المطلوب شرحها تتعلق بالاخلاق والعادات .

فاسمحوا لي اذن ان اقول كلمة واحدة عن الخطة التي رايت من المحتم علي اتباعها .

لقد آمنت بأهمية تحقيق الوقائع في عمل له هذه الطبيعة ، وان اقرب بين شهادات واستشهادات المؤلفين ، وان أعارض بعضهم ببعض . ولم اجرؤ على المجازفة وركوب متن الشطط في متاهات من التخمينات الاشتقاقية ، التي لو عرضها شخص آخر غيري لبدت مقبولة رائعة بارعة ، ولكن هذه الظنون لن تاتي بنتيجة يطمأن اليها مطلقا .

ان المخطوطات التي ذكرتها تعود ملكيتها الى مكتبة ليدن . وقد اخذت على عاتقي تنبيه القراء دوما حين تؤلف هذه المخطوطات شطرا من مكتبات اخرى . وارى لزاما علي ان الفت الانظار الى انني حرصت كل الحرص بنشري نصوصا لمؤلفين من العصر الوسيط للادب العربي على ايرادها كما كانت مرسومة في المخطوطات . وان قواعد النحو التي اتبعها هؤلاء المؤلفون تشذ بعيدا عن القواعد التي نحاها نحاة البصرة ونحاة الكوفة ، فوجب علي الا امسخ المؤلفين باعارتهم نحوا لم ينحوه .

لقد شملني دي كايانكوس De Gayangos بلطفه فأعارني بضع مخطوطات من مخطوطاته . وسترون على وجه التخصيص ان النسخة النفيسة لرحلة ابن بطوطة ، التي يقتنيها هذا العلامة ، هي التي افادتني افادة بالغة لا مثيل لها . وان هذا السفر هو كتاب من النسق الرفيع من عدة وجوه . اما المختصر المترجم من قبل لي Lee ، فانه لا يهبنا الا فكرة ضعيفة كل الضعف عن اهمية الكتاب الاصلي .

فأرجو من دي كايانكوس أن يأذن لي بتقديم فروض الحمد والامتنان اليه ، وأزجاء عواطف الاعتراف بالجميل لشخصه الكريم على الاحسان الذي خصني به .

وانني لاجسر على ان اؤمل العفو عن بعض الهفوات التي وقعت في لغة هذا الكتاب الفرنسية ، اذ يكاد يكون امرا مستحيلا على اجنبي مثلي ان يتجنبها . وربما كان أهون علي أن اكتب الكتاب باللغة اللاتينية ، ولكن الموضوع يتعارض وهذه اللغة ، ذلك لانني لو استعملت هذا اللسان لارغمت ارغاما على تفسير الكلمات العربية بتعابير مستعارة من اللغة الرومانية العتيقة ، التي لم تعد مدلولاتها معروفة لدينا بصورة دائمية .

المدخل

في العهود الاسلامية الاولى ، يوم كان الناس جميعهم على وجه التقريب بداة ، وكانت المدن صغيرة ضئيلة الشأن ، كاد فن الخياطة يكون مجهولا ، فقد كانت الشملات البسيطة ، المنسوجة قطعة واحدة ، كافية لضمان وقاية المشتملين بها من صبارة القر وحمارة القيظ . وليس بوسعنا ان نتصور استطاعة خياطة الالبسة وفق طراز انيق ، وكان الحائك وحده يقوم بهذه المهمة . ولكن العرب باستيلائهم الخاطف على شطر كبير من آسيا ومن افريقيا ومن اوربا ، وجدوا انفسهم مرتبطين بعلاقات وثيقة مع شعوب تلك المناطق التي قهروها واستولوا على ديارها ، في حين ان هذه الشعوب كانت تفوق العرب الفاتحين مدنية وحضارة ، فلم يكن بد للعرب من هجر حياتهم البدوية شيئا فشيئا ، والشروع في الاستقرار الدائمي في

المدن (1) فادركوا يومذاك ان فى مقدورهم عمل ثياب أشد اناقة من الشملات التي كانوا يلتفون بها ، فاستعاروا طرزا كثيرة من طروز الشعوب المغلوبة على أمرها معهم . ولما كان الترف والبذخ والنعيم قد خطا كل منها خطوات واسعة فى أبهة الفرس ، فان بلاط بغداد قد طفق يتفاقم لديه شعور تأثره الذي وقع تحت سطوته من احتكاكه واختلاطه بجيرانه ورعاياه . وكان لانتعاش الحضارة وازدهارها وتقدم التجارة وانتشارها ان انشئت مصانع من كل نوع ، كانت تنسج فيها الاقمشة الحريرية الفاخرة وطرائف الديباج التي لا سبيل الى حصرها ، وقد احرزت بغداد العديد منها.

اما فى الغرب فكانت الحالة على النقيض من ذلك ، فان العرب قد اختلطوا بالمغاربة والبربر. وكانت هذه الشعوب غليظة مخشوشنة . وكانت أوطأ من قاهريها فى سلم الحضارة ، فكان الترف مجهولا لديها ، وحين اختلط العرب بهذه الاقوام ، استعار هؤلاء من العرب لباسهم الخشن ولكن بصورة جزئية.

أما فى اسبانيا ، فان العرب ، وعلى وجه التخصيص خلال فترة امبراطوريتهم الاخيرة ، قد استعاروا الشطر الكبير من ازياء الفرسان النصارى. ويؤكد ابن سعيد (2) بصورة قاطعة ان اقبية العرب فى اسبانية كانت تماثل اقبية المسيحيين . ويقول ابن الخطيب (3) فى معرض حديثه عن محمد بن سعد ابن محمد بن احمد بن مردنيش الذي توفى فى النصف الثاني من القرن السادس الهجري ما يلي : « وآثر زي النصارى من الملابس والسلاح واللجم والسروج » .

ونتيجة لاختلاط العرب بالاجانب ، كان هناك تباين كبير على الدوام بين ازياء الشعوب المختلفة التي كانت تتألف منها الامبراطورية العربية المترامية الاطراف : وبوسعنا ان نميز بسهولة بين عربي من الشرق وبين عربي من الغرب . ويقول ابن اياس (4) وهو يحدثنا عن المؤرخ المشهور ابن خلدون : « واستقر لما تولى القضاء وهو بزي المغاربة فعد ذلك من النوادر » . ويقول النويري (5) وهو يخبرنا عن وفاة الملك القاهر بهاء الدين ابي محمد عبد الملك بن الملك المعظم : « وكان يلبس ملابس العرب ويتزيا بزيهم ويركب كمركبهم ويتخلق بأخلاقهم فى كثير من افعاله » . وحتى أولئك الذين كانوا يقطنون فى المدن متقاربين بعضهم من بعض ، كانوا يرتدون الازياء المختلفة . ويوم حظر فيليب الثاني على مغاربة اسبانيا ارتداء زيهم القومي عبر احدهم المسمى مارمول فرانسيسكو مؤنس مولاي Francisco Nuñez Muley عن هذه الحالة بالكلمات التالية : « ان ازياء نسائنا

---

(1) راجع ابن خلدون (المقدمة ، مخ . — 1350 (أ)، ص 158 و 159 الفصل الخاص فى صناعة الحياكة والخياطة) : « اعلم ان المعتدلين من البشر فى معنى الانسانية لا بد لهم من الفكر فى الدفء كالفكر فى السكن . ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد . ولا بد لذلك من الحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا ، وهو النسج والحياكة . فان كانوا بادية اقتصروا عليه وان كانوا الى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعا يقدرون منها ثوبا على البدن بشكله وتعدد اعضائه واختلاف نواحيها . ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصائل حتى تصير ثوبا واحدا على البدن ويلبسونها .
والصناعة المحصلة لهذه الملاءمة هي الخياطة. وهاتان الصناعتان ضروريتان فى العمران ، لما يحتاج اليه البشر من الرفه . فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن اسداء فى الطول والحاما فى العرض واحكاما لذلك النسيج بالالتحام الشديد . فيتم منها قطع مقدرة : فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس . والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد ،تفصل أولا بالمقراض قطعا مناسبة للاعضاء البدنية ، ثم تلحم تلك القطع بالحياكة المحكمة وصلا او حبكا او تنبيتا او تفتيحا على حسب نوع الصناعة . وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما ان اهل البدو يستغنون عنها، وانما يشتملون الاثواب اشتمالا. وانما تفتيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها . وتفهم سر هذا فى سر تحريم المخيط فى الحج، لما ان مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى » .

(2) ابن سعيد لدى المقري (نفح الطيب ، مخدي غوتا ، ص 45) .

(3) الاحاطة ، مخدى كاياتكوس ، ص 186 .

(4) تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 202 .

(5) النويري تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 270 ، حوادث عام 676 .

ليست أزياء مغربية . ان أزياءهن هي أزياء قشتالة ».

وفى الاقطار الاخرى كانت الشعوب الاسلامية تتباين فى غمائمها وثيابها واحذيتها ، فهل بوسع أحد ان ينكر ان ازياء النساء المغربيات الافريقيات وأزياء النساء التركيات تختلف كل الاختلاف عن الازياء التى ترتديها نساؤنا فى غرناطة؟ كما ان أزياء الرجال تختلف كذلك، ذلك لانازياء فاس ليستشبيهة بأزياءتلمسان، وكذلك أزياء تونس ليست، مثل أزياء مراكش ، وكذلك تنطبق الحالة على تركيا والامبراطوريات الاخرى (6) .

وبالاضافة الى ذلك فهناك بون شاسع بين أزياء الطبقات المختلفة التي يتألف منها المجتمع الاسلامي . ويبدو الاختلاف اشد ما يبدو فى شكل العمامة التي تميز النبيل عن ابن الشعب والجندي، هذه العمامة التي قد يعرف الناس عن طريقها المركز الذي يشغله الرجل الذي يصادفونه (7) . ولكن يجب علينا الا نلجأ الى تطبيق هذه الطريقة بصورة عامة الا على سكان المدن ، لان البدو يكادون يحتفظون بالزي العربي القديم وهم يراعون أوامر الدين ونواهيه اكثر مما يراعيها سكان المدن .

وقد نطق الرسول صلى الله عليه وسلم بالعديد من الاحكام فى سبيل منع تفشي الازياء المترفة الباذخة بين ظهراني اشياعه . واستنبط فقهاء الشريعة الاسلامية من هذه الاحاديث نظاما يضم التعاليم والنصوص الخاصة بالازياء ، وهي التي سنعرضها مقتفين آثار خطى المؤلفات فى الفقه الحنفي والمالكي .

يقول صاحب ملتقى الابحر (8) : ان الملابس تستعمل فى ستر العورة ، وفى اتقاء غائلة الحر وصولة البرد (9) والخير كل الخير ان تكون الالبسة مصنوعة من القطن او من الكتان ، لا هي زاهية باهية للغاية ولا هي اسمال بالية الى ما لا نهاية . ولا يحرم التزين اذا كانت الغاية منه اظهار نعم الله وآلائه التي من بها علينا ، ولكن يحرم ابداء الزينة اذا كان الباعث على اراءتها منبعه الزهو والخيلاء والكبرياء . وان التواضع فى هيئة اللباس هو فى غالب الاحيان موصي به من قبل اعظم حكماء شبه جزيرة العرب وفارس . فيقول النويري مثلا (10) وهو يكيل المديح لصلاح الدين : « وكان لا يلبس الا ما يحل كالكتان والقطن والصوف » . ويقول المؤلف نفسه فى موضع آخر (11) ، بمناسبة وفاة الامير جمال الدين آيدغدي العزيز : « وكان مقتصدا على ملبسه. يلبس ثياب القطن من الهندي والبعلبكي وغيره مما يباح ولا يكره لبسه » .

وارتداء الحرير حلال على النساء ، ولكن هذا القماش محرم على الرجال . فلا يحل لهؤلاء سوى ان يكون لهم فى ملابسهم حاشية من الحرير . هذه الحاشية التي يجب الاتتجاوز الا ربع اصابع عرضا (12) او يجب الاتتجاوز الاصبعين (13) كما يقول الآخرون.

ويرى المالكيون ان هذه الحاشية يجب ان تكون اقل من اصبع عرضا (14) .

وقد تحدث الرسول فى كلمات على درجة كبيرة من العنف والشدة حول الالبسة الحريرية . فقال : « من لبس الحرير فى الدنيا فلن يلبسه فى الآخرة (15)

(6) مارمول ، ثورة الموريسكيين (المتنصرين) ، ص 38 ، مج 3 .
(7) انظر كوتوفيك ، رحلة الى أورشليم ، ص 486 .وراجع بارثي (رحلة عبر صقلية والشرق ، ج 2 ، ص 74 ، 75 .
(8) مخ 871 ، ص 106 ، مخ 1081 ، ص 211 ، مخ 1211 ، ص 164 .
(9) راجع مرجي أوسون Mouradgea d'Ohsson (ج2،ص 130). السحنةالعامة للامبراطورية العثمانية
(10) تاريخ مصر ، مخ 2 ك (2) ص 254 .
(11) المرجع السابق ، مخ 2 ، ص 180 .
(12) ويحل للنساء لبس الحرير ولا يحل للرجال الا قدر اربع اصابع كالعلم . (ملتقى الابحر) .
(13) صحيح البخاري ، ج 2 مخ 356 ، ص 169
(14) ابن ابي زيد ، الرسالة ، مع شرح أبي الحسن علي الشاذلي ، مخ 1193 ، ص 746 .
(15) صحيح البخاري ، ج 2 ، مخ ، ص 169 .

وقال كذلك : « انما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة » (16) .

ويجيز الحنفيون للرجال ارتداء الالبسة التي لحمتها من الحرير وسداها من نسيج آخر . وعلى النقيض من ذلك لا يجوز ارتداء الاقمشة التي سداها من الحرير ولحمتها من نسيج آخر الا في أوقات الحروب .

أما المالكيون فلم يسد الاتفاق بين صفوفهم ، فهم مختلفون بشأن جواز ارتداء القماش المسمى (خزا) وهو النسيج الذي سداه من الحرير ولحمته من الصوف ولكن الكثرة الكاثرة من (دكاترة المسلمين) فقهاء المسلمين تشجبه وتحرمه (17) .

أما الالوان المستحبة الى أبعد الحدود فاللون الابيض واللون الاسود (18) . يستحب اللون الابيض لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يحب الثياب البيض وانه خلق الجنة بيضاء » . وقال مؤرخ افريقي (19) وهو يغدق الثناء على عبد الرحمن الاول، اول ملوك الاندلس : « كان يلبس البياض ويعتم به » واللون الاسود مستحب لان الرسول كان يرتديه في يوم فتح مكة ، اذ كان كاسيا بجبة سوداء ومعتما بعمة من نفس اللون (20). اما الشيعة فيمقتون اللون الاسود ، على الضد من ذلك ، لاننا نقرأ في رحلات شاردان (21) : « لا يلبس الناس اللون الاسود في الشرق ، لا سيما في ايران ، فان هذا اللون هو لون تشاؤمي وكريه ، بحيث لا يستطيعون ان يرفعوا ابصارهم اليه وهم يسمونه لون الشيطان». اما اللون الاحمر واللون الاصفر فهما لونان غير شرعيين (22).

ونحن نجهل سر هذه الكراهية ، ولكنني افترض أن اللون الاصفر (المعصفر) هو لون غير شرعي لانه لون الكراهية (23) ، وان اللون الاحمر مقيت لانه لون الدم . وبالرغم من ذلك فان المسلمين يرتدون في أغلب الحالات ثيابا معصفرة او حمراء » .

واذا آمنا بما يقوله ابن جني (24) وكذلك الواحدي (25) في الموضوع نفسه ، فان الشواب اليوافع كن يرتدين الاردية الحمراء عادة . اما الثياب الخضر فلم يكن بوسع احد ان يتزيا بها سوى الاشراف أو عترة الرسول محمد وذرياتهم .

ويبدو بخصوص موضوع الازياء عدم وجود كبير اختلاف بين الحنفيين والمالكيين والشافعيين ، ولكن يخيل الي ان طائفة احمد بن حنبل – وهي اشد الطوائف الاسلامية تزمتا – قد أمعنت في الجمود الى قرار سحيق في هذا المجال . واليكم ما نقراه في تاريخ مصر للنويري (26) : « وفي هذه السنة فوض قضاء قضاة الحنابلة بدمشق الى شمس الدين ابي عبد الله محمد – ووصل اليه بتقليد القضاء من الابواب السلطانية في يوم السبت ثامن صفر وقرىء بجامع

---

(16) ابن أبي زيد ، الرسالة ، مخ 1193 ، ص 745، مع الشرح : « واختلف في لبس الخز بخاء وزاء معجمتين وهو ما سداه حرير ولحمته صوف مثلا على أقوال اشار الى اثنين منها بقوله فأجيز وكره صحيح في القبس الاول واستظهر ابن رشد الثاني . والثالث يحرم لبسه القرافي وهو ظاهر مذهب مالك لقوله عليه الصلاة والسلام في حلةعطارد وكان يخالطها الحرير : انما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة » .

(17) ويستحب الابيض والاسود (ملتقى الابحر) .

(18) مجمع الانهر ، ط القسطنطينية ، ج 1 ، ص 258 : لقوله عليه السلام : « الله يحب الثياب البيض وانه خلق الجنة بيضاء » .

(19) لدى المقري ، تاريخ مصر ، مخدى غوتا ، ص 353 .

(20) المجمع (الكتاب القيم) .

(21) شاردان ج 3 ، ص 69 .

(22) ملتقى الابحر (ويكره الاحمر والمعصفر) .

(23) راجع كتابي (تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 32 ،ت 105) .

(24) شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 1103 .

(25) شرح ديوان المتنبي ، مخ 542 ، ص 33 .

(26) مخ 2 ورقة 78 ، حوادث عام 716 .

دمشق بحضور القضاة والاعيان وخرج القاضي شمس الدين المذكور من الجامع ماشيا الى دار السعادة (27) فسلم على نائب السلطنة ثم نزع الخلعة السلطانية وتوجه الى جبل الصالحية وجلس للحكم فى سابع عشر (28) صفر وما غير هيئته ولا عادته فى مشيه وحمل حاجته ويجلس للحكم على مئزر غير مبسوط بل يضعه فى يده ويجلس عليه ويكتب فى محبرة زجاج (29) ويحمل نعله بيده فيضعه على مكان واذا قام من مجلس الحكم حمله ايضا حتى يصل الى آخر الايوان فيلقيه ويلبسه . هكذا اخبرني من اثق بأخباره واستمر على ذلك وهذه عادة السلف » .

وانا فى جهل مطبق ما اذا كان هذا التواضع المفرط من شنشنة كافة مشايعي مذهب الامام احمد ابن حنبل ، أم من شيمة القضاة لوحدهم ، فيؤسفني كل الاسف انه لم يكن بمقدوري حتى مراجعة احدى امهات الكتب فى الفقه الحنبلي حول هذه النقطة ، اذ يبدو ان هذه الاسفار نادرة الوجود فى أوربا .

وسنقارن بغية تكوين فكرة لانفسنا عن التغيرات التي طرات على الازياء العربية ، بين ازياء المحمديين وبين زي رجل من الطبقة المترفهة فى القاهرة فى القرن السادس عشر ، بعد الغزو التركي .

كان الرسول يرتدي بادىء الامر قميصا من القطن الابيض (30) ينسدل ردناه الى معصميه (31) ، وكان يضيف الى هذا القميص سروالا منسوجا (32) . ويخيل الي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرتدي على القميص والسروال الا رداء واحدا هو الجبة ، وهي عبارة عن رداء طويل من الصوف مطرزة بالحرير ومفتوحة من الامام (33) . وكان لهذا الرداء ردناه الضيقان ، او كان بالاحرى قباء (34) وهو كساء طويل مرصع بالازرار من الجهة الامامية . وكان الرسول فى مناسبات اخرى يرتدي بدل هذه الثياب شملة من النسيج الخشن ، وهي ما نسميه عادة بالبردة (35) المكونة من قطعة كبيرة من النسيج الصوفي السميك ، وهي شهباء اللون مجزعة تلف جسده الكريم كله . وكان الرسول محمد يرتدي العمامة البيضاء او السوداء ويرسل احدى نهايتيها على ظهره (36) .

اما حذاء الرسول فكان يتألف من (صندل) نعال معمول من جلد البعير (37) ومربوط بشراكين يرتمي

---

(27) دار السعادة هي بلاط النائب فى دمشق ، لاننا نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 109) : « وفى عاشر شهر رمضان امر نائب السلطنة بدمشق بهدم العمائر على حبس باب الجديد الى باب الفرديس (الفراديس ؟) . (ذكر الادريسي هذا الباب ، ج 1 ، ص 352 . وفى التاسع والعشرين من شهر رمضان جمع القضاة والفقهاء بدار السعادة فى مجلس نائب السلطنة » . وفى موضع آخر (مخ 19 ، ص 29) : « دار السعادة وهي سكن نائب السلطنة » .

(28) هذا هو معنى كلمة « هيئة » احيانا . ويروي ابن بطوطة (مخدى كايانكوس ، ص 163) ان سلطان الهند منح كل مدينة « صاحب الخبر » أي مستخدما يعلمه عن وصول الغرباء . ويضيف بهذه المناسبة : « وكتبوا اسمه ونعته وثيابه واصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل » . ونجد بعد ذلك حول كلمة مئزر الجملة التالية ، المستعارة من كتاب لابن اياس : « ومئزر صوف ابيض تردى به كهيئة الصوفية » .

(29) راجع لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 43) : « كان الكتبة المصريون القدماء ورجالات الادب وكثيرون غيرهم ، يحمل كل منهم دواة من الفضة او النحاس او الصفر » .

(30) راجع معجمي حول كلمة القميص .

(31) النووي ، تهذيب الاسماء ، ص 33 .

(32) راجع معجمي حول كلمة السروال .

(33) راجع معجمي حول كلمة الجبة .

(34) انظر النووي (الكتاب القيم السابق ومعجمي حول كلمة القباء) .

(35) راجع معجمي حول كلمة البردة .

(36) راجع معجمي حول كلمة العمامة .

(37) النووي (الكتاب القيم السابق) .

احدهما على منتصف القدم ويمر الاخر بين الاصبع الكبرى والثانية ، وكان فى بعض الاحيان ينتعل الخف العالي الرقبة (38) .

وهكذا نرى ان ملابس الرسول كانت من البساطة فى الذروة ، وهي نفسها بساطة ملابس سكان الصحراء فى يومنا هذا (39) .

ولا يرتدي البداة فى عصرنا الحالي الا قميصا من القطن وثوبا طويلا ، أو رداء من الصوف بدلا من هذا الثوب ، اقتداء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ويتألف زي رجل من سكان القاهرة فى القرن السادس عشر من عدد من الملابس العديدة ، ولم نعد نلاحظ فى هذه القطع تلك البساطة التي كانت تميز زي النبي ، وما زالت بادية للعيان فى ازياء البدويين ، فكانوا يرتدون فوق القميص والسروال ثوبا طويلا اسمه (قفطان) وهو نسيج من الحرير ، على الوان مختلفةمختلطة ببعضها (40)، وهذاالثوب كان لهردنان فى غاية الطول (41) . وكانوا يشدون على القفطان حزاما طويلا من الحرير أو من الليف أو من الصوف(32) وتلي ذلك الجبة ، أو الرداء الطويل المفتوح من الجهة الامامية ، التي كان ردناها قصيرين ولا تصل تماما الى المعصمين بحيث يمكن رؤية ردني القفطان الطويلين وقد تجاوزا الاصابع .

ان هذا الرداء كان اكثر قصرا فى الجهة الامامية منه فى الجهة الخلفية ، وكان يعمل من القماش الاحمر او الازرق أو الاشهب (43) . وكانوا يلبسون فوق الجبة ثوبا فضفاضا يدعى (فرجية) تعمل من المواد الرنيئة عادة وقد تبطن أحيانا بالفرو او بغيره (44) . أما الاعتمام فكان يتألف بادىء الامر من طاقية صغيرة من النسيج القطني (45) ثم تلاها الطربوش الاحمر (46) المصنوع من القطن المضغوط ، واخيرا جاء دور القطعة القماشية من الموصلي المحيطة بالراس (47) احاطة السوار بالمعصم الا وهي العمامة . وكانت الاحذية تعملمن الجلد المراكشي الاحمر (48). ان جمال وكمية الثياب تخلع فى الشرق الابهة والوجاهة على مرتديها . ويقول المثل الفارسي : « قربت بلباس » (49) . ومعنى ذلك كما يقول تافرنييه : « يحسن استقبالك وتكريمك وقبولك لدى البلاط وفى أوساط العظماء بقدر ما يكون هندامك حسنا » . أما فى مصر ، فاننا نقرأ فى وصف مصر (الاطلس ، الجزء الثاني ، الصفحة 24) : « كلما زاد تكديس الوجهاء للملابس على ابدانهم زاد اعتبارهم وفاض عليهم الاحترام الذي ينشدونه » .

اذن فلا غرابة ولا عجب اذا رأينا الشرقيين يعنون كل العناية بنظافة ملابسهم وتعطير اجسامهم بالروائح العطرية الفواحة. ونجد في كتاب الاغاني(51): « ملاءة مطيبة » . ونقرأ فى تاريخ مصر للنويري (52) انه وجد بين كنوز أحد العظماء : « لعبة من العنبر على قدر جسده برسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب

---

(38) راجع معجمي حول كلمة النعمل .
(39) راجع معجمي حول كلمة الخف ، والنووي (الكتاب القيم السالف) .
(40) انظر بركهارت ، ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 26 ، ومعجمي حول كلمة القنباز .
(41) انظر معجمي حول كلمة الخفتان .
(42) انظر معجمي حول كلمة الحزام .
(43) انظر هيلفريش ، قصة رحلة مختصرة حقيقية، ص 393 ، ومعجمي حول كلمة الجبة .
(44) معجمي ــ الفرجية .
(45) معجمي ــ الطاقية والقبع .
(46) معجمي ــ الطربوش .
(47) معجمي ــ العمامة .
(48) معجمي ــ المركوب .
(49) راجع شاردان ، الرحلات ، ج 3 ، ص 72 ، تافرنييه، الرحلات، ج 1، ص 631، ريجاردسون، حول كلمة القربة .
(50) الاطلس ، ج 2 ، ص 24 .
(51) ج2 ، ص 41 . (النويري ، مخك (2) ص154 ، حوادث عام 515.
(52) مخ ط ل ، ص 66 .

رائحتها » (53) ونقرا كذلك هذا البيت فى كتاب الف ليلة وليلة :

وتميس بين مزعفر ومعصفر
ومعنبر وممسك ومصندل

ونعثر فى مكان آخر من الكتاب نفسه على هذه العبارة : « لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة » (55) . ونقع فى الكتاب ذاته ايضا على هذه الجملة : « فقعدت تبخره (القناع) فطارت شرارة فاحرقت طرفه » (56) .

ويقول بركهارت عن وهابيي نجد انهم يعطرون بعناية كوفياتهم بعطور من المسك والورس .

وهم يعطرون اردان الثياب بصورة خاصة .

ونقرا فى كتاب « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان ، هذين البيتين لابن زيدون :

اعباد يا اوفى الملوك لقد سطا
عليك زمان من سجيته الغدر

فهلا عداه ان علياك حليه
وذكرك فى اردان ايامه عطر

وفى قصيدة للمتنبي :

اتت زائرا ما خامر الطيب ثوبها
وكالمسك من اردانها بتضوع

وهو بيت ينظر الى بيت لامرىء القيس :

الم ترياني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقد جرت العادة فى تكريم ذات من الذوات ان تخلع عليه ثياب التشريف ، وهي عادة قديمة فى الشرق . ومع ذلك نرى اذا منا الى تصديق ما يقوله المقريزي ان اول من مارس هذه العادة من امراء المسلمين هو هرون الرشيد بخلعه ثياب الشرف على نديمه جعفر بن يحى البرمكي . قال المقريزي (60) بالحرف الواحد فى الجزء الثاني من مخطوطة « وصف مصر » : « واول من علمته خلع عليه من اهل الدولة جعفر بن يحى البرمكي » .

ان لباس التشريف يسمى خلعة ويدعى فى العصور الاحدث من العصور القديمة تشريفا . وكان من الامور المعروفة يوم دخول هذه العادة ان يخلع الامير الرداء الذي يرتديه ويكسو به الشخص الذي رام تشريفه او مكافأته ، ولكن لا يبدو فى اعقاب ذلك ان الامراء كانوا لا يهبون الا الثياب التي كانت فى خزائن ملابسهم الخاصة ، او الثياب الجديدة ، ولكن خلع الثياب كان دائما دلالة على التشريف بأن يلبس المرء الثياب التي كان يرتديها الامير نفسه ، ولم يغفل المؤرخون ذكر هذه الظاهرة (61) .

ويقول النويري : « انعم على الامير سيف الدين قلاوون بشربوش كان قد لبسه » .

ولو اردنا ان نقرر على وجه الدقة من اي ملابس كانت تتألف الخلعة او التشريف فى مختلف الاحقاب لواجهنا مشكلة عويصة للغاية بالاضافة الى انه يخيل الينا ان الثياب التى كانت تؤلف الخلعة خلال حكم بعض السلالات كانت تتوقف على اختيار الامير التحكمي . ومع ذلك فان فيبرس (62 يخيل اليه ان الخلعة تنحصر فى الاغلب الاعم او فى الحالات الخاصة بالقباء ، ولكن يجب علي ان ابرهن ان هذا الراي غير قائم على اساس . صحيح ان ملابس التشريف فى

---

(53) ترجمة النص الخاص بالنعبة .
(54) طمكناكتن ، ج 1 ، ص 169 .
(55) ج 1 ، ص 568 .
(56) ج 3 ، ص 182 .
(57) ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 131 .
(58) ابن زيدون ، لدى ابن خاقان ، ص 38 .
(59) الديوان ، مخ 542 ، ص 22 . راجع الواحدي وابن جنى .
(60) وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 351 :واول من علمته خلع عليه من اهل الدول جعفر بن يحى البرمكي .
(61) تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 215 .
(62) فى تعليقه على تاريخ اليمن ، رتجرس ، ص140 .

عهد حسن باشا الذي كان يحكم اليمن كانت تقتصر على الاقبية (63) ، ولكن لم تكن الحالة فى بغداد وفى مصر مثلا على هذه الشاكلة . وكانت الخلعة وكان التشريف مؤلفين من مختلف الملابس . ويعلمنا النويري (64) ان لباس التشريف الممنوح من قبل خليفة بغداد الملك الناصر داود كان يتالف من قباء اطلس ومن شربوش . ويروي لنا المؤرخ نفسه فى مكان آخر ان الخلعة المعطاة من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله (65) كانت مؤلفة من عمامة سوداء وفرجية مزينة بالذهب . ونقرأ فى اسفل هذا الخبر ان لباس التشريف الموهوب من الخليفة كان مكونا من عمامة من الديباج الاسود ومن دراعة .

والخلعة التي كانت تمنح فى مصر الى احد الوزراء كانت تتشكل من الجبة ومن فرجية ومن طرحة (66). وكان التشريف ينحصر كذلك فى مختلف الملابس . واخيرا هناك كلام آخر للنويري (67) يدل دلالة واضحة على ان حلل التشريف كانت تتباين بالنظر للقماش المصنوعة منه (68) وللاجزاء التي تتالف منها (69) وذلك حسبانا للطبقة التي ينتمي اليها الرجل موضوع التشريف والمكافاة ، او حسب الخدمات التي كان قد اداها للامير (70) .

اما لباس الشرف المعطي من قبل الخلفاء العباسيين فقد كان علىوجه التأكيد اسود اللون (73). ولا تستعمل الالبسة فى الشرق لسوء الحظ كأداة للزينة فقط ، فان شيطان الكره او الانتقام يستخدمها لينتزع من العدو الحياة بصورة دنيئة . ونحن الغربيين نعلم ان الملابس كانت تستخدم فى العصر الوسيط للفرض نفسه . وان قلة من الامثلة المقتبسة من التاريخ الاسلامي لكافية للبرهنة على ان هذا الثار الخسيس لم يكن غير معروف فى الشرق . ويقص علينا النويري (74) إن السلطان الايوبي الملك المعظم كان قد اضمر فى نفسه حقدا عنيفا لقاضي القضاة، لان هذا القاضي كان اقنع اخت صلاح الدين (ست الشام بنت ايوب) ان توصي بأموالها الى المؤسسات الخيرية . ولما كان الملك المعظم يطمح هو نفسه الى احراز هذه الاموال فان آماله قد خابت نتيجة لحمية القاضي . فبحث الامير خلال بعض الوقت عن ذريعة يتذرع بها للانتقام من القاضي ولكن دون جدوى . واخيرا اهتدى الى هذه الذريعة فارسل رسولا الى القاضي وهو فى مجلس حكمه يحيط به جماعة كبيرة من العدول والمتحاكمين . ويمضي المؤرخ فى قصته فيقول (75) : « فجاء الرسول وقال للقاضي : « السلطان يسلم عليك ويقول لك : الخليفة سلم الله عليه اذا اراد ان يشرف احدا من اصحابه خلع عليه من ملابسه . ونحن نسلك طريقه . وقد أرسل اليك من ملابسه وأمر ان تلبسه فى مجلسك هذا وانت تحكم بين الناس . وكان الملك المعظم اكثر ما يلبس قباء

(63) راجع تاريخ اليمن ، مخ 477 ، ص 18 ، 34 ، 60 ، 61 ، 112 ، 176 284 ، 298 ، 319 .
(64) تاريخ مصر .
(65) المرجع السابق ، ص 82 ، حوادث عام 643.
(66) المرجع السابق ، ص 144 .
(67) النويري، المرجع السابق، مخ 2 ن، ص 32.
(68) راجع النويري ، المرجع السابق ، مخ 2 و ،ص 58 ، 75 ، 83 ، 116 ، مخ 19 ب ص 22 و 23، 135 .
(69) المرجع السابق ، مخ 19 ب ، ورقة 25 ، ص 30 .
(70) راجع النويري ، المرجع السابق ، مخ 2 ، ص 49 ، 82 ، 144 ، مخ 19 ب ، ص 3 ، كامفر ، التحف النادرة ، ص 65 ، وتعليقة سملية علىكنستان سعدى ، ص 46 .
(71) راجع النويري مثلا ، تاريخ مصر ، مخ 2 ن،ص 28 .
(72) النويري ، المرجع السابق ، مخ 2 ، ص 215
(73) راجع ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دى كايانكوس ، ص 194) .
(74) تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 18 .
(75) ص 19 .

ابيض وكلوتة صفراء . وفتح الرسول البقجة (76) . فلما نظر القاضي الى ما فيها وجم » (77) .

قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة : « فأخبرني الرسول الذي احضر هذه الخلعة والرسالة بذلك قال: وكان السلطان قد امرني ان البسه اياها بيدي أن امتنع او توقف . فاشرت عليه بلبسها واعدت عليه الرسالة. فاخذ القباء ووضعه على كتفه ووضع عمامته بأرض ولبس الكلوتة الصفراء على راسه . ثم قام ودخل بيته » . وتضيف المخطوطة : « ومرض اثر هذه الحادثة ورمى كبده ومات » . ويقال ان ذلك كان في يوم الاربعاء سابع وعشرين شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وسبع مائة (النص كما هو — المترجم) . ومات ملك قشتالة (دون انريك) مسموما طبقا لما تقوله بعض التواريخ الاسبانية ، وذلك لان ملك غرناطة محمد كان قد اهدى اليه حذاء طويل العنق مشبعا بالسموم (79) .

وكان الرجال والنساء يرتدون الثياب السود على حد سواء فى العهود القديمة علامة على الحداد ، وذلك لاننا نعلم ان زي الخلفاء العباسيين الاسود كان قد اتخذ كشارة من شارات الحداد بسبب وفاة الامام ابراهيم بن محمد . ونقرأ كذلك فى تاريخ مصر للنويري ما يلي : « شق القاهرة وهو لابس السواد واعلامه كذلك حزنا على الظاهر » . ولكن لم تعد البسة الحداد تلبس بعد هذه العصور من قبل الرجال ، وذلك لان هذا يعني عدم الخضوع لمشيئة القدر والحكمة الالهية (81) . ومع ذلك فان النساء ما زلن يرتدين البسة الحداد فى الشرق ، ولكن بمناسبة وفاة الازواج والاقرباء . فنحن نقرأ فى الاحاطة لابن الخطيب ، ان الشاعرة الشهيرة حفصة عشيقة ابي جعفر احمد بن سعيد الشاعر الذائع الصيت ووزير حاكم غرناطة ، لبست الحداد لدى علمها بقتل حبيبها (82) . ولكن هذه الحالة ولا ريب استثناء من القاعدة .

وينحصر الحداد فى ان تصبغ النساء القميص وخمار الراس وحجاب الوجه والمنديل باللون الازرق الفامق او باللون الاسود على وجه التقريب ، مضافا الى اللون النيلي . وفى ان يرتدين ملابس الحداد سبعة ايام او خمسة عشر يوما او اربعين يوما احيانا (83) .

اما فى الاندلس أثناء حكم الخلفاء الامويين فان ملابس الحداد كانت بيضا ، لاننا نقرأ فى تاريخ الاندلس (نفح الطيب) للمقري : « عليهم الظهائر البيض شعار الحزن » .

والعرب يرتدون الملابس الحمر او الصفر (المعصفرة) حين يريدون اظهار انهم فى أوج سورة الغضب . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة : « لبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء » . ولكن ربما كانت هذه العادة شنشنة تركية (86) .

وفى المغرب يشير اللون الاصفر الى الغضب ، ذلك لان (بيدرو دي سان أولون) (87) و (وندس) يلاحظان ان ملوك مراكش ، اذا نووا سفك الدماء ، فانهم يرتدون فى معظم الحالات الملابس الصفر .

---

(76) انظر حول كلمة البقجة او البقشة ، التعليقة حول كلمة التحتانية .

(77) وضعت وجم محل وحم الواردتين فى المخطوطتين .

(78) مؤلف كتاب الروضتين الشهير (تاريخ نور الدين وصلاح الدين) .

(79) راجع كونده ، تاريخ حكم العرب فى اسبانيا ،ج 3 وكوباروقياس ، كنز اللغة القشتالية ، مدريد ، 1611 ، حول كلمة Barzegui

(80) مخ 2 ك (2) حوادث عام 549 .

(81) ان المخطوطة ب (مخ 2 ل ، ص 75) تضيف:« وبنوده » .

(82) مخ د ى كاياتكوس ، ص 38 : « ولما بلغ حفصة قتله لبست الحداد وجهرت بالحزن » .

(83) بركهارت ، أسفار فى الجزيرة العربية ، ج 2 ،ص 274 ، لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 134 ، 518 . مقتبسات من قصة عنترة ، ص 92 ، 154 ، الف ليلة وليلة ، ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 339

(84) مخ دى غوتا ، ص 85 .

(85) تحدثت عن كلمة بدلة فى احدى التعليقات علىهذا الكتاب .

(86) راجع تعليقة لين حول هذه الفقرة ، ج 2 ، ص 326 ، 327 .

(87) الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص63 ، 172 .

(88) رحلة الى مكناس ، ص 133 .

الاتب و المئتبة

وبعد فاننا نقرأ لدى الجوهري (ج1 م مخ ص 85) اتب الاتب البقير وهو ثوب او برد يشق فى وسطه فتلقيه المرأة فى عنقها من غير كم ولا جيب والجمع اتوب » . وفى القاموس (طكنكتا ص 443) الاتب بالكسر والمئتبة كمكنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين ، والبقيرة ، ودرع المرأة ، وما قصر من الثياب فنصف الساق ، او سراويل بلا رجلين ، او قميص بلا كمين . وقد وجدت فى مجمل اللغة لابن فارس (مخ 485) الاتب كالبقيرة . وينتج من هذه الشروح ، التي قدمها اللغويون العرب ، ان الاتب والمئتبة يعملان بصورة عامة من قطعة قماش(1) وبصورة خاصة من قطعة قماش مخططة ، تشق من وسطها ، وحينئذ تدخل المرأة راسها من الفتحة المعدة لهذا الغرض . وهذا الثوب محروم من الكمين ، وغير مفتوح من جهة الصدر . ويخيل الينا ان بساطة هذا الثوب تشير الى ان هذا اللباس كان يرتدى فى العهود الاسلامية الاولى ، وما زال النساء — حتى يومنا هذا — يرتدينه فى شبه الجزيرة العربية لان علي بيك يقول فى (الاسفار ، ج 2 ، ص 106) وهو يتحدث عن نساء مكة : « انهن ما يفتأن يلبسن القميص ، على هيئة عجيبة غريبة للغاية لا نكاد نتصورها . ويتألف هذا القميص من قطعتين مربعتين من القماش ، طول كل منهما ست اقدام وعرضها خمس اقدام مخيطة بصورة مجتمعة من الاعلى ، حاشا فتحة فى الوسط ينساب منها الراس . اما الزوايا السفلية فمقورة بمقدار سبع بوصات تقريبا ، وكأنها جزء من دائرة ، بحيث ان ما كان فى بدايته زاوية يصبح تقويرة محفورة . وهاتان التقويرتان مخيطتان معا ، ولكن الجزء السفلي والجوانب تبقى مفتوحة من الاعلى الى الاسفل ، وترتدي موسرات النساء هذه الاقمصة المعمولة من النسيج الحريري المخطط تخطيطا خفيفا دقيقا . وهو رقيق رقة الكاز ويجلب من مصر . والنساء المذكورات يصففنه طيات على الاكتاف ، ويعلقنه حول اجسامهن بمعونة حزام» والاتب بصورة عامة يعني كافة الملابس القصيرة التي لا تصل الى اكثر من منتصف السيقان ، كما ان الاتب يعني — ايضا — نوعا من السراويل القصيرة ، السروال الذي لا فتحة فيه لدخول السيقان ، او انه قميص لا كم له .

المئتـــب

لا وجود لهذه الكلمة لدى الجوهري . ولكن تشير هذه الكلمة حسب راى القاموس(طكلكتا ص 43) الى نفس اللباس المشار اليه بكلمة مشمل ، وهو رداء يشتمل به (المئتب كمنبر . المشمل) راجع كلمة مشمل .

الأخـــروق

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن يخيل الي انها تعني ضربا من ضروب تيجان الراس المستعملة فى المغرب . يقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخطوطة دى كايانكوس) فى مقاله عن بلغار الفولك : وعلى راسها البغطاف وهو اخروف (كذا) مرصع بالجوهر وفى اعلاه ريش الطواويس . ويقول بعد ذلك وعلى راس كل واحدة من البنات (الخادمات) الكلا (كلاه بالفارسية) وهو شبه الاخروف (كذا) وفى اعلاه دائرة ذهب مرصعة بالجوهر وريش الطواويس من فوقها . ويستخلص من الفقرات السالفة ان كلمة اخروق كانت تعني فى المغرب : « نوعا من التيجان الصغيرة » . (راجع الف ليلة وليلة ت لين ، ج 1 ص 424) المعمولة من الذهب ، المرصعة بالاحجار الكريمة ، التي يستعملها النساء اغطية لرؤوسهن وتحليا بها . ولعلها نفس الزينات الراسية التي تحمل فى اقطار الشرق الاخرى اسم تاج (2) .

---

1) ان كلمة ثوب تعني ايضا قطعة قماش ، فنحن نطالع فى الف ليلة وليلة : فمضيت وعمدت الى ثوبين من الديباج الرومي وجئت بهما اليه وقلت للخياط فصل هذه اربعة ملابس اثنين مفرجة واثنين غير مفرجة . ونقرأ فى مكان آخر من الف ليلة وليلة ايضا : «اقطع لها من هذا الثوب كسوة وخيطها. وقال والله ما ارضى لنفسي من جميع ما معي كفنا اكفن فيه فتصدق علي بكفن». فبعت اليه نصف ثوب بغدادي ومائتى درهم فكفنوه بهما . (تاريخ مصر للنويري (مخطوطة 2) .

2) ان كلمة بغطاف التى يستعملها هنا ابن بطوطة (بالفارسية بغتاف) وجدت مشروحة بعد ذلك على هذه الشاكلة : « وعلى راس الخاتون البغطاف وهو مثل التاج الصغير ، مكلل بالجوهر وبأعلاه ريش الطواويس » .

الارز والازار ، وفى اللهجة المصرية الايزار

كان يبدو فى العهود الاسلامية الاولى ان كلمة ايزار قد استعملت لتعني ثوبا بصورة عامة مهما كان شكل هذا الثوب . فالبخاري (صحيح ، ج 2 مخ 356) عنده باب يحمل عنوان : باب الازار المهدب (1) يقول فيه : ويذكر عن الزهري وابى بكر محمد وحمزة بن ابى اسيد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر انهم لبسوا ثيابا مهدبة . والمسألة فى هذا الكلام هي مسألة ثياب بصورة عامة ، وينبغي ان تضيف الى ذلك أن القاموس (ط كلكتا ، ص 451) قال فى ضمن ما قاله ان كلمة ازار تعني كل ما سترك . ومع ذلك فمن المحتمل ان المؤلف اراد ان يشير بصورة خاصة الى الاردية المسمى واحدها ازارا ، وهي الازر التي كان يشتمل بها الرجال فى عهد محمد (ص) .

ويخيل الينا ان رجال عمان كانوا مشهورين بهذه الازياء ، لاننا نقرأ فى عيون الآثار (مخ . 340) ان الرسول قد ترك يوم وفاته ، فيما تركه من ثياب اخرى ازارا عمانيا . وهذا ما يجعلني اعتقد جازما أن المعني فى الكلام السالف بالازار هو الرداء ، ذلك لان المؤلف ابا الفتح محمد او بالاحرى مستنده ابن فارس قد ذكر بالاضافة الى ذلك ثوبين من تلك الثياب التي يسمى مفردها حبرة . (راجع كامة حبرة فى موضعها من هذا المعجم) . ونجد كذلك كلمة ازار مستعملة فى محل كلمة بردة بالمعنى نفسه . وقد ترك محمد (ص) كذلك ازارا آخر ، مما تحدث عنه فى موضع من المواضع التالية .

اما فى العصور المتاخرة ، فيبدو ان كلمة ازار لم تعد تستعمل لتعيين رداء من اردية الرجال ، ولكن هذه الكلمة قد استعمات طوال عهود الاسلام ، منذ عهد محمد (ص) حتى ايامنا هذه ، لندلالة على هذا الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به نساء الشرق . ولننظر أول ما ننظر لى لين كيف يصفهذه اللفافة ولنجاهد بعد ذلك فى البرهنة باستشهادات عديدة على ما قدمناه نحن من راي . اما المحقق الانكليزي — وهو مشهور بجدراة واستحقاق بنفاذ بصيرته — فيصف الازار على الهيئة التي ترتديه بها النساء المصريات فى يومنا هذا (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 210) . وراجع كذلك كتاب (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 63) اذ يقول : «الازار هو قطعة من النسيج تلتف بها النساء العربيات عادة ، عندما يبرزن للجمهور . عرض هذا الازار ذرعان او اكثر من ذلك (حسب طول المراة المشتملة به) . وطوله ثلاثة اذرع، وتسحب النساء من قسمه الخلفي حاشية على الجزء العلوي من الراس وعلى الجبين ، ويعلقن هذه الحاشية حينئذ بشريط مخيط من الداخل ، اما البقية فتتدلى الى الخلف والى كل جهة حتى تبلغ الارض ، او تكاد تمسها ، وهذا الازار يلف الجسم كله تقريبا ، لان المراة تمسك بنهايته بصورة تجعنه يلفها من الجهة الامامية ايضا ، وهكذا تغيب فى هذا الكيس . وعلى هذه الهيئة يخفي هذا الثوب كل قطع الحلل الاخرى الملبوسة عدا جزءا صغيرا من الثوب الواسع الفضفاض (ثوب او سبلة) هو جزء آخر من اللباس الفرض منه تمكين المراة من التجول أو من ركوب الخيل او ركوب الحمار ، وهناك خمار الوجه. وهو يصنع الان بصورة عامة من الخام الابيض . وهذا النوع من الازار كان مستعملا فى عهد محمد (ص) ، ففي صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 256) فى الباب الذى سبق لنا ذكره عن الازار المهدب ، نقرأ القصة التالية ، مستندة الى رواية عائشة : قالت : « جاءت امراة رفاعة القرظي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا جالسة وعنده ابو بكر فقالت يا رسول الله اني كنت تحت رفاعة فطلقني وبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن زبير وانه والله ما معه يا رسول الله الا مثل هذه الهدبة » واخذت هدبة من جلبابها . فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له. قالت فقال خالد : « يا ابا بكر الا تنهي هذه عن ما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلا والله ما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التبسم . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك تريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته » ، فصار سنة بعده . وكلمة جلباب حسب راى الجوهري (ج 1 مخ 85) هي نفس كلمة ماحفة . والملحفة طبقا لآراء المؤلفين الاندلسيين الذين سنجد كلامهم فيما بعد هي الازار

1) الصيغة الثانية من فعل هدب لا وجود لها فى القاموس .

نفسه . ولنمض الان من شبه الجزيرة العربية الى مصر . واذ نصل الى وادي الكنانة نقرأ فى النويري (تاريخ مصر ، مخ (1) ان العلماء قرروا ، فى مجمع من مجامعهم ، ان النساء اليهوديات والنصرانيات سيكن مجبرات على التمنطق بالزنار تحت الازار او حسب رواية اخرى ـ يبدو انها اكثر احتمالا لدى النويري ـ يشد الزنار فوق الازار لا تحته . واما المراة فتشد الزنار من تحت الازار وقيل من فوق الازار وهو الاولى . ونقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113) : وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة امر بأن يكون ازار النصرانية ازرق وازار اليهودية اصفر وازار السامرية احمر . وبهذه الطريقة كان الناس يستطيعون لاول وهلة التفريق بين هذه المراة وتلك من جهة ممارسة هذا الدين وذلك ، فى حين ان المراة المسلمة كانت ترتدي الازار الابيض فهى متميزة فى كل الاحوال . ونجد لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 398): وكانت الفاسلة اذا خرجت تفسل ميتة تأخذ ورقةمن عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة فى ايزارها حتى يعلم انها غاسلة » . اذ فى عام 840 حرم السلطان على النساء الخروج من منازلهن) . ونجد فى الف ليلة وليلة ـ ط مكناكتن ج 2 ، ص 121) : عليها ثياب مشرطة وازار وسخ قديم . وفى مكان آخر من الكتاب المذكور ص 134 : ثم اني غطيت عيني وداريت بطرف من ازاري من الناس . وحط فمه تحت ازاري على خدي . وفى موقع آخر ص 229 : كشفت نقابها عن وجهها وقلعت ازارها . وفى موضع آخر (ج 2 ص 228) : وضعت على راسها ازارا عسليا . واخيرا نقرأ فى (ج 3 ، ص 540) : وهي ملفوفة فى ازار من حرير مزركش بذهب (والحديث عن جارية تجري عملية بيعها) . .

ويطيب لي ان اقرر هنا ان اهل مصر اليوم لم يعودوا يسمون الان هذا الرداء او الشملة اذا كانا مصنوعين من الحرير ازارا ، اذ ان هـذا الازار الحريري يطلق عليه هذا اليوم اسم حبرة .

وان الرحالة الاوربيين الذين زاروا مصر فى مختلف الازمان ، يتحدثون ايضا عن هـذا اللباس ، ولكن معظمهم لا يوردون اسمه . فنحن نقرأ فى قصة هيلفريح ما يلي : « ان النساء كن يرتدين حين يخرجن الى مدينة القاهرة اردية متماثلة . واعني بذلك انهن ساعة يزمعن البروز من منازلهن تلتحف اجسامهن بقماش ابيض بديع ناعم الملمس ، وانهن يسحبن ارديتهن من الجهة الخلفية على الراس ، وانهن يعلقن ملابسهن من الجهة الامامية تحت العنق . وبعد ذلك يلففن انفسهن بدقة واحكام بهذا الرداء الذي يغطين ذواتهن به حتى مواقع اقدامهن . وان هذه الاقمشة التي يستعملنها كأردية لها من الحاشية العليا نوع من الهدب الحريري الاحمر المرصع بالذهب » . ونقرأ فى رحلة منتيكازا ص 190 ان النساء اذا عزمن على الخروج من بيوتهن غطين انفسهن تغطية تامة بـرداء ابيض من القطن المنقوش ، وهو نسيج يسميه الاهالي بافتة ، وهم يجلبونه من الهند ، ويغطين انفسهن به من سمت الراس الى اخمص القدم (2) ولعل وايلد ايضا يتحدث فى كتابه (ص 204) عن الازار حين يقول عن نساء مصر : « ان النساء المصريات ـ اثناء سفرهن أو ساعة خروجهن من منازلهن ـ يرتدين لباسا ابيض على رؤوسهن ليستترن به » . ويتحدث كورني (ص 218) فى رحلته عن النساء العربيات فى القاهرة فيعبر على هذه الصورة : « انهن حين ينطلقن خارج دورهن يضعن على رؤوسهن وعلى اجسادهن لباسا من القماش الابيض يغطيهن تغطية شاملة بحيث لا يدع لهن شيئا يفلت من هذه الظلمة سوى عين واحدة ، تستطيع ان تهدي كل مراة الى طريقها . ان هذه الاغطية تشبه تلك التي يستعملها الاسبان » .

ويجب علي ايضا ان الفت النظر الى ان كلمة ازار فى مصر تلفظ وتكتب كذلك (ايزار) . ولقد رأينا سالفا ان هذه الصيغة استعملت من قبل ابن اياس . وهي بعد ذلك ليست نادرة الوقوع فى نص الف ليلة وليلة الذي نشره هابيخت . راجع مثلا الجزء الاول من الصفحات 194 ، 310 و 352 مكررة و 356 . وراجع ايضا بركهارت (الامثال العربية رقم

---

1) يخلط المستشرق الطائر الصيت سيلفستري ساسي بين الزنار والحزام . فالزنار فى مصر هو حزام الشعوب دافعي الجزية (اليهود والمسيحيين والسامريين) اما زنار المسلمين فهو الحزام ! .

(2) يبدو اذن ان الكلمة الفارسية بافتة كانت مستعملة فى مصر ايضا . نفي كتاب آيين اكبري (ج 1 ص 98) ان البافتة هي اسم من بين اسماء المنسوجات القطنية .

56) فهو يكتب هذه الكلمة على نفس الهيئة حين يروي المثل التالي : « ان لقيتها قطع ايزارهـا قال الدورة على لم الشمل » . وترجمتها عندي : « اذا وجدتها فاشطر ازارها شطرين » . فيجيبه الآخر : « المهم في اللحظة الراهنة هو ايجاد الفرصة لملاقاتها » . (ومع ذلك فبركهارت يتوهم حين يقول: « ان الايزار هو شملة المراة المصنوعة على وجه العموم من الحرير الاسود أو من القطن من نفس اللون » . فاذا كانت الشملة التي تتحدثبشأنها سوداء فتسمى حبرة . واخيرا فان لين يجزم بصراحة بأن الناس في مصر يقولون (ايزار) .

فاذا تركنا مصر ايضا وعبرنا الى بلاد البربر ، وجدنا الازار ، في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر في مراكش وفي فاس . اذ يقول ديكردى توريس في (قصة الشرفاء ، ص 86) في معرض الحديث عن سيدات مراكش : « انهن يرتدين فوق فساتينهن لباسا طويلا يسمينه ازارا ، وهو الذي يسمونه في غرناطة ملحفة ، وهي مصنوعة من الحرير أو من الصوف مع زركشات وحواشي من الجوانب مطوية طيات غاية في الذوق والابداع بحيث تتعلق بالصدر بالاضافة الى ترصيعها ببعض الحلقات والاقراط ومواد الزينة ويخترقها دبوس . وهذه التحليات ــ ذهبية كانت أم فضية ــ انما هي لدى الاغنياء . اما لدى الطبقات الاخرى فهي من المعدن» ونقرا كذلك في موضوع النساء في فاس في كتاب دى مارمول (وصف افريقيا ، ج 2) : « ان النساء على جانب مفرط من الجمال ، ولو انهن لسن متعففات في أغلب الحالات ، وهن يرتدين الالبسة بأناقة رائعة للغاية ، ويتزين لدى خروجهن من منازلهن بالملابس البيض الفاخرة المصنوعة من الذهب ومن الحرير ، وتلتف فوق هذه الملابس الملاحف او الازر المعمولة من النسيج الهولندي الفاره ، المزينة من نهاياتها بالحرير الملون . وهذه الاردية طويلة طول اغطية السرر ، ولكنها ليست واسعة سعتها ، وعليها في حواشيها شرائط من الحرير الابيض او من لون آخر ، وكلها منسوجة في نفس الازار . وبعد ان تلتف النساء بهذه الازر يشددنها الى الصدر بحلقة ضخمة من الفضة أو الذهب ، اما في الصيف فهو الزي الاعتيادي للنساء النبيلات . ويخبرنا دابر في كتابه عن افريقيا ص 241 ان الخادمة التي وجدت ضمن اعضاء سفارة ملك مراكش وفاس في امستردام عام 1659 ــ كانت ترتدي ازارا مصنوعا من القطن الابيض الدقيق . ويبدو لنا أن الازار لم يعد مستعملا في يومنا هذا في فاس ومراكش ، ذلك لان المحقق المدقق الدانمركي هوست لم يتحدث عنه .

اما في مالطة فيكتبون ويلفظون كلمة ليزار وكلمة ليزور . فالكلمة الاولى في حالة الافراد والكلمة الثانية في صيغة الجمع . وهذه الكلمة تعني في هذه الجزيرة ايضا شملة واسعة (راجع فاسالي اللغة المالطية ، المجموعة 442) .

وكان الازار مستعملا في سورية ايضا ، وما برح مرتدي في تلك الربوع حتى يومنا هذا . ونحن نقرا في رحلة هيافريج أن النساء في أورشليم يتكيسن في شملة بيضاء بدلا من الرداء الذي يلف رؤوسهن وكافة ثيابهن ، بحيث انك لا تستطيع تمييز هذه المراة من المراة الاخرى ، وهي الحالة السائدة في القاهرة . ويقول لويس دى فارتما ان النساء في دمشق مرتديات افخر الحلل الحريرية ، أما ملابسهن الفوقانية فهي من القطن الابيض الناعم ، وهذه الملابس لينة الملمس دقيقة الصنع كأنها قدت من الحرير . ويروي داندينى في (رحلة من جبل لبنان ، ص 46) ان نساء طرابلس في سورية يلتحفن لدى خروجهن ــ التحافا تاما في شرشف من الكتان الابيض أو من القطن بحيث ان الناظرين اليهن لا يرون حتى أيديهن بالرغم من تملكهن حرية تحريك أذرعتهن وأيديهن . أما دارفيو في كتابه (مذكرات ، ج 6 ، ص 446) فيقول ان النساء الحلبيات يرتدين فوق ثيابهن دثارا واسعا من القماش الابيض ، يغطيهن من رؤوسهن الى اقدامهن . ويقول فون ريشتر وهو في صدد الحديث عن عرائس التجار الافرنج في حلب : « ان زي السيدات هو الزي العام السائد على الساحل السوري ، فهن حين يخرجن يرتدين شملة بيضاء يدفعنها من الوراء على الراس ، ويعقدنها من الامام تحت الانف ، بحيث انك ان لم تكن على معرفة خاصة بالانوف لن تستطيع التعرف على المتنكرات في هذه الهيئة . واخيرا يقول المقدم نابيه، وهو يتحدث عن نساء بيروت (ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 117): « انهن ملتفات التفافا تاما بالازار او بالشملة الطويلة البيضاء التي تلف الراس فتخفي الوجه وتسقط على الارض في طيات عديدة ، بحيث انهن لا يكدن يعرفن من قبل اصدقائهن أو من قبل ذويهن الادنين » . (راجع الكتاب نفسه ، ج 1 ، ص 133 و 134) .

ويخيل الي أن الازار كذلك دائم الاستعمال لدى النساء المارونيات . (راجع لايت . رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ص 220 ودقق الصور) .

أما فى الجزيرة فيبدو ان الازار هناك نادر الوجود .

ومع ذلك فاننا نقرأ فى احدى كتب بكينكهام (رحلات الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ص 392) ان النساء فى ديار بكر يرتدين احيانا أزرهن المصنوعة من الموصلي الابيض كتلك الازر التي ترتديها النساء فى أزمير وفى دمشق » .

ليس فى مقدوري ان ادع هذه المادة دون ان اترجم بعض فقرات مارمول (وصف افريقيا ، ج 33) ذلك الكتاب الغامض المغمور . اذ يقول الرجل فى معرض كلامه عن النساء المصريات : « انهن يرتدين الشملات الواسعة البيض المصنوعة من القطن الناعم الدقيق الذى يجلب من الهند ، وهذه الاغطية مفصلة تفصيلات مختلفة ، فبعضها يشبه ازر بلاد البربر وبعضها يسمى فى مصر ليسيا (هي كلمة عربية تعني غطاء او خمارا) فهل أراد بليسيا الازار الذي اعرفه ؟ لا ادري .

ولا بد من جهة اخرى أن يكون مارمول قد زار مصر فى عهد قريب كل القرب من كتابة الف ليلة وليلة ، وقد رأينا فى السطور السالفة ان كلمة ازار تظهر احيانا فى هذا الكتاب . واخيرا فان الوصف المعطي من قبل مارمول عن ليسيا النساء المصريات ينطبق كل الانطباق على أوصاف الازر التى فرغنا توا من قراءتها . لذلك ان مارمول واهم وانه قد اساء الفهم ، ولكن مارمول كاتب مرموق بحيث لا يسعنا السكوت عن ملاحظاته ولو كانت خاطئة .

أما صيغة ازار فهي نادرة ، ولم اقع عليها الا فى هذا البيت المنسوب للاعشى الذي نقله الجوهري (ج 1 ، مخ 85) (الكامل) :

كتميل النشوان يرفل فى البقير وفى الازاره

ان كلمة ازار ـ التي تشير الى الغطاء الواسع الذي تلف المراة به جسمها كله ـ قد استعملت من قبل الشعراء للدلالة على المراة نفسها . فنحن نقرا هذا البيت الذي يرويه الجوهري (ج 1 ، مخ 85) : (الوافر) :

الا ابلغ ابا حفص رسولا
فدى لك من اخ ثقة ازارى

ويضيف اللغوي : قال ابو عمرو الجرمي يريد بالازار هاهنا المراة . (راجع القاموس ، ط كلكتا ، ص 451) . ولكن لكلمة ازار معنى آخر ايضا . فهي تعني نوعا من التبان لتغطية الارداف والاعضاء الطبيعية (العورة) . فنحن نقرأ فى عيون الآثار (مخ 340) أن الرسول ترك بين مخلفاته : ازارا طوله خمسة اشبار . وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين ارتداء التبابين والسراويلات خلال ايام الحج ، وامر بالتعويض عنها بالازار . ولكنه قال : « من لم يجد ازارا فليلبس سراويل » . (راجع صحيح البخاري ، ج 2 ، مخ 356) . وراجع باب البرانس وباب العمائم . ويقول النويري فى (تاريخ مصر مخ 2) : فاعطاني هذا الازار وقال : « قد احرمت فيه عشرين حجة » . واخيرا يعلمنا وايلد فى احد كتبه (ص 64) ما يلي « وفى تلك الامسية ، واصل الحجاج سفرهم لدى غروب الشمس ، فلم يرتدوا البستهم ، ولكنهم اكتفوا بستر اعضائهم الطبيعية فقط بنسيج وبلف اجسامهم عموما بالاحرام الذي هو قطعة من القماش المصنوع من الشعر . (راجع كذلك فى الصحيح الكلم النوابغ ، ص 121).

ويروي الرواة ان النبي (ص) قال : « انها ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بالازار » . (الرسالة لابن زيد ، مخ 1193 ، ص 747) .

ويبدو أن صيغة أزر نادرة الوقوع . فنحن نقرأ فى الميداني (مخ 232 ص 16) المثل التالي :

« ان كنت بي تشد أزرك فأرخه » . ويشرح الميداني هذا المثال فيقول : « اي تتكل على فى حاجتك فقد حرمتها » . ويظهر ان كلمة ازر معناها هنا حزام ، كما قال فريتاك فى (الامثال العربية ، ج 1 ص 25) او بالاحرى هي كما يقول ازرك بعد نسم همزة الكلمة محل وضع حزامك ، اي وسط الجسم . ولكن الجوهري لم يورد معنى لكلمة حزام وكذلك فعل القاموس ، ولكنني انبه الى ان الحماسة (طـفريتاك ، ص 657) قد فسرت معنى كلمة مؤزر على هذا النحو : « قوى من الازر وهو موضع عقد الازار من الحقو » .

المئزز ، المئزرة ، المئـزار

تعني كلمة مئزر تبانا Caleçon وهذا ما يقطع به لين فى ترجمته لالف ليلة وليلة (ج 2 ، ص 398) حيث يقول ان كلمة ميزر او مئزر تستعمل حاليا (فى مصر) للدلالة على : زوج من سراويل .

ونجد هذه الشرعة فى الفقه المالكي : « لا يدخل الرجل الحمام الا بمئزر » (ابن ابي زيد ، الرسالة ، مخ 1193 ، ص 747) ولدى النويري ان الحاكم بأمر الله (تاريخ مصر مخ 2 ك ، (2) ص 98) امر « ان لا يدخل احد الحمام الا بمئزر » . والواقعة ذاتها يرويها المقريزي ، ويوردها سيلفستردى ساسي (طرائف عربية ، ج : ، ص 55 النص العربي) . ونقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 249 فى حوادث عام 824) : « قيل لما ارادوا غسل الملك المؤيد لم يجدوا له الا اناء صغيرا يصبون به عليه الماء ولا وجدوا له منشفة ينشفون بها لحيته حتى اخذوا منديل بعض من حضر غسله ولا وجدوا له مئزرا يسترون به عورته حتى اخذوا مئزر بعض الجواري النائحات وهو مئزر اسود سعيدي خشن فسبحان من يعز ويذل » .

ان كلمة مئزر التي لا يمنحها فريتاك الا معنى كلمة باليم (Pallium) اي صدرة الكاهن او المشمال او اللفاع الافريقي ، تعني كذلك قطعة القماش التي تستر العورة ، والتي تلبس من السرة الى اسفل .

ونحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس ، ص 226 و 227) : « وبها زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لانه لا يلبس عليه الا ثوبا من سرته الى اسفل وباقي جسده مكشوف ، وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقرافة مصر . حكاية هذا الشيخ : وكان من أولياء الله تعالى قائما على قدم التجريد يلبس مئزرة وهو ثوب يلبسه من سرته الى اسفل » .

وتعني كلمة مئزر كذلك : كساء . فنحن نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 281 ، حول حوادث عام 822) : « وكان السلطان لابس جبة صوف أبيض وعلى راسه عمامة صغيرة بعذبة مرخاة على كتفه ومئزر صوف ابيض بردى به كهيئة الصوفية» . ونجد فى الف ليلة وليلة (نشر مكناكتن ، ج 1 ص 158) : « وضع عليهم ميزرا اسود وصاروا يتفرجون من تحت الميزر » . ويقول فيما يقوله (فان سليب) (تقرير جديد عن رحلة الى مصر ، ص 307) — وهو يصف ازياء رهبان القديس انطوان على سفح جبل كولزم — ان المئزر الذى هو فى اللغة القبطية احيانا (ميزروس) واحيانا (بلوز) هو رداء كبير من قماش اسود بطانته بيضاء ، شبيه بأردية الآباء اليسوعيين الا انه بلا ياقة . ولكنهم فى غير حالات السفر لا يستعملونه الا فى حالات نادرة جدا » . أما فى يومنا هذا فان كلمة ميزر لم تعد تستعمل — كما يبدو — بهذا المعنى فى مصر . راجع لين (الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 398) .

اما القاموس فيقول ان كلمة مئزرة لها معنى كلمة باليوم (Pallium) اي صدرة الكاهن او المشمال او اللفاع الافريقي . ولعل المستشرق (فان سليب) كان ينظر الى هذه الصيغة حين كتب كلمة ميزر .

واخيرا فان كلمة مئزر تشير الى نوع توك Toque (قطعة خرقة او مئزر او قلنسوة او طاقية القاضي) . ذلك لاننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دى كايانكوس) : « ومن غريب ما اتفق لي يومئذ اني دخلت فرايت القضاة والخطباء والشرفاء (ص 80) قد استندوا الى حيطان المشور (1) وهو غاص بهم

---

(1) تعني كلمة مشور فى لغة عرب المغرب قاعة فى قصر . راجع : مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2، ص 31، مج 2) حيث يروي لنا ان قصر امبراطور مراكش يحتوي على قاعتين فخمتين ، تسميان Mexuars حيث يجلس السلطان ، فيعقد فى احدى القاعتين المجلس العام الذي يشهده خواص البلاط ، اذ يجتمعون للتشاور وتبادل وجهات النظر فى المسائل المهمة بحضور الملك». ويسمى المشور الخاص ، فى رسائل ابن الخطيب .
ويترجم بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) مجلس الملك : Consejo real ويترجم Chancelleria الى مشور . و secretario الى صاحب المشور . ويذكر ديكو دى توريس فى كتابه (قصة الشرفاء ، ص203) كلمة Mesuar ، حيث يعقد الملك مجلسه .
وفى مكان آخر (ص 163) يقول : وكان الرؤساء والشيوخ فى ال Mezuar ، وهو المحل الذي اعتادوا الاجتماع فيه مع الملك اثناء بحث الشؤون العامة » . وفى جهة اخرى يورد المؤلف بعض الكلام (ص 317) فيقول : « يبدو ان الملك يتناول طعامه فى المشور ، ويؤكد نفس هذه الواقعة مارمول (ج 2

من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرق وقـد لبسوا فوق ثيابهم خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها الى اعلى ووجوهها مما يلي اجسادهم وعلى راس كل واحد منهم قطعة خرقة او مئزر اسود وهكذا يكون فعلهم الى تمام اربعين يوما وهي نهايـة الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعـل ذلك كسوة كاملة » . حدث هذا عقب وفاة ابن الملك ايذج . ونجد فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، 288) : « وكان السلطان لابس جبة صـوف ابيـض وعلى راسه مئزر ابيض ملفوفا عمامة صفيرة بعذبـة مرخاة » . وبهذا المعنى عبـرت كلمـة المئـزر الى اسبانيا تحت صيغة الميزر Almaizar ويفـسر معناها كوباروفياس فى كتابه (كنز اللغة القشتالية، مدريد ، 1611) فيقول : الميزر Almaizer عبارة عن لفافة راس او برقع مراكشي يشبه الطرحة. وهذه اللفافة مصنوعة من الحرير الخالص الموشـي بضروب الالوان مع هدبات وعذبات . ويقول ديكـو دي اوربا ان هذه الكلمة بصيغتها العربية تنطـق على هذا المنوال : ازار Yzarum فال هي الاداة ، ومـا ـ قلنا فى مواضع اخرى ـ هي علامة اسم اداة :

Al-ma-yzerum, almaizar, couverture

ويلف المغاربة هذا الازار حـول الراس ، ويدعـون نهايات الحواشي تتدلى على الاكتاف » . وبهذا المعنى توجـد كلمـة اليـزل Almaizal او الميـزر almaizar فى عدة كتب اسبانية قديمة . وكانت تلبس هذه اللفافة من قبل الرجال والنساء على حـد

ص 103 ، مج 2) . وان مؤلف الكتاب الذي عنوانه « مهمة تاريخية فى مراكش ، ج 2 ، مج 2 ، ص 50) يكتـب Mexuar ، مثل مارمول ، ويفسر هـذه الكلمة بأنها قاعة مخصصة للجلسات العامـة . ونحن نقرا فى رحلة ابن جبير (مخ ، ص 190) : « وبهـذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام » . ويبدو ان هذا النوع من القاعات كان معظمه مكشوفا ان لم يكن كنه . اذ يقول جاكسون فى كتابه (تقرير عن مراكش، ص 121) انه يوجد قرب القصر فى مدينة مراكـش المشور M'shoar او محل عقد المجلس ، وهو بناية واسعة كثيرا على شكل مربع ، محوطة بجدران، ولكنها مكشوفة ، ويعقد الامبراطور هناك جلساتـه لسماع افراد رعيته واقامة ميزان العدالـة » . وفى كتاب آخر هو (تقرير عن تمبكتو ، ص 138) يقـول نفس الرحالة ما يلي : « رفعت خيامنا الخاصـة فى المشور Mushoir اى فى محل عقد الجلسات ، على ارض منبسطة محاطة بسور ، حيث يجتمع الشيخ الى مختلف عشائر سوس فيعظمها » . ويقول بيدون دى سان اولون فى كتابه (حالة امبراطورية مراكش الراهنة ، ص 75) : « ان المشـور mishuart هي رحبة مكشوفة ، مزدانة بأعمدة ونقوش بارزة من الرخام . ويكتب لمبرير فى كتابه (جولة فى مراكش، ص 246) mâchoire ويشرح هـذه الكلمـة بأنها جزء مكشوف من القصر » .

وتدل كلمة مشور كذلك على جزء من قصـر منفصل عن بقية العمارة . ويقرر جارنت فى كتابـه (رسالة جوابا على اسئلة غريبة مختلفة ، ص 48) : « يوجد قرب قصر مدينة مراكش عمارة فخمة ، تدعـى michouar يقطنها العلـوج او المرتـدون الذين يرافقون الملك على الدوام لدى خروجـه » . ونقرا فى كتاب (رحلة فى ولايات البربر عام 1785 ، ص 48) ما يلي : « يوجد عدد هائـل من المشاور او المساكن المنفصلة ، بحيث يستحيـل تعدادهـا » . وبعد ذلك نقرا (ص 51) : « يوجد مشور عظيم بجوار الاماكن التي تسكنها النساء اللواتي هن فى خدمته ، هناك حيث تقع اربعة ينابيع وحمامات مزوقة بالمرمر. ويقتصر المشور على اربع مقاصير يتوسطها فنـاء وحديقة . وهذا المشور قريب الشبه بالدير » .

لقد راينا اعلى كلامنا هذا ان كلمة مشور تـدل بصورة خاصة على القاعة المعدة للاجتماعات . ولهذا السبب فان هذه الكلمة تطلق كذلك على الاجتمـاع العام نفسه ، كما يؤكد ذلك بصورة قاطعة هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 169) وكذلك كرابـرDى همسو فى كتابه (مـرآة جغرافيـة واحصائيـة لامبراطورية مراكش ، ص 198) .

وتعني كلمة مشور فى ايامنا هذه حصنا او قلعة. راجع : العقيد سكوت (يوميات اقامة فى مخيم عبد القادر الجزائري (اسم الله) ص 71 ، 160 ، 236 ، 242 ، 260) .

ولعل لكلمة مشور نفس المعنـى فى كـلام ابن بطوطة (المخطوطـة ، ص 268) : « والمشـور فى وسط هذه المدينة وهو كبير جدا ودار الامارة فى وسطه وهو يحف به من جميع الجهات » .

سواء . راجع (اغاني الموريسكيين الشعبية ، ص 237 و 239 الخ ــ وحروب غرناطة الاهلية ، ص 237 و 239) .

وقد عبرت كلمة مئزر كذلك الى ايطاليا ، ففي جنوه تطلق كلمة ميزارو Mezzaro على قطعة كبيرة من القماش ملونة مزخرفة تغطي المراة بها راسها وكتفيها . راجع : (أوصاف جنوه، عام 1781، مع الصورة) . أما كلمة مئزار فلا اتذكر انني صادفتها.

البــردة ، البــرد

قبل ان نورد تفصيلات عن هذا اللباس ، نرى من الضروري أن نؤلف عنه فكرة بالغا ما بلغت هذه الفكرة من قلة الدقة . فدونكم اذن ــ كيفية وصفه من قبل لين في ترجمته لكتاب (الف ليلة وليلة ج 3 ص 241) : «البردة قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك ، الذي يستعمله الناس لاكساء اجسامهم به خلال النهار والمتخذ كذلك غطاء اثناء الليل . اما لون هذا القماش فأسمر ، أو رمادي . ويبدو ان هذا النسيج كان في العهود القديمة مخططا على الدوام ».

والبخاري في صحيحه (ج 2 ، م 356 ، ص 168) يعرض علينا فصلا عنوانه : «باب البرود والحبرة والشملة» الذي نقرأ فيه ما يلي : «وقال خباب شكونا النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له » . والرواية التالية يرويها انس بن مالك . قال : « كنت امسي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غنيظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردائه (1) جبذة (2) شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته . ثم قال يا محمد من لي من مال الله الذي عندك . فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بالعطاء » . والحديث التالي يرويه سهل بن سعد . قال : « جاءت امراة ببردة فقالت : هل تدرون ما البردة . قال سهيل : نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها . قالت : يا رسول الله اني نسجت هذه بيدي اكسوكها . فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها . فخرج الينا وانها لازاره . فجسها رجل من القوم فقال : يارسول الله اكسنيها. قال : نعم . فجلس ما شاء الله فى المجلس ثم رجع فطوٰها ثم ارسل بها اليه . فقال له القوم : ما احسنت . سالتها اياه وقد عرفت انه لا يرد سائلا ــ فقال الرجل : والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم اموت. قال سهل : وكانت كفنه »

وسنجد الحديث التالي فى موضوع كلمة (نمرة) والحديثين الاخيرين فى موضوع كلمة (حبرة) .

جاء فى عيون الاثار (م 340 ، ص 189) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم الجمعة برده الاحمر . ونقرأ للمسعودي (لدى كوز كارتن ، طرائف عربية ، ص 268) ان الخليفة المقتدر العباس كان يضع على كتفيه وصدره وظهره البردة التي كان يرتديها رسول الله (والبردة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم) على كتفيه وصدره وظهره) .

ان هذا اللباس كان مستعملا فى الاندلس ، فنحن نرى فى ملاحظة دي‌كايانكوس (المقري ، تاريخ السلالات الاسلامية فى الاندلس، ج 1 ، ص 413) ان هذا الرداء كان نوعا من الكساء الغليظ (3) وهناك ايضا كاتب لامع هو ابن خاقان يذكر كلمة برد فى مواضع كثيرة من مجازاته واستعاراته ــ فنجد مثلا هذه الجملة لدى هذا المؤلف فى (قلائد العقيان ، ج 1 ، م 306 ، ص 6) : « برد عمره قشيب » . ومعنى ذلك ان حياته تشبه بردا جديدا . ونجد كذلك فى مكان آخر (لدى فيرس ، لابن خاقان ، عن ابن زيدون ، ص 23) فوافاها والربيع قد خلع عليها بــرده (4)

ويبدو ان البرد كان معروفا كثيرا لدى فلاحي مصر فى الازمنة الغابرة . اذ يقول وايلد فى كتابه (وصف رحلة اسير مسيحي ، ص 204) : « ان فلاحي هذا القطر يرتدون فوق قميصهم الواسع الفضفاض بردة طولها عشرة أذرع وعرضها ذرعان يلفون بها

---

(1) ان هذا الكلام يبرهن لنا بصورة واضحة ان كلمة رداء تقابل كلمة مانتو Manteau بصورة عامة ، لذلك فلا حاجة لمعاناة القراء عناء البحث عن كلمة رداء فى كتابي هذا .

(2) ان كلمة جبذة لا وجود لها فى القاموس .

(3) راجع كلمة كساء فى محلها .

(4) لقد اشتق الاسبان من كلمة برد صفة هي Burdo التى سموا بها نسيجا غليظا كما سموا بها رداء غليظــا .

أجسامهم ويلتحفون بها في الليل » . ولا يتطرق الى ذهني شيء من الشك بتاتا حين يتحدث احد الرحالة الاقدمين وهو بلون في كتابه (ملاحظات ، ص 226) عن احد الاكسية بأن هذا الكساء هو البردة نفسها فيقول بأن « المصريين يرتدون قميصا طويلا ابيض اللون ليس على شيء من التعقيد في التفصيل ، كما يرتدون نوع رداء لا خياطة فيه ، مصنوع من الصوف وكأنه سجادة خفيفة يلفون به اكتافهم وجزءا من اجسامهم وليس لهم من رداء سواه حين يجوسون خلال الديار . واذا اتفق لهم عبور ماء عميق فانهم يلفون رداءهم وقميصهم حول راسهم ، فكأنهم عقدوا على رؤوسهم التيجان ، وهكذا يستطيعون عبور نهر النيل حتى في أيام الفيضان » ... ان كلمة السجادة التي استعملها الرحالة الفرنسي الشيخ المحترم تصور لنا البردة ادق التصوير . وحسبما يقول لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 189) ان البردة لا يرتديها في ايامنا هذه الا عدد ضئيل من الفلاحين المصريين ، وهذه البردة تكون في بعض الاحيان خالية من الزخرفة كما تكون في أحايين اخرى مخططة بصورة متقاربة النقوش بحيث يخيل للناظر اليها من كثب انها ذات لون واحد .

واعتقد ان البردة كانت مستعملة كذلك لدى بدو مصر ، لانني اقرأ في رحلة منتكازه الى اورشليم (ص 112) « ان بعض البدو يسترون اجسامهم بقطعة من القماش طولها خمسة اذرع ، ويتدلى ثلاثة ارباع هذه القطعة تقريبا من جهة الذراع اليسري » . ونقرأ كذلك في كتاب كوبان (درع أوربا ، ص 325) « ان عامة الناس هناك يسترون اجسامهم بمجرد قطعة قماش من الصوف تلتف حولها التفاف الافاعي». ونطالع في قصة تيفنو (قصة رحلة الى المشرق ، ص 329) « ان الناس يدرجون مرتدين قميصا طويلا ازرق اللون مخيطا من جميع الجهات حتى الاسفل ، ولهم قطعة قماش كبيرة من الصوف الابيض الغايظ يلفونها عدة لفات على اجسامهم وتحت اباطهم وفوق اكتافهم » . واخيرا ، يقول دارفيو في كتابه (مذكرات، ج 1 ، ص 205 و 206) عن البدو في الاسكندرية الذين يؤجرون حمرهم للمسافرين : « ان ارديتهم لا تحول بينهم وبين العدو والكدح مطلقا ، وهذه الاردية تنحصر في قطعة طويلة من البركان أو في النسيج الصوفي الهفهاف ، الذي يردفون نهاية منه على رؤوسهم ويحيطون سواعدهم واجسامهم وأوراكهم بسائره ، ويربطونه ربطا محكما بحزام جلدي ، بحيث لا يحتاجون الى تفصيل ولا خياطة باتخاذهم منها ما يشبه مسوح الرهبان وما يماثل الاردان والاثواب والسراويل » .

وكانت اليمن بصورة خاصة مشهورة بحياكة الاقمشة التي كانت تصنع منها البرود . (النويري ، نهاية الارب ، م 273 ، ص 96) — وكانت تعمل كذلك في دمياط . واليكم ما يقوله كوبان في كتابه (درع أوروبا ، ص 479 و 480) : « ان طائفة من سكان دمياط بارعون في الفنون الميكانيكية ، وقد مهروا على وجه التخصيص في حياكة الاقمشة المنقوشة بألوان مختلفة ، وتسمى هذه الاقمشة (بور) Bourgs ولعلها البرشم التي لا أعرف معناها .

البرطـــل والبرطـــل

يفسر الجوهري (ج 2 ، م 85 ، ص 180) والقاموس (ط كلكتا ، ص 1396) هذه الكلمة بانها قلنسوة . راجع هذه الكلمة (1) .

البرقـع - البرقـع - البرقـوع

اليكم ما نقرأ لدى الجوهري (ج 2 — م 85 — ص 2) : البرقع والبرقع للدواب ونساء الاعراب ، وكذلك البرقوع . قال يصف جؤذرا (الطويل) :

وخدا كبرقوع الفتاة ملمعا
روقين لما يعدوان تقشرا

ونحن نعلم عن الشعراء العرب انهم كثيرا ما اوردوا كلمة برقع في أشعارهم — كأمثال المتنبي وابي العلاء المعري وغيرهما . (بعد تفهمنا للبيت الذي استشهد به الجوهري يخيل الينا ان البرقع كان ملونا بمختلف الالوان في قديم الزمان) وان شعراء العرب طالما ذكروا هذا البرقع في مجازاتهم واستعاراتهم . ولكن يبدو ان هذا البرقع قد زال من عالم الاستعمال في العصر الوسيط من التاريخ العربي — كما يظهر ان سلطنة الازياء قد احلت محله انواعا اخرى من البراقع . وارى اننا سنحاول عبثا

(1) تاج الاسقف Mître (المترجم) .

اذا سولت لنا انفسنا البحث عن هذه الكلمة فى كتاب الف ليلة وليلة ــ هذا الكتاب الذي وردت فيه اسماء انواع اخرى من البراقع . وانني ارى ــ ان لم اكن متوهما ــ ان البرقع لم يوجد فى مصر الا فى مستهل القرن المنصرم تقريبا .

ويصف الكونت دى شابرول فى كتابه (وصف مصر ــ ج 8 ــ ص 114) هـذا الخمـار على هـذا المنوال : « حجاب يستر الوجه من جـذر الانـف ــ ويشد الى زينة الراس أعلى الجبين ومن كل جانب . وهو قطعة من الموصلى او من نسيج الكتان الابيض الرقيق الدقيق ــ طوله طول الوجه ويتدلى حتـى الركبتين . وهذا الخمار لا غنى عنه للمراة التي تغادر منزلها » . ونقرأ كذلك فى كتاب بوكوك المعنـون (وصف الشرق ــ ج 1 ــ ص 339) : « ان عـوام النساء يضعن على وجوههن نوعا من الغطاء الخفيف مشدودا بشريط الى زينة الراس فوق الانـف » . ونطالع فى تقرير ويتمان (رحلات فى تركيا الآسيوية وسورية ومصر ــ ص 379) : « ان قطعة من الحرير تؤدي اكمل الاداء وظائف البرقع ــ بحيث لا يستطيع المشاهد ان يرى من الوجه الا العينيـن تقريبـا » . (يقول المؤلـف هذا القول عن عوام النساء ــ وفى اللوحة العشرين يمكن رؤية زي امراة من القاهرة من طبقة اعلى . والبرقع الاسـود يتجاوز وسـط هـذا الجسم فقط) وتشير كلمة البرقع الى الشيء الذي تشير اليه كلمة يشمق التركية ــ ذلك لاننا نقرا فى كتاب تيرنر (يوميات جولة فى المشرق ــ ج 2 ــ ص 308) ان هذا الرحالة واجه ــ أثناء رحلته من دمياط الى الاسكندرية ــ نساء قبطيات « مبرقعات بيشمق yatchmak طويل اسود يبـدأ من نهايـة الانـف ويتدلى حتى الركبتين » . ويقول المؤلف نفسه فى مكان آخر (ج 2 ــ ص 396 ــ متحدثا عن عوام نساء القاهرة) : « ويتدلى من هذه الطرحة على الجبين ــ مستعينا ببعض الحلى الذهبية او الفضية او النحاسية الصفر ــ يشمق من القطن الاسود او من الحرير الذي يغطي الوجه بتمامه اللهم الا العينين ــ ويهبط حتى الصدر ــ بل قد ينحدر أحيانـا حتـى يصـل الـى الركبتين » . وفى الختام دونكم ما نقرأ فى الكتاب الجميل لمؤلفه لين (المصريون المحدثون ــ ج 21) : « البرقع او خمار الوجه (لنساء الطبقة المتوسطة) هو عبارة عن قطعة طويلة من الموصلى الابيض ــ وهي تغطي الوجه بأكمله ــ الا العينين ــ وتتدلى حتى تبلغ القدمين او تكاد . ويشد هذا البرقع الى النهاية العليا بشريط ضيق يطوق الجبين . وهذا ــ شأنـه شأن نهايتي البرقع من الاعلى ــ مخيط الى شريط آخـر يدور حول الراس » . ويقول نفس المؤلف بعد ذلك (ج 1 ــ ص 24) : « ان عوام النساء يضعن برقعـا مصنوعا من الكريب (الكريشة) الاسود الغليـظ ــ وبعض النسوة من عترة الرسول صلى الله عليه وسلم يضعن البراقع الخضر على وجوههن » . واخيـرا يتناول بالوصف فى مكان آخر (ج 1 ــ ص 66 ــ 67) زينة البرقع على هذه الشاكلة فيقول : « ان القسـم الاعلى من البرقع مزدان فى معظم الحـالات باللآلـيء الزائفة وبقطع من النقود الذهبية وبتحليات اخـرى من نفس المعدن ــ وهي صغيرة ومسطحة تسمـى (برق) ــ كما يحلى فى بعض الاحايين ايضا بحبات من المرجان ــ وتحت هذه قطع من النقود الذهبية . وتوضع احيانا قطع معدنية فضية ضئيلة القيمة ــ والعادة المتبعة كثيرا هي وضع زوجين من السلاسل المعدنية او الفضية ــ كل سلسلة معلقة بنهاية مـن الجهة العليا وتسمى (عيون) . وبوسعنا ان نشاهد هيئة البرقع فى كتاب لين (المصريون المحدثون ج 1 ص 62 ــ 64 ــ 65 ــ 66) وفى الكتـاب التالـي (وصف مصر ــ المصور ــ ج 1 ــ اللوحة 41) . ولا يوضع فى ايامنا هذه غير هذا النقاب على وجـوه النساء فى مصر . اما فى سورية ــ فنسـاء البـدو تلبس البرقع ــ ويسمون كبلس keblis . راجع بركهارت (تعليقات على البدو والوهابيين ــ ص 29) . وقد ظل هذا النوع من الحجاب مستعملا كذلك فى الساحل السوري . (رجع ــ تيرنر ــ يوميات جولة فى المشرق ــ ج 2 ــ ص 105 ــ 304) . اما فى الجزيرة العربية فان البرقع ملبوس فى ايامنا هذه من قبل نساء مكة وجدة والمدينة ــ فهن يضعـن علـى وجوههن البراقع البيض او الزرق . راجع (رحلات فى الجزيرة العربية ــ ج 1 ــ ص 239 ــ ج 2 ــ ص 239) .

ويبدو ان البرقع كان مستعملا فى شيراز خلال القرن الرابع عشر ــ ذلك لان ابن بطوطـة يقـول فى رحلته ــ متحدثا عن نساء هذه المدينة : « ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء » . (الرحلة ورقة 83 مخ دى كاياتكوس) . ويتحتم على كذلك ان الفت النظر الى ان كلمة برقع فى ما وراء النهر لا تشير الى ستر للوجه ولكنها تعني غطاء كبيرا او رداء تلتف به المراة التفافا شاملا . ونحن نقرا فى قصـة فريزر (رحلة الى خراسـان ــ الملحق ب ــ ص 89) :

« وتطرح النساء على الجسم (جادر) chudder أو ملحفة من الحرير تدعى boorkah وهذه تغطي الجسم من الراس الى القدمين — ولكنهن يدعن فتحة صغيرة على هيئة شبكة بجوار العينين — والحالة نفسها متبعة لدى الفرس ، وهذا الاجراء يسري حكمه على سواكن الحواضر فقط . أما نساء الريف فهن حواسر الوجوه وكذلك شأن عجائز المدن . (المرجع السابق — ص 86) . وفى موضع آخر يقول المؤلف نفسه (ص 104) : « ان نساء المدن والقرى يتقنعن كالمسلمات فى الولايات الاخرى — وهن يضعن براقع boorkas على وجوههن تتدلى من الراس حتى القدمين » .

البركان — البرنكان — البركاني — البرنكاني

تشير هذه الكلمات اما الى هذا النوع الفليظ من القماش (الزملوط Camelot) الذي يسميه الفرنسيون Bouracan ، كما يسميه الاسبان Barracan — وهما كلمتان مشتقتان من التسمية العربية بركان — أو انها تعني رداء مصنوعا من هذا القماش . ومع ذلك ، طبقت كلمة بركان ، فى هذه الازمنة الحديثة ، على اردية مصنوعة من الاقمشة الاكثر نعومة والاعلى ثمنا ، ولكنها فى الوقت نفسه قد فصلت على هيئة البركانات القديمة . ويتحدث ديكو دى هيدو فى كتابه (خطط مدينة الجزائر ، و 9 ، مج 1) عن بدو مدينة الجزائر فيعبر عن الموضوع بالعبارات التالية : « ان ملابسهم هي قطعة من البركان Barragan (Un pedaço de barragan) البالي الممزق . وهم يلفون اجسامهم بها ، ويتخذون منها فى الليل غطاء لمنامهم وفرشتهم . وتستعملها النساء نفس الاستعمال » . وفى مكان آخر من نفس الكتاب (ص 8 ، مج 4) يتناول عين المؤلف كلمة بركان بمعنى رداء ، فيقول ان قبائل مدينة الجزائر يرتدون جميعا كساء Alquicer (راجع كلمة كساء) . يغطون اجسادهم به ، او يلبسون بركانا Barragan غليظا ، مصنوعا من الصوف العادي يلفون اجسامهم به » . ويقول اخيرا دى هيدو (ص 19 ، مج 2) ان البركانات المفرطة فى دقة الصنع ، التي تستعمل اردية للنساء ، تجلب الى مدينة الجزائر من بلاد البربر ، ولكن البركانات الفليظة التي يستتر بها الاعراب (البدو) او يلبسونها هم الفقراء تصنع فى قسنطينة وفى كولو . وما يزال البركان حتى أيامنا هذه يستعمل فى المغرب .

فنحن نقرأ فى كتاب بلاكير Blaquiere (رسائل من مالطة ، ج 2 ، ص 75) : « ان الاعراب يلبسون نوعا من البركان الاسمر تعلوه عمامة . الاول ملتف كيفما اتفق حول الجسم ، ويبدو فى غاية اللطافة والحلاوة بتعلقه بالكتف اليسري » . وفى قصة انكليزية اخرى (قصة اقامة عشر سنوات فى طرابلس الفرب ، ص 20) : « ان البدو يلبسون بركانا صوفيا سميكا لونه لون البن الفامق ، طوله خمسة او ستة اذرع وعرضه ذراعان تماما أو على وجه التقريب . وهذا زيهم الكامل فى النهار ، أما فى الليل فهو فرشهم وغطاؤهم . ويلبسون هذا الثوب بضم نهايتيه العاليتين بمعونة سنبك من الحديد أو الخشب ، وبعد ان توضع هاتان النهايتان على الكتف اليسري يطوي الرداء طيات حول الجسم ، ويلبس بعض البدو هذا الثوب بصورة بديعة خلابة . ويرتدي البدو نفس النوع من البركان ، الذي هو بالنسبة لبعضهم اللباس الوحيد ، لان من النسوة من يضفن اليه قميصا » . واذا رجعنا الى تقرير النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 39) علمنا ان البركان يلبس من قبل الرجال والنساء العرب القاطنين فى اطراف طرابلس الفرب ، وان نساء المدينة يرتدين كذلك هذا اللباس لدى خروجهن من بيوتهن . (المرجع السابق ، ص 17) أما بركان نساء الطبقة العليا فانه مصنوع من الحرير او من خيوط القطن الناعمة ، وهؤلاء النساء يؤثرن الالوان البراقة ، وهن يلبسن هذه الاردية فى هيئة تشكل فستانا انيقا ، وذلك بعقده بصورة رائعة على الراس وعلى الكتفين (المرجع السابق . ص 18 . قارن اللوحة الثانية). ونحن نقرأ فى السفر المعنون (قصة اقامة عشر سنوات فى طرابلس الفرب ، ص 6) : « ان نساء الطبقة المتوسطة يخرجن عادة ماشيات على الاقدام، ولكنهن لا يخرجن ابدا دون ان يكن مصحوبات بجارية او بخادمة . وهن يلتففن حينئذ التفافا تاما بحيث يكون من الاستحالة بمكان تبين شيء عدا طولهن ، ذلك لانه ليس من السهولة تبين حتى قامتهن . ولهؤلاء النسوة رداء — يدعى بركانا — يبلغ عرضه نحو ذراع ونصف ذراع وطوله اربع أو خمسة اذرع . وهذا الرداء يفطيهن كل التغطية ، وهن يسددن به وجوههن سدا محكما فلا يكدن يدعن الا فتحة بالفة الصفر لرؤية طريقهن . والنساء اليهوديات يلبسن

هذا القسم من ازيائهن نفس اللبسة تقريبا . ومع ذلك فهن يتركن احدى العينين للرؤية ، وهذا ما لا تفعله المراة المغربية ولو كان ثمن هذا التصرف الدنيا بأجمعها ، اذا كانت تأبه للرأى العام ، لانها لو تجرات ففعلت فان سمعتها بالتأكيد سينالها كل سوء » . (المرجع السابق ، ص 31) . ويقول الرئيس الاول دنهام (رحلة الى الشمال الافريقي ، ج 1 ، ص 27) : « ان الرجال يرتدون البركان المصنوع من الحرير الابيض الشفاف ... والبركان الغنيظ يلبس كذلك فى سخنا (راجع ليون ، ص 73). ويقرر روجيه فى كتابه (الارض المقدسة ، ص 205) فى معرض التحدث عن البدو : « بعضهم يدرجون عراة فلا يرتدون سوى بركان او ازار من اغلظ الاصواف يلفون به الجسم لفا لاخفاء البطن والاجزاء المخجلة (العورة) » . راجع الصورة ، ص 207 .

البريم

اننا نقرا لدى الجوهري (ج 2 — مخ 85 — ص 268) : « وقال ابو عبيد : البريم الحبل المفتول يكون فيه لونان وربما شدته المراة على وسطها وعضدها » . وانشدنا الاصمعي (الطويل) :

« اذا المرضع العوجاء جال بريمها »

ونقرا كذلك فى القاموس : وقد يعلق على الصبي يستدفع به العين خيطان مختلفان ، احمر وأبيض (ط كلكتا — ص 1577) . تشده المراة على وسطها وعضدها وكل ما فيه لونان مختلفان وحبل لنمراة فيه لونان مزين بجوهر تشده المراة على وسطها وعضدها .

ونطالع فى شرح اشعار جرير ايضا (مخ 633— ص 102) البريم الحقاب وهو خيط تشده المراة فى حقوها . وانما جعله بريما لاختلاف الوانه ، وكل لونين مختلفين فهو بريم . يريد جال بريمها من هزالها وربما كان من خرز . وفى شرح التبريزي للحماسة (ص 556) : والجديل هو الوشاح أو ما تشده المراة فى حقوها من الادم المضفور وليس هذا من عادة العرب وانما الاماء يفعلن ذلك . واذا كان من لونين فهو البريم وهذا يشد فى احقى الصبى تدفع به العين وانما يتخذون البريم من الخيوط ليشد فى احقى الصبيان فتدفع به العين (راجع ص 704 من نفس الكتاب) . وراجع كذلك كاترمير فى ملاحظته القيمة حول العين السيئة بخصوص المثل الواحد والثلاثين من امثال الميداني — وهي موجودة فى المجلة الآسيوية — السلسلة الثالثة — الجزء الخامس — الصفحة 242 — ولم ينس هذا العالم الجليل أن يورد عبارتي التبريزي اللتين فرغتم من قراءتهما) .

وما برح البريم مستعملا فى ايامنا هذه لدى البدو — واليكم ما كتبه حول هذا الموضوع بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين — ص 28): « ان الرجال والنساء يرتدون منذ الطفولة حزاما من الجلد على اجسامهم العارية — ويتالف هذا الحزام من خمسة سيور جلد مبرومة على بعضها بحيث انها عادت تشكل حبلا له سمك اصبع . وقد سمعت من يقول ان النساء يشددن سيورهن المنفصل بعضها عن بعض حول اجسامهن . والنساء والرجال سواء فى تزيين الاحزمة بقطع من الاشرطة أو بالتمائم والتعاويذ والاحجبة . والعنزيون يسمون هذا الحزام حقوا Hhakou ويسميه اهل الشمال بيريم Bireim ويقول الرحالة نفسه (ص 131) فى نفس الكتاب — فى معرض حديثه عن الرجال والنساء المجاورين لمكة والطائف : « ان النساء والرجال على حد سواء يشدون فوق ميادعهم الجلدية احزمة جلد مؤلفة من اشرطة جلدية طويلة دقيقة مبرومة اثنى عشرة برمة أو اكثر— وهي منتفة على اجسامهم . وتشد النساء اشرطة مماثلة — ملفوفة على جلد البطن العاري تحت الميدعة— وهذه عادة شائعة فى الصحراء بتمامها . ويؤكد البدو ان محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان يتحزم بحزام من هذا النوع » .

البرنس ، البرنوس ، البرنوس

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويتبادر الى الذهن أن من الصعوبة بمكان تقرير ما كانت تعنيه كلمة برنس فى قديم الزمان . وطبقا لراى القاموس (ط كنكتا ، ص 739) يكون معناها قانسوة طويلة أو كل ثوب راسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطرا . ويقول احد شراح شعر المتنبي المجهولين فى (الشرقيات ، ج 1 ، ص 289) : « ان البرنس الصغير هو بخنق. لذلك لا يبدو لي من باب الاستحالة التامة ان كلمة برنس كانت تعني فى العهود القديمة نوعا من الطاقيات الصغيرة التى كانت تعتمر بها الرؤوس ، ذلك لان كلمة قلنسوة ، التي يستعملها مؤلف القاموس تعني حقيقة — كما سنرى

ذلك فيما بعد ـ طاقية أو عرقية . وهكذا فان هـذا اللغوي ـ حين يقول قلنسوة طويلة ـ يظهر انه يشير الى : طاقية تتدلى حتى الكتف . اما كلمة بخنـق المستعملة من قبل شارح المتنبي فانها تشير كذلك الى عرقية (راجع ص 55 و ص 56) .

ويزودنا البخاري (الصحيح ، ج 2 ، مخ 356، ص 167) بفصل من هذا الكتاب معنـون : بـاب البرانس . وارى ان كلمة برنس مستعملة فيه كذلك بمعنى طاقية . واليكم كلمات البخـاري : وقال لـي مسدد ، حدثنا معتمر ، سمعت ابي قال : رأيت على انس برنسا اصفر من خز . حدثنا اسماعيـل قـال حدثني ان رجلا قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تلبسوا القمص ولا العمائـم ولا السراويـلات ولا البرانس ولا الخفاف ، الا احد لا يجد النعلين الخ . .

واذ ان هذه الكلمة قد عينت فى الازمنة القديمة طاقية فانها لتشير اشارة ـ لا سبيل الى الاسترابة فى امرها ـ فى العصور الحديثة الى معطف ضخم له قلنسوة . وانني افترض ان كلمة برنس فى القديم كانت لا تنطبق الا على قبعة الراهب الكبوشي التـي كانت تشبه البرنس القديم ، أو الطاقية ، وتنقـى المعطف بأجمعه ، على طريق التوسع ، هذه التسمية منذ ذلك الحين .

ولنبدا بالمغرب . وها نحـن نقـرا فى كتـاب ديكو دى هيدو (خطط مدينة الجزائر ، ورقة 8 ، مج 2) الذي يتحـدث عـن الجزائريـين العـرب : « يرتدون فوق جماع ثيابهم لباسا يشبه المعطف وهو البرنس الابيض Albornoz ، ولكن افراد الطبقة الارفع يرتدون البرانس الملونة السود أو الـزرق ، وفى ايام البرد يتدثرون بدثار آخر من نفس الالوان . وفى مكان آخر (ورقة 19 ، مج 2) يخبرنا المؤلف ان هذه البرانس تجلب من تلمسان الى مدينة الجزائر: والكثير من هذه البرانس البيض والسـود والزرق بديع النسيج محكمة » .

ونجد فى كتاب مارمول (وصف افريقيا ، ج 2 ورقة 83 ، مج 2) فى مادة مدينـة مكنـاس : « ان النساء يغزلن الصوف الدقيق الناعم وينسجن برانس فاخرة من الحرير والقطـن ، وبرانـس اخـرى من القطن والصوف يطلق عليها اسم Bornoz de Mequinez (que llaman Mequinecis) وهذه البرانس مدعاة للتقدير والاعجاب فى افريقيا ، ذلك لانها تنسج نسجا انيقا فتكون طويلة الاعمار ، بالاضافة الى كونها دقيقة الصنع » .

ويقول دارفيو فى كتابه (مذكرات، ج 5 ، ص 281) فى الفصل المعنون : « ملابس رجال ونسـاء مدينة الجزائر ما يلي : « ان المغاربة والمتنصريـن (الموريسكيين) والآخرين الذين يساكنونهم فى المدن لهم برنس ابيض منطرح على اكتافهم يقوم لديهم مقام المعطـف » . ويضيـف الى ذلـك (ص 282) ان الاتراك فى مدينة الجزائر « ينسدل على اكتافهم برنس له قبعة فى نهايتها عقدة ضخمة من الحرير » . ويقول بعدئذ (ص 283 و 284) : « ان معطفهم الاحتفالـي حين يجوسون دروب المدينة زائرين أو عاديـن الى الديوان هو برنس من القماش الاسود شتاء أو مـن الكريبون (1) الحريري أو من الصوف . اما اللون فهو ذاته صيفا وشتاء . وهذه البرانس التي سبق لي ان وصفتها لها حواشي وهدبات مطرزة بالحرير تحيط بها من كل جانب . وهي ضيقة من الاعلى وواسعة من الاسفـل ، ولهـا قبعـات تشبـه قبعات الرهبـان الكبوشيين التي تعلو كل واحدة منها قنزعة ضخمة من الحرير . وهم يغطون رؤوسهم بقبعات البرانس لدى سقوط المطر . والبرانـس كافـة تكون عادة سوداء اللون سمة التواضع والاحتشام التي يتظاهر بها القوم . وهذا اللون لليهود وحدهم ـ القاطنين فى مملكة مراكش وفارس ، حيث يلبس الناس الآخرون البرانس البيض أو الحمر . فهم يلبسـون الاطفـال البرانس الحمر فى مدينة الجزائر ، ويستعمل وجهاء الناس فى الريف هذ اللون ايضا . اما رجـال الادب والمفتون فانهم يرتدون البرانس البيض . ويصنـع اهل تلمسان هذه البرانس ، وهي محركـة بصـورة تجعل احد جوانبها متموجا كأنـه عنقـاش (زملـوط Camelot) اما الجانب الآخر فيشبـه أصواف الحملان المجعدة التي ترد من البحر الاسود . وهم يدعون الشعر متوجها الى الداخل اثناء موسم الشتاء ويدعونه متجها الى الخارج فى فصل الصيف أو عند ما تمطر السماء ، ذلك لان المطر ينساب فوقه دون ان يخترقه ، واذا الحت عليه الامطار بمدرارها فان نفضه عدة نفضات يكفي لعودته جافا كأن لم يمعن فيه الغيث » .

---

(1) نوع من الكريشة الغليظة .

ويكتب وندس في كتابه (رحلة الى مكنــاس ، ص 28) كلمة البرنس هكذا Albornooce ويورد تفاصيل عن هذا الكساء . ونحن نقرا في رحلة شـو الى بلاد البربر والشـرق (ج 1 ، ص 320) : « ان البرنس الذي يشبه معاطفنا يلبس في اغلب الاحيان فوق (الحيك Le Hyke) ليقي لابسه من البرد. وهو الى ذلك فرع مرموق من فروع صناعات الانسجة الصوفية لديهم . وهم ينسجونه قطعة واحدة ، وهو ضيق حول العنق ، ومزود بقبعة ، او بقمع مخروطي Une chausse de Hippocras لتغطية الراس، اما من الجهة السفلى فهو واسع يشبه رداء الفارس. وبعض هذه البرانس مطرزة من الاسفل من نهايــات الحواشي والهدبات .

وفي منتصف القرن الماضي لم يعد البرنـس الذي يلبسه اهالي ممتلكة فاس ومراكش يسمى برنسا وانما يدعى زلحما (راجع هذه الكلمة) ، ولم يبق من عشاقه الذي يلبسونه الا اليهود . فقـد ترك هـذا البرنس او هذا البرنوس ، كما يكتبه هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 146) فان هذا الرحالـة الجليل يتحدث عنه على هذه الشاكلة : « ان جميـع اليهود يلبسون البرنس Le bernûs الاسود ؛ ولكن لا يسمح لهم بارتدائه على نفس الهيئة التي يرتـدي بها المغاربة الزلحم Zolhâm ، وعلى العكس مـن ذلك ، ما يكون لدى المغاربة من الجهة الامامية يوضع لدى اليهود على احد الاكتاف ، وما يكون لدى المغاربة من الجهة الخلفية يوضع لدى اليهـود على الكتـف الآخر . (انظر اللوحة الثانية والعشرين الشكل الاول) ان المزعوم علي بيك (الاسفار ، ج 1 ، ص 4) يصف على هذا المنوال البرنس كما يرتديه اهالي طنجة : « نوع من انواع الاكياس . اجل ، كيس كبير غليظ له قبعة » . ويكون هذا الرداء ابيض اللـون في هذه المدينة ويلبس فوق الحيك (المرجع السابق ص 16) ويزودنا هذا الرحالة حول برنـس اليهـود بنفـس التفاصيل التي نجدها في الكتاب الذي ذكرناه آنفـا لمؤلفه هوست (علي بيك ، ص 33) واعتمادا على تقرير النقيب ليون (اسفار في الشمال الافريقي ، ص 6) نعلم ان سكان طرابلس الغرب يرتدون البرنـس الصوفي الابيض الناعم ، ويلبسونه في المناسبات الرسمية كساء آخر له شرائط من ذهب .

واري ان العبارة التالية من قصة (رحلات فان خيستلا ، ص 31) وهو اقدم جميع هؤلاء الرحالين يجب ان تطبق على البرنس ، يقول : « ان المغاربة يرتدون ايضا نوعا من انواع الفماء (غطاء للراس) وهو دائما من نفس اللون ، ويقرب كثيرا من هيئة ذلـك النـوع الـذي يرتديـه الرهبـان الشارتريـون Les Chartreux ولكنه اوسع كثيرا ، بحيث يبدو وكأنه حلة القداس الخارجية Une chasuble اذن فالبرنس موضوع البحث هنا كان ابيض اللون .

وفي العبارات التي فرغنا من قراءتها لم يصل الى علمنا ان البرنس كان اخضر اللون كذلك . ولكن يبدو ان اللون الاخضر للبرانس يوجـد احيانـا في ايامنا هذه في الجزائر ، ذلك لانني قرات في صحيفة ليدن ، الجمعـة ، 12 آب 1842) : « يشـاع فـي مرسيليا حدثة وصول رجل محتـرم من اهالـي الجزائر الى هذه المدينة يدعى المزاري بيك . — وقد ظهر المزاري نفسه مرتديا — كما هي عادته — برنسا اخضر النون مفرط الروعة » . الخ .

ان مؤلف تاريخ المرابطين والموحديـن الـذي عنوانه « الحلل الموشية ، مخ 24 ، ص 9 » يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الامير يوسف بن تاشفين الى عمه ابي بكر بن عمر : مائة برنوس منها منيـرة وكحل وحمر .

وقد كان البرنس في اسبانيا رهن الاستعمال ، ومن هذه الكلمة العربية اشتق الاسبان كلمتهم البرنز Albornoz الذي جرى وصفه على قلم كوباروفياس (الكنز ، مدريد ، 1611) على هذا النحو : « انــه معطف مقفل، مزود بقبعة، ويلبس اثناء السفر. وهو مصنوع من قماش لا ينفذ المـاء فيـه ، ويستعمـل المغاربة هذا النوع من المعاطف كثيرا او يتخذونـه غطاء . ويقول اوريا انه معطف افريقي ضد المطـر يدعى برنسـا ، وهو اسم بربري سماه به الزناتية » . ونقرا في نفح الطيب للمقري (مخ دى غوتا ، ص 88) ان لباس الشرف ، المهدى من قبل الحكم الثاني الى اوردنيو الرابع كان دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت .

اما في مصر فكان المماليك يرتدون البرنس ، لانني اقرا في قصة الامير رادزفيلLe prince Radzvil (الرحلة ، ص 30) : « وعلى لباسهـم الفوقاني الذي يسمونه البرنس يسدلون من الجهـة الخلفية جلد حيون » .

اما في ايامنا هذه فان المصريـن لا يلبسـون البرنس ، لان كلا من الكونت دى شابرول وليون لم يتحدث عنه . (راجع لين هذا في ترجمته لكتاب الف ليلة وليلة ، ج 3 ، ص 157) .

ويبدو ان البرنس لم يعد قيد الاستعمال منذ قرون فى اقطار الشرق الاخرى .

اما عن صيغة الكلمة فقد راينا آنفا ان هوست قد كتب هذه الكلمة هكذا (برنوس) ، وفى مالطة ينطقون هذه الكلمة نفس النطق فيقولون برنوس (راجع فاسيلي ، قويميس مالطي ، مج 24) . ويقول لين فى (كتابه القيم) انهم ينطقون بالكلمة على شكلين ، فيقولون برنوس وبرنس ، وقد فرغنا من معرفة وجود الكلمة مكتوبة هكذا : برنوس فى المخطوطات الثلاث للحلل الموشية . وفى عبارة اخرى من نفس الكتاب نقرا كذلك كلمة (برنوس) فى مخطوطة ليدن (ص 8) وفى مخطوطة (دى كايانكوس ورقة 12) على حد سواء .

البطان والجمع البطانات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وكان البطان مستعملا فى اسبانيا ، وهو يشير الى حذاء قروي معمول من جلد الثور المدبوغ ، ذلك لان بيدرو د يالكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمة اباركا دى بالو Abarca de palo بكلمة بطان وجمعها بطانات ، كما يترجم هاتين الكلمتين اباركادو كالسادو Abarcado calçado بكلمتي ملابس البطانات . ويقول كوباروفياس عن كلمة اباركا Abarca فى كتابه (كنز اللغة القشتالية): البطان هو نوع من الاحذية القروية التي يستعملها القرويون . وهذه الاحذية على طرازين : الطراز الاول معمول من الخشب . ولما كان لها شكل الزوارق المسطحة فقد سميت :

« Avarcas » (que por tener forma de varcas, se dixeron avarcas)

اما الطراز الآخر فمعمول من جلد الثور المدبوغ، وهي تشد الى الاقدام بخيوط غليظة ويوجد تحت الجلد قطع من الجوخ . وبواسطة هذه الاحذية يستطاع المشي على الثلج دون تعرض لخطر » . والملاحظ كل الملاحظ ان الكلمة العربية بطان وجمعها بطائن تعني كذلك قاربا صغيرا . فيبدو لي اذن انه من المحتمل كل الاحتمال ان الاسم العربي بطان قد سمي به نوع من هذه الاحذية ، لانها كانت تشبه قاربا مسطحا ، شأنها شأن الكلمة الاسبانية abarca (avarca) .

البغلطاق او البغلوطاق

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد سبق لعالمين جليلين من الطراز الاول هما كاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 2 ، ص 75 و 76) وفليشر فى كتابه (De glossis Habichtiani, pag. 32) ان جمعا تفصيلات عن هذه الكلمة . فلا يسعنا هنا الا ان نقدم نتيجة ابحاثهما .

ان كلمة بغلطاق او بغلوطاق التي جمعها بغالطق تشير الى : قميص بغير ردنين او بردنين قصيرتين للغاية ، وهو يلبس تحت الفرجية . وكان يصنع من قطن بعلبك الابيض (1) أو الاخضر وقد وجدت فى

(1) اؤمل الا يغتاظ القراء حين يجدون هنا بعض التفاصيل عن قطن بعلبك الابيض. فاننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 104) : « وفيها استأذن السلطان القاضي بدر الدين محمود الكلشاني كاتب السر الشريف فى أن العسكر يلبس الصوف الماون . فأذن لهم فى ذلك . وكانوا لا يلبسون الا الصوف الابيض فقط . وكان ارباب الدولة المتعممون يلبسون فى الصيف البعلبكي الابيض ، وفى الشتاء الصوف الابيض. فأول من لبس الصوف الاخضر القاضي شرف الدين الدماميني ناظر الجيش الذي تولى بعد القصيري فتبعه بقية المباشرين ». ولا توجد كلمة الكلشاني فى كتاب « لب الالباب » . وفى مكان آخر ص103 يقول نفس المؤلف : « عشرين حمال اثواب بعلبكي » . وانا الاحظ عابرا وجوب اضافة (حمال) فى هذا المعنى الى القاموس . واقرا لدى نفس المؤلف ص 35 ، 123 . اذ يبدو أن الاقمشة القطنية البعلبكية كانت تستعمل لتكفين الموتى ، لاننا نطالع لدى ابن اياس (المرجع السابق ،ص 352) بصدد الطاعون المشهور الذي حاق بمصر عام 833 : « وتزايد الموت حتى صاروا لا يجدون النعوش ويحملون الاموات على الابواب وما اشبه ذلك. وصار البعلبكي والبطائن لا توجد وارتفع سعرها جدا ». ويجب اضافة كلمة نعوش الموجودة لدى (D. Germano de Silesia, pag. 243) الى القاموس . وانني اترجم كلمة بطينة على هذه الشاكلة مقتفيا اثر بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات) الذي يترجمها Baldres . ويخيل الي

(تاريخ مصر للنويري : مخ 2 ، ص 116) ان هـذا الثوب كان يصنع ايضا من الاطلس المديني (المعدني) Madin . ونحن نقرا فيه كلمة (بفلطات ولكنها اغلوطة) . وكانت هذه الثياب تزين بالجواهر واللآليء بل كان بعضها ينسج ويطعم كله بالاحجار الكريمة . واخيرا فهو نفس اللباس الذي كان يدعي قباسلارى، وكان شائع الاستعمال رفيع الشهرة اثناء حكم الملك الناصر محمد وكان قد رفع قدره الامير (سلار) فسمي باسمه . اما كلمة (بفلتاق) الفارسية الاصل فيبدو انها لم تكن مستعملة الا فى مصر .

البقيـر والبقـــرة

نحن نقرا لدى الجوهري (ج 1 — مخ 85 — ص 362) : «البقير والبقيـرة الاتب . وهو قميـص لا كمين له تلبسه النساء . ونقرا نفس المعنى فى القاموس (ط كلكتا — ص 466) : « برد يشق فيلبس بلا كمين كالبقيرة » . (راجع كلمة اتب) .

البقيـــار

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا لدى النويري (تاريخ مصر — مخ 3 ورقة 69) بمناسبة وفاة قاضي القضاة شمس الدين احمد بن الخليل — التي حدثت عـام 237 : « واما سبب ولايته القضاء بدمشق فانه قد بلغ الملك المعظم عن القاضي جمال الدين المصري قاضي قضاة دمشق انه يتعاطى الشـراب . فأراد تحقيـق ذلك عيانـا . فاستدعاه وهو فى مجلس الشراب . فحضر اليه . فلما رآه قام اليه وناوله هنابا مملوءا خمرا . فولـى القاضي جمال الدين المصري ورجع فغاب هنيـة . ثم عاد وقد خلع ثياب القضاء : الطرحـة والبقيـار والفوقانية. ولبس قباء وتعمم بتخفيفة وحمل منديلا. ودخل على الملك فى زي الندماء وقبل الارض وتناول الهناب من يده وشرب ما فيه ونادم المعظم فأحسن منادمته . فاعجبه . واعتذر من فراره انـه مـا كان يمكنه تعاطي ذلك وهو فى زي القضـاة . فاغتبط الملك المعظم به . ولما انقضى مجلس الشراب ورجع المعظم الى حسه علم انه لا يجوز له أن يقره على ولاية القضاء وقد شاهد من امره ما شاهد . ففوض القضاء للقاضي شمس الدين وخلع عليه » .

نرى من هذه الحكاية الغريبة ان البقيـار كـان ملبوس القاضي على وجه التخصيص — والقضية الان هي قضية ان نعلم ماهية هذا اللباس . ان كلمة بقيار او بقياز تعني بالفارسية قواميسنا :

« Tapeti non villosi genus (nigrum, ex pililiscamelinis) »

وهذا ما يحملني على التفكير أن كلمة بقيار فى كلامنا هذا كانت تعني : « نوعا من الثياب المصنوعة من وبر البعير — وكان هـذا الثوب يرتـدى تحـت الفوقانية. والحقيقة ان البقيار وفق راى الزمخشري: (مقدمة الادب، ق 1، ص 62 : (Lexicon arab.-pers. يدل على نفس الثوب المسمى بـ (بركان) — راجع هذه الكلمـــة .

ان الجثث كانت تكفن بهذه البطائن، وبالرغم من أن هذه العادة لم تعد متحكمة فى مصر فاننا نرى مع ذلك بشهادة لين (المصريون المحدثون ، ج 2 ، ص 321) وشهادات مؤلفين آخرين ان جثث الموتى كانت تكفن فى قطع عديدة من القماش . فاذا لم أكن متوهما فى ترجمتي لعبارة ابن اياس فانه ينبغي تقبل زعمي فى أن القدماء كانوا يكفنون الجثث بقطعة من القماش القطني الابيض ثم يدرجونها فى جلد خروف مدبوغ . ونجد لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دى كايانكوس ، ص 30) : ويصنع ببعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره » . ويمكن الرجوع الى مارمول فى كتابه (وصف افريقيا، ج 3 ، ص 111) وما تزال بعلبك حتى ايامنا هذه مشهورة بمصنوعاتها القطنية البيضاء . فنحن نقرا فى كتاب بركهارت (رحلات الى سورية ، ص 15) : « ان سكان بعلبك يصنعون اقمشة من القطن الابيض شبيهة باقمشة زحلة » .

ويبدو ان كلمة بعلبكي تعني كذلك اقمشة حريرية ، فاننا على الاقل نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة ، طبعة هابيخت ، ج 3 ، ص 139) : «قلع الخليفة من علية ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير» . وانظر حول صفة معدني ملاحظة كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 2 ، ق 1 ، ص 33) فحسب رأي هذا العالم الجليل ان الكلمة مشتقة من مدينة معدن Madin ، الواقعة فى ارمينيا ، قرب الفرع الرئيسي من فروع دجلة . وكانت هذه البلدة مشهورة باقمشتها الاطلسية البديعة التي تصنع فيها.

اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل لأعمال
- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد التاسع

الجزء الثاني

يصدرها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي
جامعة الدول العربية :
(الرباط - المملكة المغربية)

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمة الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الاعلام " بغداد "

– 2 –

البلغة وجمعها البلاغي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس
وارى ، كما يرى Dombay فى كتابه
(Gramm. ling. Mauro-Arabica, pag. 82
أن هذه الكلمة تعني حذاء فى المغرب (1) .

البلوطة والجمع بلاليط ، والبملوطة والجمع بملاليط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .
ويترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية وعربية) saya de muger (تنورة نسائية) بكلمة بلوط وجمعها بلاليط ، ويترجمها كذلك ب : ملوطة . ولكن يخيل الى ان بلوطة ليست سوى تحريف لملوطة (راجع هذه الكلمة) ، ذلك لان العرب طالما ابدلوا حرف الميم بحرف الباء فيقولون مثلا (منفسج) بدل بنفسج (راجع الكالا فى كلمة فيولتا violeta والصيغة نفسها نصادفها فى كتاب الف ليلة وليلة) الخ . ويترجم الكالا كذلك sayo de varon (رداء رجالي فضفاض) بكلمة بلوط والجمع بلاليط .

البند والجمع البنود

تعني هذه الكلمة حزاما . (راجع مسالك الابصار ، فى كتاب كاترمير ، ملاحظات ومقتبسات ، ح 8 ، ص 295) حيث نقرا : « يشدون المناطق فى البنود » . وينبغي اضافة هذا المعنى لكلمة بند الى القاموس .

البنش او البنيش

لا وجود لهذه الكلمة فى القواميس العربية ولا التركية ولا الفارسية . ومع ذلك فهي على وجه التأكيد ليست من اصل عربي ، ولما كنت لم اصادفها مطلقا لدى المؤلفين العرب فانني ارى ان الملبس الذى تشير اليه لم يرتد الا فى العصور الحديثة .

ونحن نقرا فى كتاب بوكوك ، وصف الشرق ، (ج 1 ، ص 1) : « وفوق هذا الثوب (لعله الخفتان) يلبس القوم ثوبا آخر ردناه ضيقتان شبيها بثوب يوناني يدعى
« Gelijk een Grieksche tabbaand »
وهو الثوب الاعتيادي » . ويضيف الرحالة ان الناس

---

(1) قال دوزي فى كتابه « المستدرك على المعاجم العربية » ما يلي :
« البلغة هي النعل المتخذة من الحلفا، وهي التى يسميها اهل الاندلس ومن صاقبهم من اهل العدوة بالبلغة . وقد ورد ذكرها فى مطلع قصيدة لابن عبد الملك يمدح بها المأمون ابا العلاء بن منصور من بني عبد المؤمن :
لتبليغها المضطر تدعى ببلغة   وان قست بالتشبيه شبهتها نعلا
وكلمة بلغة ما تزال مستعملة فى المغرب وفى مصر .

في سورية يرتدون البنيش Benisj الحريري . ولكن هذا الثوب لا وجود له في مصر . ويكتبه نيبور ، في كتابه « رحلة الى الجزيرة العربية » ج 1 ، ص 152 » على هذه الصورة Benisch . وبوسعنا ان نرى هيئة تفصيل هذا الكساء في وصف الجزيرة العربية في اللوحة السادسة عشرة من كتابه « وصف الجزيرة العربية » . ويصف الكونت دي شابرول ، في كتابه « وصف مصر » ج 8 ، ص 108 » الثوب الذي نحن بصدد التحدث عنه على هذه الصورة . فيقول : « البنيش ثوب واسع فضفاض ، ردناه كبيرتان للغاية ، بحيث انهما تفوق كثيرا في طولها طول الذراع وطول اليد . وهاتان الردنان مشقوقتان من نهايتيهما » . وبعد ذلك نطالع « ص 110 » : « ان البنيش Benych هو ثوب واسع من الجوخ. ونقرا ذلك في وصف مصر « الاطلس ، ج 2 شروح الصور ص 11 » حول موضوع تجار مكة : « انهم يضيفون الى ثوبهم الاعتيادي بوصفهم مسلمين بنيشا طويلا عريضا من الصوف مخطط بخطوط طويلة بيضاء وسوداء » . ويصف لايت Light الزي الدرزي في كتابه « رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص 220» فيذكر وجود ازار غليظ من الصوف يدعى بنيشا Beneesh وهو مخطط بخطوط سوداء وبيضاء » . ونقرا لدى فون ريشتر ، رحلة الى الشرق الاوسط «ص 142»: « فجلب لي القواص بنايش اي ازرا تلف الجسم كله . فاشتريت منها بنيشا واحدا . لان القوم اخبروني انجبتي كانت غاية في الدمامة والسماجة بحيث لا يصح عرضها في مجتمع انيق اناقة دمشق. وهكذا فقد مضيت بهذا الزي الرائع المصنوع من الجوخ الازرق والمزركش بالذهب الخ » . وفي كتاب مؤلفه بركهارت وعنوانه « رحلات في الجزيرة العربية ، ج 1 ص 338 » نقرا : « يا له من بنيش لونه لون القرنفل مبطن بالاطلس » . وجاء في رحلة بكنكهام الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 443 » : « ان اثقل ثوب معروف لدى سكان ماردين هو الجبة او البنيش لدى سكان انقرة وضواحيها » « راجع كذلك الجزء الاول ، الصفحة السادسة » من كتاب فريزر المعنون « رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين » فهو يتحدث عن البنيش او الرداء المصنوع من الجوخ الناعم المطرز في الاغلب الاعم -- حين يتطرق الى اتراك بغداد ؛ كما يتحدث عنه روبل Rûppel في كتابه « رحلة الى الحبشة » ج 1 ، ص 24» ، واليكم ما يقوله لين في كتابه « المصريون المحدثون » ج 1 ص 41 » : « من هؤلاء القوم من يلبسون ايضا البنش او البنيش ، وهو ثوب من الجوخ . له ردنان طويلتان ، شبيهتان بردني القفطان ولكنهما اوسع ، واذا توخينا الحقيقة قلنا ثوب المراسيم والاحتفالات ، ويجب ارتداؤه فوق الثوب الجوخي الآخر واعني الجبة « ولكن هناك الكثيرون الذين يرتدونه عوض الجبة » . وبمقدورنا ان نرى شكل الكساء في كتاب لين «ج 1، ص 40 ، الصورة اليسرى » .

والبنش ، حسب راي النقيب ليون ، في كتابه «اسفار في الشمال الافريقي ، ص 6 » الذي يكتبه Beneish هو ثوب يرتديه رجال طرابلس الغرب . ويضيف هذا الرحالة ان البنيش يشبه القفطان من حيث الهيئة ولكنه يختلف عنه من جهة التطريز . ويرد ذكر « البنيش الحريري اللازوردي» في كتابي دنهام وكلابرتون « اسفار في شمال افريقيا ، ج 1 ، ص 27 » .

ونحن نرى ان البنيش ما زال يرتدي في ايامنا هذه في طرابلس الغرب ، وفي مدن مصر وسورية، وفي الجزيرة ، وفي العراق العربي ، وفي شبه الجزيرة العربية .

البناقة وجمعها البنائق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقول ديكو دي هيدو في كتابه « خطط مدينة الجزائر » في معرض حديثه عن نساء مدينة الجزائر: « ان جميع النساء ــ مغربيات كن او تركيات او مرتدات ــ يحملن على رؤوسهن اول ما يحملن نوعا من التيجان Una como escofia يخفين فيها شعرهن ــ ويسمينها باللغة المغربية Lartia, ou, beniga . وهي معمولة من التيل ومطرزة من الجهة الامامية بالحرير الملون الاخضر والاصفر ــ الخ . وفي اعقاب هذا الكلام يكتب : Albanega ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه « مفردات اسبانية عربية » هذه الكلمات : « Cofia de muger, et, alvanega cofia : بكلمة بناقة وجمعها بنائق .

وقد راينا ان ديكو دي هيدو يكتب كلمة بناقة Albanega : ولكنه يكتبها ايضا : El beniga :

والحقيقة ان المؤلفين الاسبان يجعلون فى غالب الاحيان [1] — التى يلفظها عرب الغرب ، او) وهيدو نفسه يكتب الكلمة العربية شلشية هكذا: Xixia وفى كتاب مفردات بيدرو دي الكالا نجد ان (ءا) العربية تنقلب دائما الى ((ا)) . ومع ذلك ليس هناك من شك فى وجوب كتابة بناقة وليس بنيقة — لان الكلمة العربية البنقة قد تسللت الى اللغة الاسبانية فى صيغة Albanéga او Alvanéga وفى اللغة الاسبانية (é) تجاوب (ا) العربية . ويجزم كوباروفياس فى كتابه ، الكنز — مدريد — 1611) بأن الكلمة الاسبانية Albanega او Alvanega وهي فى اللاتينية Reticulum عبارة عن شبكة على هيئة دائرة تضعها النساء عادة على رؤوسهن — فيغطين بهذه الوسيلة شعورهن — وهي كلمة عربية مشتقة من فعل ، بنق ، Venega ومعنى ذلك جمع — سوى (Resserrer - Rassembler)

وربما ينبغي علينا التسليم بهذا الراي الاشتقاقي اللغوي الاسباني — لان المعاجم العربية تنص على أن جملة بنق كلامه تعني جمعه وسواه . ولعل بوسعنا ان نرى مع ذلك ان كلمة عربية اخرى — وهي كلمة بنيقة التي تشير الى قطعة القماش التى توضع فى ردن قميص تحت موقع الابط والمسماة نفاجة او نقرة الابط — قد ولدت فعلا هو فعل بنق . والواقع ان فعل بنق يعني فيما يعنيه : وضع نقرة الابط فى قميص . وجملة بنق كلامه لا تعني اذن شيئا آخر سوى وضع نقرات الابط لخطابه اي جمع الافكار والجمل فى نظام متصل متسق . ومن المحتمل كذلك ان تكون كلمة بناقة تحريفا لكلمة بنيقة — وان يكون هذا النوع من التيجان فى العصور الغابرة منحصرا فى قطعة من التيل توضع فوق رؤوس النساء . وقد استعارت العائلة الاسبانية Vanega اسمها من الكلمة العربية بناقة . وبوسعكم ان تروا فى كتاب كوباروفياس المناسبة التى منح بها فارس من فرسان هذه الاسرة هذا الاسم .

البوش

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد.

ولكننا نقرا فى كتاب بركهارت ، ملاحظات حول البدو والوهابيين — ص 27 ، : « ان عباء بغداد هي أفخر العباء اما العباء التى تصنع فى حماه ذات الاردان القصيرة العريضة[1] فتسمى Bouch ويقول نفس الرحالة فى كتاب آخر ، رحلات فى سورية — ص 147 ، فى معرض حديثه عن حماه : « والعباء — او الاردية الصوفية التى تعمل هنا هي غاية فى الجودة وحسن السمعة » .

واعتقد ان هذه الكلمة مشتقة من اسم مدينة مصرية تدعى بوش (1) كما يمكن رؤية ذلك فى قاموس فريتاك وهذه المدينة كانت مشهورة بالثياب التى تصنع فيها .

ولعل مدينة بوش ومصانعها قد عفى عليها النسيان فى الازمنة الحديثة . ولكن كلمة بوش ما تنفك حية مشيرة الى نوع من القماش ، الصوفي — كما اظن ، .

وهكذا فقد طبقت كلمة بوش خطا على الاقمشة المعمولة فى حماه — ثم سميت بها العباء التى تصنع فى هذه البلدة .

التبان

هذه الكلمة — كما سبق ان لاحظنا — ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تنبان التى تعني سراويل من الجلد يستعملها المصارعون (2) كما تعني سراويل

(1) تحدث العديد من المؤلفين عن هذا المكان — راجع مثلا ابا الفداء ، البلدان — ص 107 ، ويكتب لي فى كتابه ، اسفار ابن بطوطة — ص 14 ، الكلمة هكذا Bauch — وهذا غلط — فاليكم ما قراته فى رحلة ابن بطوطة ، مخ دى كيانكوس — ص 14) « مدينة بوش وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم . وهذه المدينة اكثر بلاد مصر كتانا . ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقيا » . حقيقة ان الرحالة لا يتحدث عن الثياب الصوفية التى تصنع فى هذه المدينة — ولكنه يقول بعد ذلك — فى معرض حديثه عن مدينة البهنسة القريبة من بوش : « وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجيدة » . فاذا تحقق كذلك وجود مصانع للثياب الصوفية فى بوش فان تخميني حول أصل كلمة بوش — البادي فى النص — يكون قد تأيد .

(1) ان هذا التبان هو اللباس الوحيد للمصارعين فى الشرق — كما نستطيع رؤية ذلك لدى نيكولو نيكولي Nicol de Nicolai فى (Navigationi et Viaggi, fol. 174, 175

من الكتان يرتديها الملاحون . وهذه الكلمة قد احتفظت بالمعنى الاخير أثناء مسراها الى اللغة العربية . واليكم ما يقوله الجوهري (ج 2 – مخ 85 – ص 343) حول هذه الكلمة : « والتبان بالضم والتشديد سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين . وفي حديث عمار انه صلى فى تبان فقال : « اني ممثون » .

ويترجم بيدرو دي الكالا Pedro de Alcala فى كتابه (مفردات عربية اسبانية :
(Vocabulario Español-Arabigo)
كلمة Bragas بكلمة تبان . راجع كوباروفياس Cobarruvias فى كتابه (كنز اللغة القشتالية) Tesoro de la lengua Castellana, مدريد. 1611 حول كلمة (Bragas) .

التترية جمعها تتريات

ان هذه الكلمة التى – كما نرى – ليست فى الحقيقة والواقع الاصفة منسوبة لكلمة تتر لا وجود لها فى القاموس . وهي تشير الى قباء مصنوع على الطريقة التترية . راجع ملاحظة كاترمير فى كتابه (تعليقات ومقتبسات عربية – ج 1 – ص 213) . ونستخلص من عبارة القريزي التى اوردها هذا العالم الجليل ، ان التتريات كانت مؤلفة من الحرير الاحادي اللون المزركش الحواشي والمطعم بالذهب .

التحتانية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نجد فى مخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر – مخ 1 – – ص 33) : « وخلع عليه اطلسا معدنيا ابيض وتحتانية اطلس بطرز زركش على الفرجيتين » . واعتقد ان التحتانية كانت فرجية تحتانية – وان الفرجية الفوقانية كانت تدعى تحتانية (راجع هذه الكلمة) .

ويقول ابن بطوطة (الرحلة – مخ دى كاينكوس – ص 259) فى كلامه عن سومطرة : « واخرج من البقشة ثلاث فوط . احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن . والاخرى حرير وكتان . واخرج ثلاثة اثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط »

التكة ، وفى لهجة مصر الدكة

ان تبابين (سراويلات) الشرقيين لا فتحة لها من الجهة الامامية مثل تبابيننا . فنجم عن هذه الحالة عدم تزودها بالازرار . ولربطها يستعمل الشرقيون التكة . ويفسر القاموس (ط كلكتا . ص 1351) هذه الكلمة بانها رباط السراويل . وحسب تقرير لين . فى كتابه الموسوم (المصريون المحدثون . ج 1 ص 39) ان الدكة او التكة هي رباط او مشد مطرز النهايتين بالحرير الملون . ولو انه محجوب بالملابس الفوقانية . وباحاطته بالجسم يستعمل لربط التبان . ونحن نقرأ فى الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط القسطنطينية . ج 2 ص 299) وفى القنية « تكره التكة المعمولة من الابريسم – هو الصحيح – لكن في الفتاوي الصغرى والذخيرة وشرح القدوري لا تكره التكة من الحرير عند الامام وعن ابي يوسف تكره » .

ونجد لدى السيوطي (حسن المحاضرة . مخ 13 . ص 334 . حوادث سنة هـ 28) : « زفت مطر الندى (قطر الندى ؟) بنت خمارويه بن احمد بن طولون من مصر الى الخليفة المتضد . ونقل ابوها فى جهازها ما لم ير مثله . كانت من جملتها الف تكة مجوهرة » .

وجاء فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن . ج 1 . ص 333) او ط هابيخت . ج 4 . ص 394) : « لا يصح له ذلك لانه مكتوب عى دكة لباسي قول صعب » . ونقرا فى مكان آخر من ط هابيخت . ج 4 ص 397) : « فمد يده وملس على جسدها . ثم مر بيده على بطنها . ونزل الى سرتها . ونزل فوجد اللباس مربوطا . فنزل بيده على سراويلها ودكتها وجذبها فانتبهت » . وبعد ذلك نقرا (ط مكناكتن . ص 596) : « وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهي كانت تعمل شغلا » . ويتحتم علينا لفهم هذه العبارة ان نتذكر ان اهل الشرق يلبسون القميص فوق التبان) . ونطالع فى مكان آخر (مكناكتن . ج 1 . ص 596) « فحط قمر الزمان يده فى دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره » . وهناك عبارة للمؤلف اسمه روولف فى كتابه (وصف حقيقي لرحلات) يتحدث فيها عن سكان طرابلس الشرق . وفى هذه العبارة يتحدث المؤلف ايضا عن التكة . وبعد ذلك (ص 133) يتزيا هذا الرحال نفسه اثناء سفره من حلب الى

بغداد بزي سكان البلاد الاصليين ، فيصف هذا الزي . فيقول فيما يقوله انه اوصى لنفسه بعمل : « سروال فضفاض من الموسلين (الموصلي) المربوط تحت القميص وهو الجسد العاري برباط هو التكة». ويعرب كوكتوفيك Cotopic في كتابه : الرحلة Itinerarium ص 485) في معرض التحدث عن ازياء الشرقيين بصورة عامة بهذه الكلمات : « انهم لا يربطون سراويلهم بصديرياتهم بالحملات . كما نصنع نحن بربط سراويلنا بقماصلنا Camisoles » . (وكان المؤلف قد زار الشرق عام 1598) ولكنهم يربطونها كيفما اتفق برباط من القطن » .

وافخر التكك ، حسب راي النويري ، هي (نهاية الارب . مخ 273 . ص 96) تلك التى ترد من ارمينيا (تكك ارمينية) . وبعد المقريزي (لدى دي ساسي . طوائف عربية . ج 1 . ص 199) من بين الثروات التى تركها بعد موته احد كبراء مصر : « الف تكة حرير ارمني » . وفى ايامنا هذه يروج هذا المثل فى مصر : « الفندورة المخفية التكة والطاقية » (1). وان بركهارت فى كتابه (امثال عربية . رقم 101) يلاحظ هذه الملاحظات على هذا المثل فيقول : (لقد طبقه المصريون على المنافقين ، او على الجبناء ، الذين ينادون بالويل والثبور على الطرز الانيقة . ولكنهم فى الوقت نفسه يستعملونها ولكن سرا . والتكة El Tikke هي حزام Sach من الحرير او من الموصلي . وهي فى اغلب الاحيان مطرزة موشية ، ويستعملها الرجال والنساء على حد سواء لربط التبان حول مدار السرة ، ولكن تحجبها الثياب . والتكة هي الهدية الاولى التى تهديدها عشيقة لعشيقها . وبعد فان التكة نبع غزير للملح والنوادر والامازيح اذا استخف الطرب عقول سمار النوادي » .

ويبدو ان كلمة تكة او دكة كانت مستعملة دائما لدى العرب ، وهي تشير الى مشد السراويل ، ويخيل الينا ان هذا الشعب لم يستعمل كلمة سواها للدلالة على هذا الجزء من اللباس (2) .

التكلاوات

ان هذه الكلمة ، التى هي ولا ريب كلمة جمع ، لا وجود لها فى القاموس ، ونحن لسنا على ثقة حتى من صحة رسمها .

وقد وجد كاترمير (راجع كتابه : **تعليقات** ومقتبسات ، ج 8 ، ص 213) فى « مسالك الابصار » ولدى « المقريزي » كلمة تكلاوات التى لابد انها تدل على ضرب من اللباس يرتدى فى الهند وفى مصر من قبل الامراء . ويرى كاترمير ان هذه الكلمة صحيحة ، ولكن لعدم وجود نصوص اخرى ،

(1) تأخذ كلمة غندرة والصفة المشتقة منها غندور مفهومات عدة . ولما كان البحث عن هذه الكلمات في المعاجم ضربا من ضروب العبث ، فلا يبدو لي من فضول القول طرح الملاحظات التالية بين يدي القاريء . فكلمة غندور تعني فى اسبانيا والمغرب الرجل الباسل . ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) كلمة (Baragan) paliente بكلمة غندور ، ويتحدث ديكو دي توريس فى (قصة الشرفاء ، ص 372) عن خمسين الفا من المغاربة تجمهروا فى فاس . ويدعون Gandores ومعنى ذلك البسلاء ، الذين يعتبرون انفسهم نواب الجمهورية والمدافعين عنها ، ولذلك منحوا هذا اللقب ، فى حين ليسوا من ذلك فى شيء . ولكن غندور كانت تعني فى اسبانيا متمردا او شقيا ومصطلح غندرة يعني عصابة قطاع طرق (راجع الكالا) . ويلاحظ بركهارت بمناسبة المثل الوارد فى النص قائلا : « تعني الغندرة فى اللهجة المصرية الدارجة المرح والابتهاج والاريحية والبشاشة وحلاوة العشرة ودماثة الخلق . وكلمتا غندور وغندورة شائعتا الاستعمال ، لانهما بانطباقهما على افراد سواد الشعب فى علاقاتهم الودية يعطيان معنى لطيفا . اما فى مالطا فتعني كلمة غندور الانسان الانيق . (راجع فاسيلي ، قويميس مالطي ، مج 319) .

(2) ان جميع الذين يرتدون السراويل يتخذونها ذات تكك . وهذه السراويل تني الجسم تماما والقمصان فوقها . وعندما يحتاجون الى التبرز يجلسون القرفصاء ، وينزعون ملابسهم حول اجسامهم كالنساء ، ويتجهون الى الشمال ، مخالفين اتجاههم الى الجنوب ، لدى قيامهم بالصلوات . فيعملون ما يحلو لهم

واجهلنا اصل هذه الكلمة ؛ يستحيل علينا الدخول فى تفاصيل حول هذا الموضوع .

التـــــاج

ان كلمة تـاج بما تعنيـه الكلمـة الفرنسيـة Couronne غير داخلة فى نطاق موضوعنا . ولكن لفظة تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خـاص مـن اغطية الراس لزينة . كما اننا نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى لدى الكتاب العرب المحدثيـن . فحسب راي ابي الفـداء (التاريـخ – المترجـم مـن قبـل راسموسيـن) وطبقا لقول ريجاردسون فى كلمة تاج – واخذا براي هامر بركستـال – فى كتابـه (تاريـخ الامبراطورية العثمانية) نستخلص بان حيـدر هـو الذى اتخذ التاج (طاقيـة من النسيـج الاحمـر) لنفسـه او لانصاره . ولكن ميلا مع راي اوليناربـوس فى كتابه (رحلات الى موسكوفيا وبـلاد التاتـار وفارس . ص 814) ومع كامفر فى كتابه (التحـف النادرة . ص 70 – 71) ومع مالكولـم فى كتابـه (تاريخ فارس . ج 1 . ص 503) نرى ان ابن حيدر شاه اسماعيل هو الذى تبنى التاج . وقد ورد ذكر البيريه Berretton-Béret فى رحلة بيترو دلافاله فى كتابه (الرحلة . ج : ص 160 ؛ وهـي البريـه الحمراء التى اسمها تاج وهي تقابل الكلمة الفرنسية Couronne ويلبسها جنود المليشيا La milice ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم الا فـى الحـالات النادرة – وفى الاحتفالات الرسمية فقط . ويقول اوليناربوس (813) واصفا التيجان . « انها طاقيات حمراء منفولة من اثنتي عشرة طية – وتكـاد تشبه كل الشبه القناني التى يستعملها سكـان اقليمـي لاندوك وبروفنس . ولها بطن مسطح وعنق غاية فى الطول والضيق » . ويتحدث بعد ذلك (ص 814) عن الطاقيات الحمراء ذوات الثنيات الاثنتي عشـرة تخليدا لذكرى ائمتهم او اوليائهم الاثني عشر . واليكم ما نقرا فى كتاب كامفـر (ص 44) « ان التـــاج Taadsj طاقية عالية – لها هيئة خاصة – والتاج يستعمل فى بلاط فارس – وبه يتوج الملك نفسـه – كما سبق ان قلنـا – اما اعيـان المملكـة فانهـم يتزينون به فى اعظم الاعياد الرسميـة – بحضـور الملك – وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب – وتحف به صفوف من المجوهرات والاحجار الكريمة – ولهذه العلة سماه القوم Tadsji tomàr (تـاج تومـار) وهذا المعنى لتومار او طومـور يجـب ان يضاف الى المعاجم الفارسية – ومعنى ذلك (عقال ملفـوف) Pileus circumligatus – لاجـل تمييزه عن تاج آخر اشد بساطة منه – وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية – التى سنتحدث عنها قريبا . ولدى السوبي Sopi او اليسولي Jesauli وهذا يعني حجـاب البـلاط الملكـي Atrienses او كبار حراس القصر الداخلي للملك . وهذا التاج احمر لا زينـة له . ودونكـم شكله : « ضيق من الجبهة ولكنه يأخذ فى الارتفاع ويمعن فى الاتسـاع . هو من الاعلى مسطح ولكنـه مؤلف من اثنتي عشرة طية او ثنية – طبقـا لعـدد الائمة – ويعلـو فـى وسـط قمتـه شبـه سـاق Ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر .

ويتحدث كامفر (ص 241) فى عبارة اخرى من كتابه الجميل عن عرف خاص يستعمل فيه التاج. واليكم كلمة الرحالة « بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الأسقفي (البرطل) لمن يدعون لدينا

La mitre aulique des Sophis - (Le Tadsj)
Mitram Sophorum aulicam

اما مواطنونا فتسمـى لديهم هـذه العمليـة : « منح وسام الروسية الفرسي . وقد ادخل شابان فى القاعة الثانية – وكان الاول يطمح فى احراز رتبة حجابة القصر الملكي فى مدينة كشغر . Keskèr اما الآخر فيطمح فى وظيفة مماثلة . وهذان المنصبان يتطلبان اداريا حائزا على الانتسـاب الى تلك الطبقة. واما عرض اعتماد الدولة رغبتهما وقف كل منهمـا مسمرا فى مكانه الى ان فرغ الملك من تاملهمـا مليـا والرضـاء عن سمت كل منهما فانتهى الى استجابـة طلبيهما . وبعد ذلك خرج من القصر صحبة يساول باشا – رئيس الحراس فى القصـر – فبدل عمامتـه بتاج من تيجان الـ Les Sophis وكان هذا الرئيس ياتي فى الدرجة الثانية بعد الماريشـال . ولدى رجوعه امر المرشحين ان ينبطحا على بطنيهما وان يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه (وانتظر بعد ذلك طويـلا – بهيئة محتشمة – وهو رافع عصاه طوال الـوقت – اشارة الملك – ولكن طال انتظاره كثيرا – لان الملك كان مسترسلا فى حديث مع عظماء المملـكة . ولمـا حصل اخيرا على هذه الاشارة ضرب كلا منهما ضربا مبرحا – ثلاث عصي – كل ذلك وهو يتمتم ببعض العبارات . وعلى هذه الشاكلة قبلهمـا فى سلـك

ال Sophis . ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين رأسيهما برمز ذلك السلك واذن لهما بأن يشرئب عنق كل منهما — باسم صاحب الجلالة — الى كافة انواع المناصب حسب اقتدار كل منهما . وبعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه — وقد اعتمر راسه بالزينة — وقبلا عصا من ضربهما بالعصا — اظهارا منها للاحترام والاعتراف بالجميل . ثم قلد الشخص نفسه كلا منهما خنجرا — وانصرفا بعد ان اشبعا رغبتيهما . ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود — وقد تشفع لهما الماريشال — ليحلا محل اثنين من ال Sophis او حرس قصر الملك اللذين انتقلا الى رحمة الله . وجرت المراسيم على نفس الشاكلة فى البهو السفلي. وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذى اودعه على امل التبديل السريع لخوذته بالطاقية النبيلة » . ويخيل الي ان فى العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن اياس اشارة الى عادة مماثلة. فاننا نقرأ فى هذا الكتاب امخ 367، ص 149، حوادث عام 803) : « نزل من القلعة هو وبقية النواب واخذوا فى رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان . فلما تمثلوا بين يديه اخلع عليهم اقبية مخمل احمر والبسهم تيجانا مذهبة » .

راجع كذلك ابا الفداء فى تاريخه (ج 2 ، ص 179) . واذا آمنا بما يقوله مؤرخ ارمني هو Tschamtschean فى كتاب — نوادر ارمينية — لدي بيترمان ، ص 2) فان هذه العادة ترقى الى عهد سحيق — وكانت تمارس فى عهد آرام ونينوس . فنحن نقرأ فى هذا الكتاب : « فمنحه تاجا مرصعا بالجواهر والاحجار يزين به راسه — وكانت هذه المنحة فى ذلك العصر دلالة على اعلى درجات المجد والفخار (1) .

التاسوم التاسومة التسومة

ان هذه الكلمة هي مرادف لكلمة نعل Sandale فى عرف فخر الدين (لدى دي ساسي — طرائف عربية — ج 1 — ص 42 من النص العربي) . ومع ذلك فان Germano de Silesia (pag. 740, 776) الذى سبق للمستشرق دي ساسي ان ذكره — قد ترجم الكلمة ب : Pantofola, pianella ولعل هذه الكلمة قد تحور معناها منذ فترة من الزمن . وان التاسومات التى يتحدث عنها فخر الدين كانت معمولة من الليف — ليف النخيل . كما يقول العلامة دي ساسي .

ولم تكن هذه الكلمة مجهولة فى اوروبا . ولكن يخيل الينا انهم فى شبه الجزيرة قد استعملوا كلمة تواسم — ذلك لأن بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يترجم الكلمة الاسبانية Calçon بكلمة توازن (كذا) وجمعها توازنات .

الثبات وجمعه الثبابيت

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واذ انها مشتقة من الفعل العربي ثبت — فقد كانت تعني فى الاندلس — ما يعطي القوة والاعتدال للقدم . ومعنى ذلك الخف او النعال ، راجع بيدرو دي الكالا ، فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) حول هذه الكلمات :

«Calçado con çapatos, calçado comun, çapato».

ومن هذه الكلمة العربية اشتقت الكلمة الاسبانية (Zapato - çapato) تباتو . كما لاحظ ذلك بنفاذ بصيرة تبعث على الاعجاب الاب Guadix وديكو دي اوريا . لدى (كوباروفياس . كنز اللغة القشتالية . مدريد . 1611 . ص 264 . مج 1) . وان الكلمة الفرنسية Savate سافات مشتقة من الكلمة الاسبانية Zapato . وقد كتب دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي . ص 82) هذه الكلمة سباط او سباط : مع حرف السين وحرف الطاء . ولكنني لا اعتقد بصحة هذا المنحى .

التربة جمعها الترباب ، الشردة جمعها الشراد

لا وجود لهذه الكلمات فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا ، فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) : Botin de la muger بوتان دي لا موخير بتربة وثراب . كما يترجم كذلك بوتان اسي Botin assi بشردة وشراد . اذن فهذه الكلمة تشير الى خف امراة .

(1) ان كلمة تاج تعني كذلك نوعا من زينة الراس تحمله النساء العربيات والذي نستطيع ان نراجع بشأنه مراجعة مثمرة لين فى ترجمته (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 424) . وبهذا المعنى نصادف هذه الكلمة فى (مقتطفات من قصة عنترة . .)

الثوب فى اللهجـة المصريـة التـوب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان كلمة ثوب تعني ملبوسـا بصورة عامة ، ولكن له فى هذا اليوم معنى خاصا فى مصر. فكلمة ثوب ، حسب تقرير لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص61) تشير الى نفس الملبوس الذى تشير اليه كلمة سبلة، ومعنى ذلك رداء واسع فضفاض عرض ردنيه يساوي على وجـه التقريب طول الجلباب نفسه ، وهو مصنوع من الحرير ولونه لون القرنفل فى معظم الاحوال او لونـه وردي او بنفسجي وترتدي النساء هذا الرداء حين يـردن مغادرة منازلهن ليؤلفن التزييرة . ومعنى ذلك الحلة التى يضعنها فوق اورديتهن الاخرى . وبوسعنا رؤية هيئة هذه الكسوة فى كتاب لين (الصفحة 64 ، الصورة اليسرى) . والنساء غالبا ما يلففن رؤوسهن باردان هذا الكساء ، اما لتسوية هندامهن واما لاحلال هذه الكسوة محل الطرحة . (راجع الصورة اليمنى فى كتاب لين ، ص 64 و 65 و 66) .

ان كلمة توب او ثوب لم تكتسب هذه او تلك هذا المعنى الا حديثا . فان الكونت دي شابرول لا يسمى الكساء الواسع الفضفاض للنسـاء الا بكلمـة سبلة : ولم اقع ابدا على كلمة ثوب بهذا المعنى لدى المؤلفين العرب . حقيقة اني زعمت مواجهـة كلمـة ثوب فى بضع عبارات من كتاب الف ليلة ولينة ولكن تمحيصا اعمق جعلني اعترف بأن رأيي لم يكن قائما على اساس .

ان للطوارق قميصا من نسيج القطن غايـة فى السعة والفضفضة ، وهو فى الاغلب الاعم ازرق او ابيض ، وله ردنان هائلتان . وهـم يسمـون هـذا القميص Tobe او Tob . راجع هونمان فى كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ص 69) . وراجع كذلك النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 110) . وانظر اخيرا دنهام وكلابرتون فى كتابيهما (اسفار ، ج 1 ، ص 251) . ان كلمة Tob او كلمة Tobe ليست على وجه الاحتمال الا الكلمة العربيـة (الثـوب) او (التـوب) .

الجبة وفى اللهجة المصرية الجبة (بالكسر)

اننا واجدون فى صحاح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ورقة 167) بابيـن عنـوان الاول منهـما : (باب من لبس جبة ضيقة الكمين فـى السـفـر) : « انطلق النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبل فتلقيته بماء فتوضا وغسل فى جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه فكانا ضيقين ، فاخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح يديه براسه وعلى خفيه » . كما نجد فى باب لبس جبة الصوف فى الغزو .. قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال: امعك ماء ؟ قلت « نعم » فنـزل عن راحلتـه فمشى حتى توارى عني فى سواد الليل . ثم جـاء فأفرغت عليه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه . ثم اهويت عليه لانزع خفيه فقال : « دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما — والحديث الاخير يرويه عروة بن المغيرة .

وقد ورد فى مجمع الانهر (ط القسطنطينية ، ج 2 ، ص 258) : « روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة مكفوفة بالحرير ».

ان هذه العبارات ترقى الى العهود الاسلاميـة الاولى . ولكن قبل ان نضرب فى شعاب هذا البحث لا يبدو من العقم ملاحظة ان الجبة من حيث هيئتها تشابـه قليـلا او كثيـرا اورديتنـا الليليـة Nos robes de chambre ولكن طراز العصر السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها — الخ . ولنبدأ بسورية . ولما كـان كوتوفيـك قد قال فى كتابـه (الرحلة ، ص 485) فى معرض حديثـه عن ثياب الشرقيين بصورة عامة : « ان الثوب القطني يلبسه بعضهم مسبلا حتـى الاقـدام — ويرتديـه بعضهـم مسبلا حتى منتصف الساقين — فى حين انـه من

الجهة الخلفية اقصر قليلا من جهته الامامية ــ فاننا لا يخالجنا اي ريب فى ان العبارة التالية للمؤلف روولف تمس اللباس الذى نتحدث عنه الآن . فان هذا الرحالة يقرر ــ فى معرض حديثه عن سكان طرابلس الشرق فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 49) : « وتحت هذا القباء يلبسون ايضا ثوبا آخر ــ مصنوعا من الجوخ ــ هو فى العادة أزرق اللون ــ لاسيما لدى الجنود ــ وهو اقصر من الجهة الامامية منه من الجهة الخلفية ــ وله ردنان واسعتان ــ على انه محروم من الياقة » . ويقول كوتوفيك فى (كتابه القيم المذكور) انه (Collariis caret) وارى ان عبارة داندينى التالية فى كتابه (رحلة من جبل لبنان ، ص 40) وهو يتكلم ايضا عن سكان طرابلس الشرق تخص الجبة كذلك . قال : « أن لهم سترتين . السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام » . (اما السترة الفوقانية فهي العباءة) . ويذكر ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 123) من بين الالبسة التى اقتناها ــ للمضي من بيروت الى قلب سورية « جبة حمراء Dshûbbeh rouge » وهي عبارة عن (ردنكوت Redingote بلا بطانة) .

اما فى مصر فقد كانت الجبة مستعملة كذلك ــ وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى فى ايامنا هذه . فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ 2 ، ص 32) : « وكانت الخلعة جبة عتابي (1) حمراء وفوقها فرجية » . كما نقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 281) : « وكان السلطان لابسا جبة صوف بيضاء . »

وهذه الكلمات نفسها موجودة بعد ذلك (ص 288) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت، ج 3 ، ص 139) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة : « جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وجيش من القمل المذنب » . لا ريب ان الموضوع هو موضوع الجبة فى العبارة التالية للرحالة هيلفريش فى كتابه المعنون (تقرير واقعي مختصر عن رحلات ، ص 393) فان هذا الجوابة يعبر عن الموضوع بهذه الكلمات : « يرتدي هؤلاء القوم بدلا من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) سترة طويلة (Leibrock) اقصر قليلا من الجهة الامامية منها من الجهة الخلفية ــ وهي مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او السنجابي » .

ويصف الكونت دي شابرول فى كتابه (وصف، مصر، ج 18، ص 103) على هذا المنوال الجبة فيقول، « الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك ــ ويوضع فوق الرداء الاول وهو القفطان . ردنا الجبة قصيران بالنسبة لردني القفطان . وتبطن الجبة فى الشتاء ببطانة من الفرو » . ونقرأ فى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41) كما يقرأ فى ترجمته لالف ليلة وليلة (ج 1 ، ص 485) : « ان الرداء الاعتيادي الفوقاني هو قباء طويل من الجوخ الملون كيفما اتفق . ويسمي الاتراك هذا القباء الجبة Jubbeh ويسميه المصريون Gibbeh . ولا تصل ردنا هذا القباء حتى المعصم » . ويسمى لين الجبة ثوبا فوقانيا بالنسبة للقفطان الذى يلبس تحت الجبة Djibbah . ومع ذلك فالقوم يرتدون فوق الجبة اما بنيشا واما فرجية واما عباءة . وبوسعنا رؤية هيئة الجبة فى كتاب (المصريون المحدثون، ج 1، ص 40 ، الفرد الاوسط) . وعلي قبل ان اغادر مصر ان الاحظ كذلك ان جبة رهبان القديس انطوان ــ كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الجبة المصرية من حيث انها لم تكن مفتوحة من الجهة الامامية . وبعد (فانسليب) بين ثياب هؤلاء الرهبان جبة او قباء من الصوف الادكن . وهذه الكسوة مخيطة خياطة غليظة عدا كونها غير مفتوحة من الجهة الامامية » . راجع (قصة جديدة لرحلة الى مصر ــ ص 307) . وكانت الجبة فى القديم مستعملة فى مملكة مراكش ــ ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين فى كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مخ 24 ، ص 9) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الامير يوسف بن تاشفين لعمه ابي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف

(1) راجع حول كلمة عتابي ــ كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 241 ، و ج 2 ، ق 1 ، ص 70) لترى ان هذا القماش قد استعار اسمه من اسم شارع فى بغداد ــ كما لاحظ ذلك دي كايانكوس فى كتابه (تاريخ السلالات المحمدية فى الاندلس ، ج 1 ، ص 358) .

رفيع (1) ولكنني اكاد اجـزم ان هذا اللبـاس لـم يكن يرتديه عرب هذا القطر — منذ القرن الخامس عشر حتى ايامنا هذه . وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس . (راجع بانته — فى كتابه رحلة . ج 2 ، ص 10 من الترجمة الهولندية) .

وكانت الجبة مستعملة فى الاندلس — واليكم ما نقرا لدى المقري (نفح الطيب — مخ غوتا — ص 373) : « ورأى ان يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر » . هذا رأي الموسيقار الشهير زرياب — الذى قدم الى الاندلس فى ايام حكم عبد الرحمن الثاني (1) .

ويقول بيير مارتير فى قصة سفارته الى مصر — خلال عام 1501 — الموجهة الى فريناند وايزابيلا (سفارة بابلية . ص 104) : « ان ثياب القوم الفوقانية هنا تختلف قليلا عن ثياب غرناطييكم التى يسمونها الجيوبة ويسميها الاسبان Marlotas مرلوطة » .

وتستعمل الجبة كذلك فى الجزيرة .. راجع بكنكهام (اسفار فى بلاد ما بين النهرين ، ج 6 ، ص 343) الذى كتبها جبه Jubba .

وتلبس الجبة فى مكة المكرمة حتى ايامنا هذه — اذ ترتدى فوق البدن — وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف — او من نسيج الحرير الهندي . وفى ايام الحر اللاهبة لايرتديها الناس مطلقا — ولكنهم يطرحونها على الاكتاف . راجع بركهارت فى كتابه (اسفار فى الجزيرة العربية . ص 335 و 336 ، ج 1) وفى المدينة المنورة حيث يرتدي الفقراء ايضا هذا الرداء نرى الجبة مصنوعة من الجوخ . (المرجع السابق ، ج 2 ، ص 242) .

لم نتحدث حتى هذه اللحظة الا عن جبة الرجال — Djobbah ou djibbah فيترتب علينا الآن ان نمنح بعض التفصيلات جبة النساء . يقول لين عن اليلك فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58): « ان النساء المترفهات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل او من الحرير — وهي عادة مطرزة بالذهب او بالحرير الملون — والفرق الرئيسي بين

---

(1) ان كلمة ملف التى ربما كان يلفظها اللافظون (ملف) والتى تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير فى بلاد البربر الى نفس النوع من هذا القماش . راجع هوست (اخبار من مراكش — ص 269) فانه يقول ان (ملف انجليس) الجوخ الانكليزي — و (ملف فامينك) الجوخ الفلمنكي (الهولندي) — ويترجم دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص83) كلمة ملف الى بانوس Pannus وحسب تقرير النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي — ص 315) فان كلمة Melf تعني فى سخنة (الجوخ) . ونقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس ، ص 138) : « وتكسى باللبد او الملف » . وفى مكان آخر (ص 151) : وفيها كرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم» . وبعد ذلك (ص 152) : « فرأيت شيخا حسن الوجه واللمة عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود» (فى القسطنطينية) . وفى نفس المرجع : «شقة ملف من عمل البنات وهو اجود انواعه » . وفى موضع آخر (ص 155) : « قد كسيت حيطانها بالملف الملون » . وبعد ذلك (ص 286) : « عليهم جباب الملف الاحمر ». واخيرا (ص 185) : « ستور ملف » . ويترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه المعنون (مفردات اسبانية عربية) كلمات Orillo de paño ب (حاشية الملف). ونقرا فى الاحاطة لابن الخطيب (مخدى كايانكوس ، ص 32) الخبر التالي : « اشترى ملفا فبلها فانتقصت كما يجرى فى ذلك فدرعها بعدالبل فانتقصت فطالب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم .

ويلاحظ ان ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التانيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير . ومع ذلك فبوسعنا ان نفترض ان المؤلف حين كتب كلمة (ملف)فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء — وعلى سبيل المثال فى كلمة جبة . والواقع ان المؤلف نفسه فى موضع آخر (المخ . ص 14) قد عد بين الاقمشة التى يرتديها الفرناطيون الملف المصبوغ . وهكذا نرى كلمة ملف فى صيغة التذكير .

واليوم تشير كلمة ملف (mleff.) فى مالطة الى رداء قرمزي للاطفال . (راجع فاسيلي فى كتابه (قوبميس مالطي ، مج 509) .

هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر فى انهـا ليست غاية فى الاتساع ـ وهذه الحالة بادية علـى وجه الخصوص فى الجهة الامامية، وطولها طـول اليلك » . (ومعنى ذلك انها تلامس الارض او انهـا اطول من ذلك بنحو عقدتين او ثلاث عقد فهي تكنس اديم الغبراء) . وفى الصورة التى يعرضها لين (ج 1، ص 57) عن جبة المراة ـ نرى ان ردنيها يكادان يبلغان حد المعصمين . ولم يمض زمن طويل على مصـر يوم كان ردنا الجبة لا يصلان الى الساعدين ـ كما نستطيع ان نرى ذلك فى اطلس اوليفييه : (اللوحة المرقمة 26 ، رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس) وفى (مصـور وصـف مصـر ، ج 2 ، اللوحة 293) .

والواقع اننا نقرا لدى الكونت دي شابـرول (وصف مصـر ، ج 18 ، ص 113) : الجبـة رداء يسبل على ثياب اخرى. وللجبة ردنان غايـة فـى القصر ـ وهي مبطنة بالفراء شتاء ـ فهي حينئذ تأخذ اسم (وجه فروة) Ouech faroueh

ولعل داندينى فى كتابه (رحلة من جبـل لبنان ، ص 48) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصـة لنساء طرابلس ـ حين يقول ترتدي النساء جبـة اقصر من جباب الرجال ـ بدل ما يدعى السبـان Spain او العباءة Abb

ويبدو أن جبة المراة فى الازمنة القديمة كانت كذلك اقصر مما هي عليه الآن . راجع (مصور وصف مصر ، ج 2 ، اللوحة 266) . ويتحدث ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 212) عـن جبة نساء بدو سورية (Dshübbeh) التى لهـا لون الشوكولاته عادة » . ويضيف قائلا : « ان هذا اللون عزيز على قلوب الرجال ايضا » . اما فى مصر فيستبان ان السيدات كن يرتدين ايضا جبة عصـر مارمول ـ لانني ارى ان العبارة التالية لهذا المؤلف تشير الى هذا اللباس موضـوع البحـث (وصـف افريقيا ، ج 3 ، ص 112) : « ان لهذه الصايات Las sayas هيئـة الجبـاب التركيـة (Aljubas turques)» . وارى ان المؤلف يضيف ما يضيف لتميزهن من الجباب الغرناطية المسبلـة حتى الاقدام ـ والمشغولة من مختلف انواع الحرير ـ او المنسوجة من الذهب او المكفتة به . وترتـدي النساء كذلك الجوخ ذا الاكمام الضيقة المطرزة باسراف بالذهب والحرير » .

وفى مصوع يلفظ الناس كلمة جبة كلفظ اهالي صر لها . وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملون (روبل ـ رحلة الى الحبشـة ـ ج 1 ، ص 200) . والجبة كانت شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن نقرا لدى فريزر فى كتابه (رحلـة الى خراسـان ـ ص 266) : « عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جبابا او اردية شبيهة بأردية الرجـال ـ وهي مصنوعة من نسيج الحرير او من القطن المخطط» . ويضيف الرحالة الى ذلك ملاحظة : « ان الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به ـ وهذه الجبـة لها ردنان مضفوطان على الرسغين ـ ولكنهما واسعان من الجهة العليا ـ وهي مفتوحة من الجهة الاماميـة وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم. كما يمكن طرح هذه الجهة على الاخرى. ولهذه الجبـة شبـه كبيـر بالبيرونـة الفارسيـة Le baroonee واكنها تصنع عادة من الاقمشة الغليظة . والجبة الخراسانية تعمل فى معظم الاحيان من الصوف الاسمر او الضارب الى الحمرة ـ وقد تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جدا ـ ذلك لان حياكتها المحكمة لا تسمح بنفاذ المطر فيهـا بسهولة ـ وهي تقي صاحبها كثيرا من المطـر » . وبعد ذلك نقرا : « اما الفقراء من الدرجة السفلى فى الادقاع فيرتدون جبة قصيرة او قميصـا مـن الصوف » . ونطالع كذلك : « بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني او الازبكي الذى يقتصر على عدة اردية او جباب تعلو الركب قليلا وتربط بحـزام ـ والقماش الذى تصنع الجباب منه امشاج من الحرير والقطن مخططة بخطوط زرقاء وارجوانية وحمـراء وخضراء ـ والاتراك يحافظون على زيهم الخـاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق البستهم فى معظم الحالات » .

وما تزال الجبة مستعمـلة لدى من يدعـون Les Guèbres) من اتباع زرادشت ـ يسكنون فى ايران والهند) راجع فريزر ـ المرجع السابق ـ ص 22) كما بقي استعمالها لدى الاوزبكيين فـى شيـوا Chiwa (المرجع السابق ـ ص 68) . والمصريون يتمثلون بهذا المثل حتـى يومنـا هـذا : « صقل جبته ونقش لحيتـه » ، حين يريـدون ان يقولوا ان فلانا قد استعد للقيام باحدى المهمـات . راجع (بركهارت ـ الامثال العربية ـ ص 367) .

ومن هذه الكلمة العربية « جبـة » استنبـط الاسبان Aljuba, jupa, chupa, jubon

واشتق البرتغاليـون Aljuba
واحدث الايطاليون Giuppa و Giuppone
واستحدث الفرنسيون Jupe و Jupon .

الجديـل والجديلـة

حسب راى الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 188) يدعى الوشاح فى معظم الاحيان جديلا (Ceinture) ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتا من الشعر نجده ايضا فى الحماسة (ص 556) - حيث يقول التبريزي ان الجديل مصنوع من قطع الجلد - وهذه القطع مبرومة على بعضها . وتستعملها الجواري والاماء فقط - ولا تستعملها النساء العربيات . امـا راى القامـوس اطكلكتا - ص 1411) فهو ان (الجديلة شبه اتب من ادم يأتزر به الصبيان والحيض) . وانني اشك كـل الشك ان كلمة جديلة فى هذا المعنى تعني نوعـا من الحزام - بل ارى ان الكلمة تشيـر الى نـوع مـن السراويل .

الجـربيـة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقص علينا ابن الخطيـب فى (الاحاطـة - دى كايانكوس - ورقة 32) عدة امثلة على غفلة العلماء فى مناسبات بسيطة للغاية - والمؤلف يروي لنا حكاية تحكى لخياط من تونس : قال لي ابو الحسن حاسم من قرطاجنة (وهو مؤلف المقصورة المشهـور) ان المستنصر خلع علي جبة جربية (كذا) من لباسـه وتفصيلها ليس من تفصيل اثوابها بشرق الاندلـس . واريد ان تحل اكمامها ونصيرها مثل ملابسنا . فقلت : وكيف يكون العمل ؟ فقال : نحل راس الكم ويوضـع الضيق بالأعلى والواسع بالطرف . فقلت : وبما يحير الاعلى (1) فانه اذا وضع فى موضع واسع سطت علينا فرج ما عندنا ما يصنع فيها الى ان وقعنا بغيرهـا . فلم يفهم . فلما يئست منه تركته وانصرفت . ونحن نرى من هذه العبارة ان الجربية تعني نوعا من الجبـة ذات الكمين . ومارمول فى كتابه وصف افريقيا (ج 2، ص 40 ، مج 4) يكتب الكلمة حريفيا Gerivia ولكن الوصف الذي يصف به هذا الملبوس لا ينطبـق كل الانطباق مع كلمات ابن الخطب . ويقول فى وصف اقليم غزولا Gezoula فى مملكة مراكش « ان الزي الاعتيادي لهؤلاء النـاس ينحصـر فى الجربيـات Gerivias الصوفية - وهي ضيقة لا اكمام لها ولا ياقة - وتنسدل حتى الركب - ويرتديها الناس فوق الجلد مباشرة » .

وانني اجهل ما اذا كانت كلمة الجربية هي نفس كلمة Gerba التي ذكرها النقيب ليون فى كتابـه (رحلات فى شرقي افريقيا - ص 6) التي يقول عنها : « انها قفطان ذو كمين قصيرين - وان الناس يرتدونها غالبا بدلا من البنيش او البنش » . « Beneish » .

الجريـد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ويقرر النقيب ليون فى كتابه (رحـلات الـى الشمال الافريقي ، ص 39) ان العرب فى طرابلـس الغرب يصنفون البركانات Barracans الى ثلاثة اصناف . فأغلظ هذه الاصناف يدعى Aba والارق هو الجريد Jereed اما اوسط الثلاثة فاسمه خولي Kholi . والجريد يرتدي ايضا فى مرزوق ، مـن قبل الرجال والنساء على حد سواء (المرجع السابق ، ص 170 ، 171) .

ان كلمة جريد هي بدون شك من اصل عربي . وان فعل جرد يعني الخ .
Scalpsit, abrasit ; mundavit gossipium

ان صيغة جريد بوسعها ان تعبر عن اسم المفعول كصيغة قتيل ، المشتقة من فعل قتل . فافترض اذن

---

(1) يخيل الي وجوب ترجمة الفعل يحير على هذا المنوال الذي الفظ الكلمة به (يحير) . وانظـر فى القاموس الصيغة الخامسة لهذا الفعل . ونقرأ فىالكتاب المعنون (اخبار الملوك (مخ 639 - ص 131): وامر المعتمد عبد الجليل بن وهبون ان يحيـر البيت الاول . وارى من المحتم على ان احل فعـل يحير محل الفعل (يجير) بحيث يكون المعنى : « امر الامير الشاعر اجـازة البيـت الاول باضافـة بيت ثان » . لعل المؤلف اراد فعل (يجيز) فتوهم فكتبها (يجيـر) المترجـم .
وقع المؤلف فى وهمين . الوهم الاول انـهاراد ان يقول بوجوب احلال فعل (يجير) محل الفعل (يحير) فقال العكس . والوهم الثاني انه اراد ان يقول (يجيز) فقال (يجير) المترجم .

وجوب اضمار اسم الموصوف (بركان) وعلى وجه الاحتمال نقول كان يقال فى الماضي (بركان جريد) .

الجـــرز

اننا نقرا لدى الجوهـــري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 388) : الجــرز بالكسر لباس من لباس النســاء من الوبر ويقال هو الفرو الغليظ . كما نطالع فى القاموس (ط كلكتا ، ص 699) : لباس النساء من الوبر وجلود الشـــاء .

الجرمـــوق

ارجع كلمة سرموجـــة .

الجزويـــرة وجمعها الجـــزاور

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، ولم اقع عليها الا فى لهجة مالطة .

ولكن ترجد هذه الكلمة وجمعها جزاور فى كتاب فاسالي ، فويميس مالطي ، مجم 311) ، وقد لاحظها هذا اللغوي ، وهو مجمع ، كما نعلم ، عربي اصولـــي صميم ، مصوغ صياغة الاسم الموصوف الرباعـــي . وهذا ما يجعلنا نشك فى ان كلمة جزويرة هي من اصل عربي ، ومع ذلك فلست مؤمنا بذلك ، ويخيل الي ان كلمة جزويرة ليست الا تحريفا قويا بعض القـــوة فى الواقع ، للكلمـــة الايطاليـــة Giustacuore

وايا كانت الحالة ، فان الجزويرة ما زالت ترتدي حتى يومنا هذا من قبل سكان مالطة العــرب . وفى كتاب فيسكيه (رحلة الى الشرق ، ص 6) يجـــري البحث حول الكزويرة : التنورة المفتوحة من احـــدى الجهات ، التي ترتديها المالطيات .

وقد تفضل اماري Amari الصقلي المولـــد فاعلمني ان ما يدعى فى مالطة بالجزويرة هو تنـــورة صغيرة من النسيج المخطط بخطوط زرق وبيض ولها طيات صغيرات . وهي مفتوحة من احدى الجهـــات ومشدودة بشرائط صغيرة » .

الجقشيـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي من اصل تركي جقشير ، او على الوجه الاصح جاقشر وتشير الى : بنطلون من الجـــوخ . ويعبـــر دارفيو عنها بهذه الكلمات فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم) فيقول : « تحت هذا القفطـــان وفوق التبان المنسوج يرتـــدون Chakchier او بنطلونا من الجوخ الاحمر نهايتـــه من السختيـــان الاصفر . ويجب ان تكون هذه البنطلونات دائما مـــن اللون الاحمر او الارجواني او البنفسجي والا تكون ابدا من النون الاخضر ، لان محمدا كان يحب هذا اللون ، وان ذراريه يحملون العمامة الخضراء، والناس يعتقدون بايذائه اذا لبسوا الثياب الملونة باللون الأخضر ولـــم يكونوا من احفاده . وهم يعتبرون الفرس هراطقـــة بارتدائهم السراويل والتبابين الخضر » . ويشـــرح نيبور فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربيـــة ، ج 1 ، ص 152) كلمة Schakschîr بانها « سروال أحمر واسع الفضفضة » . ويخطىء من يقرأ شرشيـــر فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 107) . ويفســـر الكونت شابرول هذه الكلمة بانها : « سروال شتائي من الجـــوخ » .

الجلبـــاب ــ الجلبـــاب

سلف ان راينا فى كلمة ازار ــ ان كلمة جلباب قد استعملت فى عبارة للبخاري بوصفها مرادفا لكلمة ازار ــ ونستخلص من ذلك ان الجلباب يشير الى هذه الملحفة الهائلة ــ التي يلتحف بها النساء فى الشرق ــ مـــن الراس الى القدمين ــ حين يردن الخروج من منازلهن . والواقع ان الجوهـــري (ج 1 ــ مخ 85 ــ ص 35) يفسر كلمة جلباب بملحفة وعلى ذلك فان الملحفة تشير الى ما يشير اليه الازار . ويضيف اللغوي الى ذلـــك قائلا : قالت امراة من هذيل ترثي قتيلا :

تمشي النسور اليه وهي لاهيـــة
مشي العذارى عليهن الجلابيـــب

ولعل ابن خاقان كان ينظر الى معنى الكلمة نفســه حين قال (لدى هوكفليت ــ مقتطفـــات من كتاب ــ مختلفين حول اسرة الافطيين المالكة والشاعـــر ابن عبدون ــ ص 47) :

وغدا مصرعهم من نجيعهم وارس الجلباب

وتشير هذه الكلمة ــ حسبما ورد فى القاموس (ط كلكتا ــ ص 58) الى قميص ــ والى ثوب واسع للمرأ دون الملحفة ــ فهو فى هذه الحالة نفس الثوب الذ يدعى هذا اليوم فى مصر سبلة او (توب) ــ او هو اخيرا الخمار نفسه .

وعلى كل حال فقد كان يشير قديما الى ثوب ترتديه النساء . ويخيل الي ان هذه الكلمة قد اكتسبت في الازمة المتاخرة مفهوما خاص مختلفا في المغرب . اذ يقرر شو Shaw في كتابه : (رحلة الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ؛ ص 322

« Reizen door Barbarijen en het Ooste

ان كلمة الـ Jillebba تشير الى نوع قمصلة Camisole بكمين او بدون كمين — ولكنها تختلف قليلا عن قباء Tunique الرومان . وهذه القمصلة تشد بالحزام خصوصا في اوقات العمل وهي ترتدي تحت الحيك . وانني اعتقد ان كلمة Jillebba هي كلمة جلباب العربية التي بتر منها الحرف الاخير . وقد زاد تيفنو هذه الكلمة افسادا في كتابه ، قصة رحلة الى المشرق — ص 53 ،5 حين كتبها Jillet . وهو يقول في معرض وصفه لمدينة تونس : « لبست ملابس البربر مشابهة تماما لملابس الاتراك — لانهم بدلا من البذلة العسكرية المزركشة يرتدون قمصلة يسمونها Camicole ويكتبها مؤلف ، مهمة تاريخية في مراكش — ص 71 — مج 2 — ص 73 — مي 1 — ص 320) هكذا Chilivia وهو يعتبرها سترة صغيرة من قماش غاية في الفلاظة . لها كمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان الكوشيين مزفتة لوقاية الرأس — وهذا الثوب قصير بحيث انه لا يتعدى الحزام » . ونقرا في رحلة وندس (رحلة الى مكناس — ص 29) « ان المغاربة الاشد ادقاعا يرتدون لباسا يدعى Gelebia وهو مصنوع من قماش صوفي غليظ — وهذا الثوب لا اكمام له — ولكنه مزود بثقوب لامرار الذراع فيه — وهو يتدلى حتى يبلغ الركبتين — ويلتف كيفما اتفق حول الجسم على هيئة كيس » . ويكتب ريلي الكلمة في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية (ص 197 — 198 — 248) هكذا Galabbia وهو يراها عباءة من الصوف لها كمان قصيران ومزودة بقبع كبوشي . اما علي بيك في كتابه (الاسفار — ص 278 — ج 2) فيكتب الكلمة على هذا المنوال Djilabia وهو يعتبرها قميصا او عباءة (Shirt or cloak) من قماش مخطط بخطوط دقيقة بيضاء وسوداء . ونطالع في كتاب كرابر دى هيسو مرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية — ص 82) ان طبقة الدهماء في مراكش والفقراء يرتدون لباسا واحدا وهو على هيئة كيس من القماش الغليظ ويدعى Gellabīa : « وقد قورت في هذه الجلابية ثقوب من الجهة العليا ومن الجوانب لاجل ادخال الراس والذراعين » .

ومن المحتمل الا تكون هذه الكلمة قد اشتقت كليا من كلمة جلباب — وان هذا النوع من القمصلة Camisole او الدراعة قد اشتق اسمه من الكلمة البربرية Thelebeh التي تعني حسب قول فنتور في كتابه (رحلة هورنمان — ج 2 — ص 440) توبا . Habit .

الجمازة ، الجمازة

اننا نجد في طبعة كلكتا للقاموس ، وفي افضل مخطوطة من مخطوطات ليدن لهذا السفر . ان الحرف الاول عليه فتحة . ولكن الجوهري (ج 1 ؛ مخ 85 ، ص 389) ينص نصا قاطعا على ان : « الجمزة بالضم مدرعة صوف . ويضيف الى ذلك قائلا :

قال الراجز :

يكفيك من طاق كثير الاثمان
جمازة شمر منها الكمان

ويرى القاموس ان كلمة جمازة تشير الى سترة او (دراعة من صوف) قمصلة :
Une veste ou camisole en laine .

الجنة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا ، ص 1734) : « الجنة كل ما وقى وخرقة تلبسها المراة تغطي من راسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع » .

الجنينة

يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 1734) ان « الجنينة هي لباس من حرير على هيئة الطيلسان . (الجنينة مطرف كالطيلسان) .

الجنبل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر ديكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ، ص 27) ان النساء في الجزائر يضعن فوق البناقة ثلاث زينات للراس . الزينة الثانية

هي شبه عصابة (Trançado morisco) موريسكية من نسيج حريري دقيق مسترسل للغاية وهو يشبه ما يسمى Cendal ويكون عادة ملونا . وهن يلففن هذه الزينة حول رؤوسهن كما هي حالة الزينة الاولى تاركات الاطراف مسبلة فوق الاكتاف حتى موضع الحزام ، وهن يسمين هذا النوع من القلانس Chimbel (Este tocado) ولا ارتاب مطلقا في ان نساء مدينة الجزائر العربيات قد صغن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية (جنبر) التي هي الكلمة ذاتها بالتمام ، مع استبدال الراء باللام ، هما حرفان من نفس الطبقة والصنف . والعرب والفرس والاتراك يلفظون النون امام الباء مثل الميم وليس مثل النون . اذن احسن ديكو دي هيدو صنعا بكتابة (Chimbel) وليس (Chinbel) (1) .

الجـــوب

يفسر الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 37) هذه الكلمة بكلمة (بقيرة) . ويفسر القاموس (ط كلكتا ؛ ص 60) هذه الكلمة بانها (درع المرأة) . Une chemise de femme

الجـوخـة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن دونكم باديء الامر مقالة شائقة للمقريزي (وصف مصر ، ج 2 ؛ مخ 372 ؛ ص 350) : « سوق الجوخيين : هذاالسوقيلي سوق اللجميين . وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج (2) لعمل المقاعد (3) والستائر وثياب السروج وغواشيهم (4)

---

(1) يقول كوباروفياس حول كلمة صندل Cendal (الكنز ، مدريد 1611) ما يلي :
« قماش مصنوع من الحرير الناعم او من نسيجمن الكتان الرقيق الخفيف . والذين يعتقدون بانه مصنوع من الحرير يقولون بأن اصل الكلمة Sedal وبعد اضافة حرف النون الذي سقط تصبح الكلمة Sendal اما الذين يقولون بانه نسيجالكتان الرتيق فيرجعون ان اصل الكلمة هو Sindone .
(نص لاتيني بنفس المآل) — المترجم .
ويقول الاب Guadix بأن اصل الكلمة هو عربي مشتق من الاسم العربي صندالي Cendali والذي يعني غالبا الورق الخفيف الرقيق ، وهو الاسم الذي يطلقه العرب على الحرفي الذي يقوم بطرق صفائح الذهب الرقيقة ، وهو في الاسبانية Batihoja اى طارق الاوراق الصفائح الذهبية) . (ترجمة لويس رومانوس)

(2) لعل البلد المصدر الرئيس هو البندقية. راجعسيلفستر دي ساسي في كتابه ؛ (طرائف عربية ج 1 ؛ ص 87) .

(3) المقاعد تعني الصفف . لانني اقرا في كتاب نادرللغاية اقتني الجزاين الاول والثاني منه (الجزء الثالث نادر) وعنوانه (Les Voyages du sieur de la Moraye en Europe, Asie et Afrique, tom. I, pag. 85
ان الصفة هي مصطبة مصنوعة من الألواح الخشبية ، وترتفع عدة اقدام عن الارض وتستند الى الحائط .

وتوضع فوقها المنادر ، وهي حشايا مغطاة بقطعمن الاقمشة واسمها مكات Maccates ؛ ولها وسائد مغطاة كذلك ومستندة الى جدار العرفة لتتكئ عليهاالظهور وتد التفت الساق بالساق ؛ كما يصنع الخياطون » .

ان كلمة مكات Maccattes التي اوردها هذاالرحال تعني بلا ريب كلمة مقاعد التي ذكرها المقريزي .

(4) من العبث كل العبث ان نتحدث عن كلمةغاشية ؛ بعد ان افاض في شرحها العلامة الجليل كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ص 4 — 7 ؛ ق 1) فقد اغترف بشأن هذه الكلمة من كنوزه الغزيرة ما لا قبل لنا بمباراته . ولكن هناك كلمةاخرى تدل كذلك على غطاء يوضع على ظهر الحصان او البغل ، وكان يصنع في الغالب من الجوخ ؛ فيتحتمعلي ان اقول بعض الكلمات عن هذا الغطاء .
اريد ان اتحدث عن كلمة زناري . فنحن نقرا لدى السيوطي (حسن المحاضرة) وهو يتحدث عن القضاة ؛ ومراكبهم البغال . ويعمل بدلا من الكنبوشالزناري . ونقابل كلمة كنبوش الكلمة الفرنسية

وادركت الناس وقل ما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخة لا تلبس الا فى يوم المطر . وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب ، والافرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام مصر . فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا فى وقت المطر . فاذا لرتفع المطر نزع الجوخة . واخبرني القاضي الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال امي رحمه الله قال : كنت انوب فى حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المجتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي : وكيف ترضى ان تلبس الجوخ ؟ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ؟ ثم اقسم علي ان اخلعها . وما زال بي حتى عرفته ابن اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل . فاستدعاه فى الحال ودفعها اليه وامره باحضار ثمنها . ثم قال لي : لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له . فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة اهل مصر الى ترك اشياء مما كانوا فيه من الرقة وصار معظم الناس يلبسون الجوخ . فتجد الامير والقاضي ومن دون من ذكرنا لباسهم الجوخ . ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل احيانا الى الاسطبل وعليه ممجون من جوخ . وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه . فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرته . ومحل بيعه بهذا السوق » .

قبل ايراد ترجمة هذا النص للمقريزي ، ارى لزاما علي ان احملكم على ملاحظة ان كلمة جوخ ، التي اشتقت منها كلمة جوخة ، هي الكلمة التركية جوقة التي تشير الى الجوخ . ولعل الكلمة اليونانية الحديثة روخن مدينة بأصلها الى هذه الكلمة التركية .

وتوجد كلمة جوخة فى هذا النص للنويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 192) : ولبس السلطان جوخة مقطعة .

هذا النص الذي يبدو منه ان المقريزي نسخه عنه فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 2 ، ص 63) . كما اننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 37) : قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه . ويفسر كانيس فى كتابه (ص 171 ، نحو عربي اسباني) الجوخة بانها لباس من الجوخ شبيه بالرداء الفرنسي الردنكوت Redingote .

الجوذياء

يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 436) ان الجوذياء هي (مدرعة من صوف للملاحين) .

الجورب

تدل هذه الكلمة – حسب راي القاموس (ط كلكتا – ص 56) على (لفافة الرجل) .

واعتقد ان النص التالي للرحالة نيبور فى كتابه (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 153) بوسعه ان يلقي ضوء او بعض الضوء على هذا التفسير . يقول الرحالة : « ان الشرقيين يلفون اقدامهم وسيقانهم بخرق صوفية كبيرة – وفوق هذه اللفافات يلبسون خفافهم الواسعة . وعلى ذلك فان خطواتهم ثقيلة – ولكن هذه الخرق تدفىء اكثر مما تدفىء جواربنا . فاذا تبللت هذه الخرق مرة – فانها لن تدفىء بعد ذلك الا قليلا – وعلى نقيض ذلك – فان هذه اللفافات يمكن ان توضع حول السيقان بشكل يختلف عن شكل الامس » .

ويرى ابن بطوطة (الرحلة – مخ دي كايانكوس – ص 47) ان المسلمين يرتدون الجوارب حين طوافهم حول الكعبة لحماية اقدامهم من الحرارة اللاهبة .

لاهوس la housse . . وان المستشرق دى ساسي الذي نشر هذا النص فى كتابه المنوه به (ج 2 ، ص 297) – راجع كذلك تعليقه ، ص 270 – قد توهم فى طبع الكلمة هكذا (زنادي) فى حين انها (زناري) وهي موجودة فى مخطوطتي ليدن لكتاب السيوطي (مخ 113 ، ص 354 ، ومخ 376 ، ص 460) ، ولا مرية ان الشك قد انقطع استنادا الى النص التالي لمخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 121) حيث نقرا : انعم عليه ببغلة بسرج وزناري جوخ . وقد قرات فى جزء آخر من نفس الكتاب (مخ 2 ، ص 116) : وركب فرسا اشهب من مراكيب السلطان بزناري اطلس احمر بدائر اصفر برقبة سلطانية مزركشة وسرج سلطاني محلى بذهب .

راجع بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 121) .

راجع كذلك حول كلمة رقبة تعليق « كاترمير » فى كتابه « تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 135 » .

ويفسر بيدرو دي الكالا فى كتابـــه (مفـــردات اسبانية عربية) هذه الكلمات Calças de muger بانها جورب . ولعله يستعمل كلمة Calças لا بمعنى تبـــان Caleçon او ســـروال Culotte وانما بمعنى جـــورب Medias, calzas, bas .

المجـــــول

يظهر ان هذه الكلمة تشير الى ثـــوب صغيـــر للمراة . فنحن نقرا لدى الجوهري (ج2 ، مخ 85 ، ص 191) : « المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية. ويستشهد اللغوي فى هذه المناسبة بالشطر التالي من معلقة امرىء القيس (الطويل) :

اذا ما اسبكرت بين درع ومجول (1)

والدرع هو قميص المراة الكبيرة ، والمجول هو قميص المراة الصغيرة .

ويرى الفيروزبادي (القاموس — ط كلكتا — ص 1418) ان هذه الكلمة تشير الى (ثـــوب للنســـاء وللصغيرة) . وكان العرب القدامى يستعملون هـــذا الثوب فى لعبة الميسر . ويقول النويري انه (ثـــوب ابيض) . راجع راسموسين Rasmussen ذيـــل تاريخ العرب قبل الاسلام — ص 28 من النص العربي .

الحـبـرة — الحـبـرة

تدل هذه الكلمة على نوع من البرد — مصنوع فى اليمن — ومعنى ذلك ان الحبرة هي رداء واسع مخطط. ولذلك استطاع احد الشعراء (اليتيمة — مخ لي Lee ص 14) ان يقول وهو يتلقى كتابا من احد الاصدقاء (البسيط) :

وروضة من رياض الفكـر دبجهـا
صوب القرائح لا صوب من المطر
كانما نشرت ايدي الربيع بهـا
بردا من الوشي او ثوبا من الحبر (2)

وهكذا نرى ان الشاعر هنا ينظر امامه الى رياض تتفاوح بالازهار وتتماوج بالالوان — فيشبهها بالملابس المخططة الملونة المسماة بالبرود والحبر .

ونحن نقرا فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356، ص 128) فى باب البرد والحبرة والسملة — الحديث التالي — المروي عن انس الذي يرويه هو بدوره عـــن قتادة . قال : قلت له اى الثياب كان احب الى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحبرة . ونقرا كذلك فى الباب نفســه ان المراة التي كانت عزيزة على قلـــب الرسول — وهي عائشة — قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى سجى ببرد حبرة .

واستنادا الى الكتاب المعنـــون : عيون الآثـــار (مخ 340 ، ص 188) نعلم ان الرسول ترك فيما ترك حين توفى حبرة . ويظهر ان هذه الثياب ما كانت تصنع الا فى اليمن (الجوهـــري — ج : — مخ 85 ص 276 — والقاموس ط كلكتا — ص 491) . ويتحتم علي ان اعترف ما يميز الحبرة من البرد .

وفى العصور الحديثة اصبحت هذه الكلمة تدل على شيء آخر مختلف كل الاختلاف . اذ لما شعرت نساء مصر ان الازار اصبح مزريا بشموخهن شرعـــن بارتداء هذا الرداء الحريري — او المصنوع من التفتا او من الشال — وخلعن عليه اسم الحبـــرة — هـــذه التسمية الموجودة فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 114) — وبوسعنا رؤية هيئة هـــذا اللبـــاس فى الاطلس (ج 1 — اللوحة 41) .

ونحن نرى فى اللوحة العشرين مـــن (رحلـــة ويتمان فى تركيا الاسيوية وسورية ومصر — ص 384:
Wittman (Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt)

« ان النساء يرتدين رداء اسود واسعا يغطي على وجه التقريب كل الجسم ويتدلى حتى العقبيـــن » .

---

(1) الشطر الاول من هذا البيت هو : الى مثلها يرنو الحليم صبابة .
راجع شراح معلقة امرىء القيس كالزوزني والشنقيطي والتبريزي وغيرهم (المترجم) .

(2) ان كلمة وشي تشير الى نوع من القماش الثمين . فالادريسي (الجغرافية ، ج 2 ، ص 128) يعلمنا ان هذا القماش كان يصنع فى اصفهان . وفى نص لابن سعيد ذكره المقري (تاريخ الاندلس مخ غوتا ص 40) نقرا : فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته اهل المشرق اذا راوا منه شيئا. وفى تاريخ العباسيين للنويري (مخ 2 ، ص 150) ورد ذكر وشـــي اليمن ووشي قرمز . وهذه الكلمة الاخيرة تنم على ان الوشي هو نوع من (الاسقلاط — القرمزي — الارجواني écarlate) . والكلمة تدل كذلكعلى لباس ملون. وبوسعكم — للتعمق فى هذا الموضوع— مراجعة الجزء الاول من كتابي : (تاريخ بنـي عباد ، ص 86 — 87 — ت 753) .

ونقرا فى كتاب تيرنر – ص 396 – ج 2
(Turner, Journal of a Tour in the Levant,
« ان الميسورات الحال – سواء كن مسلمات او مسيحيات – يستترن – لدى خروجهن من مساكنهن – برداء واسع من الحرير الاسود » . واخيرا اليكم الوصف الدقيق للحبرة – الذي يعرضه لنا لين فى كتابه (المصريون المحدثون ج 1 ، ص 61) : « ان حبرة المراة المتزوجة تتالف من عرضي قماش من الحرير الاسود اللمع . وكل عرض من هذين العرضين عرضه ذراع وطوله ثلاث اذرع – وهما مخيطان معا فوق طرفي القماش او قربهما (حسب ارتفاع القامة) – فى حين ان الخياطة موضوعة بصورة افقية – بالنسبة للهيئة التي يرتدي بموجبها هذا اللباس . وهناك قطعة دقيقة من شريط اسود مخيطة داخل الجزء العلوي – على بعد نحو ست بوصات من الجانب – لتكون ملفوفة حول الراس . – اما الاوانس فيرتدين حبرة من الحرير الابيض – او حبرة من الشال » . اما فى أيامنا هذه فان الحبرة ما زالت مستعملة فى الجزيرة العربية – فى سورية وفى الجزيرة . ويعلمنا بركهارت فى كتابه – رحلات فى الجزيرة العربية – ج – ص 329
(Burckhardt : Travels in Arabia
ان نساء مكة يرتدين الحبرة الحريرية السوداءالفضفاضة كما ترتديها نساء سورية ومصر » .

ويؤكد بكنكهام – فى كتابه – رحلات فى بلاد ما بين النهرين – ج 1 – ص 392
Buckingham : Travels in Mesopotamia,
ان نساء ديار بكر يرتدين احيانا خمارا واسعا من الحرير الاسود – كما هي العادة فى القاهرة بين نساء الطبقة المرفهة » .

الحريم ، الاحرام

نحن نعلم ان كلمتي حريم واحرام تشيران الى نوع من القماش يستعمله المسلمون اثناء تأدية فريضة الحج الى مكة المكرمة . ومع ذلك فان كلمة احرام لا وجود لها فى القاموس بهذا المعنى .

ويرى وايلد فى كتابه (وصف رحلة اسير مسيحي ، ص 64) ان « الاحرام Ehram هو قطعة من الشعر » . وبمقدورنا رؤية هيئة الاحرام Ihrâm فى الجزء الثاني من كتاب (صورة عامة للامبراطورية العثمانية لمرجي دوسون Mouradgea d'Ohsson .

واخذا بوجهة نظر احد شراح الحريري (المقامات، ص 255) تشير كلمة احرام كذلك الى : نوع من غطاء الراس شبيه بالمئزر (راجع هذه الكلمة) الذي يستعمله عرب اسبانيا وافريقيا . والواقع ان بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يؤكد ان كلمة احرام تدل على نوع من اغطية الراس يشبه المئزر ... « Toco como almyzar »

وبهذا المعنى صادفته لدى ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : « وسرنا الى ان وصلنا الى مدينة قسطنطينية . ونزلنا خارجها واصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليلا الى دور (1) هنالك . فلما كان من الغد تلقانا حاكم (2) المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يشهر بأبي الحسن . فنظر الى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها فى داره . وكان الاحرام منها خلقا . فبعث مكانه احراما بعلبكيا (3) وصر فى

---

(1) ان كلمة دور تشير تماما الى مجموعة من خيام العرب البداة . وهذه الكلمة موجودة بهذا المعنى لدى معظم الرحالين الذين طوفوا فى شمال افريقيا فى مختلف الحقب .

(2) راجع حول استعمال كلمة حاكم فى المدن المغربية ، لمبريير Lempriere فى كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 256) . وراجع ايضا كرابر دي همسو فى كتابه (مرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية ، ص 211) اذ يكتب الكلمة هكذا Hhakem . راجع كذلك :
Charant (Letter in answer to divers cutious questions, pag. 51, 52, 53)
وارجع ايضا الى توريس فى كتابه (قصة الشرفاء ، ص 193 – 259) .

(3) معنى ذلك : من القطن البعلبكي الابيض . راجع التعليقات فى مادة بغلطاق .

احد طرفيه دينارين من الذهب ، فكان ذلك اول ما فتح (1) به علي في وجهتي » (2) .

وبوسعنا ايضا مراجعة : النص التالي لرحالتنا الوارد في (ص 40) .

الحزة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نعلم ان حزة تدل في اللغة العربية على الباكية (3) حيث مجرى التكة . ومعنى ذلك الحزام الذي يستعمل لربط التبان . وقد اكتسبت كلمة حزة في مالطة من جمعها حزز مفهوما اشد اتساعا ، اذ انها في ايامنا هذه تشير الى التبان مع التكة او الحزام . راجع فاسيلي في كتابه (مج 262 فوبميس مالطي) .

الحزام

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ، بالمعنى المراد .

وتشير كلمة حزام في مصر الى الزنار الذي يشده الرجال فوق القفطان ، والذي تشده النساء فوق اليلك او فوق الانطاري . يقول الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) واصفا زي الرجال : « الحزام مصنوع من الموصلي ومن الصوف او من الحرير ، وهو يشد فوق القفطان » . ويقول بعد ذلك (ص 113) وهو يصف زي النساء : « الحزام يكون في الصيف من الحرير او من الموصلي ، ويكون في الشتاء من شال الصوف الكشميري . وهو حين يربع يتدلى الى الوراء على هيئة مثلث » . ولم تدخل هذه الكلمة حديثا الى اللغة العربية . فانني اقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مج دي كاياتكوس ، ص 113): « اخذت بالحزام وشددت وسطي » . وفي موضع آخر (146) يقول المؤلف نفسه في مقالته المهمة ، وهو يفيض في اتحافنا باعجب التفصيلات عن بلغار الفولغا : « وياتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير وفي حزامه جملة سكاكين في اغمادها » . ونجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط. مكناكتن ، ج 1 ، ص 904) : « البسه قميصا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا » . ولما لم يكن لعرب مصر — حسب علمي — كلمة اخرى للاشارة الى الحزام المعمول من القماش ، الذي يشد على القفطان ، فلا يريبني اى شيء مطلقا في ان العبارات

---

(1) الترجمة الحرفية : « الفتوح الاولى التي تلقيتها » . وحسب راي مؤلف كتاب (التعريفات) ان كلمة فتوح تعني : «احراز شيء من جانبلا يتوقع احراز شيء منه . راجع تعليق سيلفستر دى ساسي في كتابه (تعليقات ومقتبسات ، ج 7 ، ص 336) .والكلمة تشبه كلمة الصدقة لدينا (Aumône) لان ابن بطوطة يقول في مكان آخر (مخ ، ص 140) وهو يتحدث عن الفقراء : « وعيشهم من الفتوح » . كما يقول كذلك (ص 77) : « يعيشون من فتوحات الناس . وان جملة فتح به عليه الموجودة في نصنا تصادف كذلك في عبارة اخرى لابن بطوطة (مخ . ص 227) . فنحن نقرا فيه : كان ياخذ منهم مقدار ما يعطي الفقراء . ويقول لمن اخذ ذلك منه : اقعد حتى تاخذ اول ما يفتح به علي في ذلك اليوم . (كان يتلقى الهدايا الصغيرة من صغار الخبازين والفاكهانيين) .

(2) ان كلمة وجهة تعني رحلة ، سفرة . فنحن نقر في موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ . ص 100) : « وفي هذه الوجهة توفيق » . وبعد ذلك (ص 138) نقرا : « وسافر ايضا معه في هذه الوجهة امامه» . ودونكم هذا البيت ، الوارد في احدىمخطوطات كتاب ابن خاقان (قلائد العقيان ، مخ 35 ، ص 15) شاهدا على ذلك وهو لابن اللبانة (البسيط) :

وان تكن وجهتي من فوق مذهبه فليس تضرب في وجهي الملمات

ونجد في كتاب مطمح الانفس لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 84) : « نشات له ريح صرفته عن وجهته » . وفي الاحاطة لابن الخطيب (مخ دي كاياتكوس ، ص 54) : « ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش » . وفي رسائل نفس الكاتب (مخ 11 ، ص 6) : « استفهم عن سبب وجهته » . وفي رحلة خالد بن عيسى البلوي (مخ غوتا ، ر 1154 ، رقة 2 (الوجه) نقرا : الرحلة الحجازية ، وذكر معاهد الوجهة المشرقية .

(3) راجع سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ص 20 و 22 . ويسمى مدار التكة كذلك حجزة السراويل . المخصص لابن سيدة ، ج 4 ،ص 81 ، المطبعة الكبرى الاميرية ، 1317 هـ (المترجم)

التالية تشير الى الحزام . فنحن نقرأ فى قصة بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 327) وفوق كل الثياب (يعني الصديري واليلك والخفطان (القفطان) عدا الثوبين الفوقانيين (البنيش والفرجية والكرك) يلبسون حزاما من الحرير او من العنقاش . (الزملوط (Camelot) او من الصوف الذي يوضع فيه سكين بغمده » . اما لدى نيبور (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) فنقرأ : « وفوق الانطاري يرتدون قفطانا . وفوق هذا القفطان يشدون اوساطهم بحزام كبير ، يطوي فيه ذلذل من القفطان لاستطاعة المشي بحرية تامة ، ولاجل ان يظهر الانطاري ويبين الشكشير » . الجقشير ؟ Schakschîr

ويقول لين ايضا فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) ان الزنار الذي يشده القوم فوق القفطان ، الذي هو (شال ملون ، او قطعة طويلة من الشاش الموصلي الابيض وفيه تصاوير وتهاويل) يحمل اسم حزام . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 58) يصف هذا المؤلف حزام السيدات بهذه الكلمات : « انه شال مربع ، او طرحة مطرزة مبطنة بقطع منحرفة، وهو يوضع كيفما اتفق وسط الانسان ، اما نهاياته ، فمطويتان احداهما على الاخرى وتتهدلان الى الوراء ».

وكلمة حزام مستعملة ايضا فى المغرب . ويترجم دونباى فى كتابه (النحو المغربي العربي ص 83) كلمة حزام (كذا) (Cingulum ex serico vel linteo »
ويكتبها كرابر دي همسو (المرآة ، ص 141) هكذا : Hhazàm

ويكتبها هوست (اخبار من مراكش ، ص 115) : Hazem . وهي فى نظره : « زنار واسع من الحرير يشده الناس فوق القفطان ، ويصنع فى فاس ، ويباع فيها بعشرين ماركا او بمائة مارك » . وبعد ذلك (ص 119) يؤكد الرحالة نفسه أن النساء يشددن حزاما على الحيك Hazem . ولا يساورني اقل ريب فى ان العبارات التالية لمارمول تخص الحزام . فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 87 ، مج 3) : « وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت اخرى حيث تصنع الحزم الحريرية والصوفية التي تستعملها النساء . وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنب ومزودة فى نهاياتها بأرمال Houpes طويلة للغاية . وهي تبرم مرتين على الجسم فتتدلى الارمال من الجهة الامامية اى الاقبال . وهي زينة عظيمة للنساء . ويستعملها على الاخص (الاعرابيات ؟) Alaravias . وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 103 ، مج 2) : « ان نساء الاعراب ، اولئك اللواتي يعشن فى فاس ، وكل نساء البربر ، لهن عادة لبس امثال هذه الاحزمة التي تصنع ، كما سبق ان قلنا فى Alcayceria ، ومع ذلك فهن لا يستعملن هذه الاحزمة قط اذا لبسن الثياب المسماة المرلوطات (Marlotas) ، ولكنهن يستعملنها لحزم الحيكات او الاكسية Les haiks ou kissâs).
وفى مالطة تشير كلمة حزام (Hzym) كذلك الى زنار . راجع فاسيلي (قويميس كالطي ، مج 267) . ومن كلمة حزام تولد الصيغة السابقة انحزم ، التي لا وجود لها فى القاموس . فانني اقرأ لدى ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس،ص 120) : «وكل واحد منهم منحزم . (1)

المحشا ، المحشاء

لا وجود لجمع هذه الكلمة (المحاشي) فى القاموس، طبقا لراي الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 6).

ويقول اللغوي نفسه : « تشير هذه الكلمة استنادا الى راى ابى زيد الى كساء غليظ » . ونقرأ فى القاموس (ط كلكتا ، ص 13) : « والمحشا كمنبر ومحراب كساء غليظ او ابيض صفير يتزر به او ازار يشتمل به » .

راجع بهذا المعنى للازار المادة التالية .

الحشية ، الحشى ، المحشاة

تشير الكلمتان الاولى والثانية الى ما يدعى بالفرنسية Une tournure عظامة ، وكذلك الى ما تضعه المراة على ثديها لتظهيره اضخم . فنحن نقرأ فى القاموس (ط كلكتا، ص 1863) : «مصدغة تعظم بها المراة ثديها او عجيزتها كالمحشى » . ونطالع فى الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 423) : « الحشية واحدة الحشايا . والمحشى العظامة تعظم بها المراة الرسحاء عجيزتها » . قال الشاعر :

جما غنيات عن المحاشي

ولكننا نقرأ كذلك لدى اللغوي نفسه : قال الاصمعي . « المحاشي اكسية خشنة واحدها محشاة».

(1) ربما كان الأصح : متحزم

وعلى ذلك فيبدو ان كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ . والواقع انه بمكننا ان نستخلص من عبارة للمقري (نفح الطيب ، مخ غوتا ، ص 373) ان الثوب المسمى محشاة والجمع محاشي ، كان يلبس في الاندلس من قبل عامة الشعب (المحاشي ثياب العامة) .

الحقب ، الحقاب

هاتان الكلمتان مفسرتان في القاموس (ط كلكتا، ص 29) على هذه الشاكلة : « شيئي تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطه » . وقد رأينا آنفا (ص 71 ، مادة البريم) ان شارح جرير يفسر كلمة البريم بكلمة الحقاب .

الحقو ، الحقو ، الحقاء

يرى بركهارت Burckhardt في كتابه (ملاحظات حول البدو، ص28 (Notes on the Bedouins) ان كلمة حقو تشير لدى العنزيين Anazis الى نفس ما تشير اليه كلمة بريم لدى اهل الشمال . راجع كلمة بريم . ويرى القاموس (ط كلكتا، ص 1865) والتبريزي (شرح الحماسة ، ص 793) ان كلمة حقو او حقو تشيران كذلك الى الازار ، ومعنى ذلك الاشارة الى نوع من التبان تستر به العورة .

الحللية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويرى لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 29) ان القوم يسمون نوعا من القماش الصوفي الاسمر الداكن حللية ، وهو الذي تستعمله النساء في الأصقاع الجنوبية من مصر العليا ، لا سيما ما وراء اخميم . فهن يسترن به اجسادهن ويشددن اطرافه العليا بعضها فوق بعض ، على كل كتف . انظر هيئة هذا اللباس في كتاب لين ، ج 1 ، ص 68 .

الحور

يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 503) : الحور ما تحت الكور من العمامة . فهل الحور طاقية ام طربوش؟

الحوف

ليس بوسعي اضافة اى شيء الى التفاصيل التي اوردها فريتاك Freytag حول هذه الكلمة . والجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 69) يقول : الرهط وهو جلد يشق كهيئة الازار تلبسه الحائض والصبيان.

اما بقية التفصيلات التي تقراها في المعجم فهي مستعارة من القاموس .

الحياصة وجمعها الحوائص

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ، بوصفها تشير الى حزام . وكاترمير في تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 31) هو الذي استنبط هذا المعنى من الكلمة ، وذلك بايراده طائفة من العباراث لمؤلفين عرب ما استطاع الى ذلك سبيلا . ومن العبث ذكر امثلة اخرى من هذا النوع للبرهنة على الامر نفسه ، ولكن كاترمير لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا موضوعه اسماء الملابس لدى العرب. اذن لن يضيره ولن يسوءه ، وانا واثق من ذلك كل الوثوق ، اذا اضفت هنا بعض التفصيلات الى تعليقاته القيمة . وما دام المقريزي يقول ان الحياصة هي ما كان يسمى قديما بالمنطقة ، فانني سأجعلكم تلاحظون ان هذا النوع من الحزام كان دائما من الفضة او من الذهب. ولن تقراوا ابدا عن حياصة او عن منطقة كانت من الجلد او من قماش من الاقمشة . واليكم الان التفصيلات التي هيأها لنا المقريزي في كتابه (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 352) :

سوق الحوائصيين

« هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين . وتباع فيه الحوائص . وهي التي كانت تعرف بالمنطقة في القديم . فكانت حوائص الاجناد اولا اربعمائة درهم فضة ونحوها . ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار والامراء الطبلخانه (1) مائتى دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا . ثم صار الامراء والخاصكية (2) في الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب

(1) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ق 1 ، ص 173 .
(2) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ق 2 ، ص 158 – 159 .

ومنها ما هو مرصع بالجوهر . ويفرق السلطان في كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا . وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج . فلما كان في ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك . ووجد في تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زبنور لما قبض عليه ستة آلاف كلوتة جهاركس (1). وما برح تجار هذا السوق من بياض (2) العامة . وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصارت اكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الان من ملابس الاجناد » .

ويتحتم على كذلك ان الاحظ ان الحياصة كانت تستعمل ايضا لدى النساء . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 732) : وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر . ونقرا في موضع آخر (ط مكناكتن ج 2 ، ص 102) : فسحبت خنجرا من حياصتها .

الحيك او الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين في القاموس . ومع ذلك فانني اعتقد انهما من اصل عربي وانهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser . تيسيه .

يقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 4 ، مج 2) في معرض حديثه عن بربر ولاية حاحة Héha اشد ولايات مملكة مراكش غربية : «ان النساء يرتدين نوعا من الازار (Unos alquiceles) وهذا الرداء اسمه (Hayque) quellaman hayques وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة ، ولكنه محروم من نعومتها » . ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك ، وهو يصف السرر والمنامات (Camas) : « بدلا من شراشف السرر (Savanas) يفرشون احد هذه الازر التي يسمونها كما قلت (حيك Hayques)» وفي موضع آخر (ج 2 ، ص 83 ، مج 2) يقول واصفا مكناس : « والنساء يتجولن ملفوفات لفا تاما ببعض الازر البيض الفضفاضة بافراط (Con unos alquiceles) المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques ، بحيث لا يستطيع احد رؤية وجه احدى النساء » . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) نجده يتحدث عن سواد الناس في فاس فيقول : « اما اولئك اللواتي لسن من الغنى بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فانهن يرتدين الازر يلتففن بها :
(De aquellos alquiceles rebueltos al cuerpo) .

ويقول ديكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، مج 2 ، ص 28) عن نساء مدينة الجزائر انهن يرتدين ازرا بيضا لدى خروجهن من منازلهن (Unos mantos blancos) وهذه الازر مفرطة الفضفضة ، وهي مصنوعة من الصوف الناعم او منسوجة من الصوف والحرير ، وهن يبذلن ما في طواقهن لجعلها غاية في البياض بفضل بذل الصابون بسخاء ، كما يعطرنها بالكبريت وبأشياء اخرى . وهن يسمينها Alhuyque الحيك . وهذه الازر هي كالملاحف التي سبق لنا ان تحدثنا عنها ، او هي شبه قطعة من الجوخ المربع طولها نحو ثلاثين شبرا وعرضها اربعة عشر او خمسة عشر شبرا . والنساء يلتففن بهذه الازر ويعلقن احد اطرافها على الصدر بمعونة بعض الابازيم او الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة ، وهن يطرحن جماع الازار على الاكتاف والراس ، اما الجانب الآخر ، وهو الطرف التحتاني فانهن يسترن به الذراع اليمنى . وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاما بحيث لا يبقى لهن الا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير . وهكذا فان هذه الازر تشبه بعض الشبه Une bourguignotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملا في نهاية القرن الخامس عشر وفي نهاية القرن السابع عشر ، حين كان يرتديه رجال السلاح . وعلى هذه الصورة يدرجن في الدروب مختبئات في ازرهن اختباء تاما بحيث ان ازواجهن انفسهم لا يستطيعون تشخيصهن ، اللهم الا من اسلوب مشيتهن او عن طريق صواحبهن او مرافقتهن » .

ونجد بعد ذلك ديكو دي هيدو (ص 28 ، مج 3) يقول عن الاماء : « انهن يرتدين نفس الازر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن ، ولكن ازرهن ليست على درجة جمال ازر مالكات رقهن » . ويتحفنا دابر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 2 ، ص 239) بتفاصيل

---

(1) الكلوتات الجركسية ذكرها المقريزي ، واوردها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ص 138 ، ق 1 ، ج 1 .

(2) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له في القاموس . وستجدون مثالا آخر في تعليقة على مادة قباء .

قيمة من الحيك Le hayk ، خلال وصفه لازياء سفراء ملك مراكش وفاس ، الذين جلؤوا الى امستردام عام 1659 . واليكم ما يقوله : « كان ابراهيم مانينو يلف حول جسمه ثوبا ابيض محوكا من الصوف المرسل ، المملوء بندف القطن من الجانبين ، ويبلغ طول هذا الثوب خمس او ست اذرع ، اما عرضه فذراع ونصف ذراع ، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمرأة فى هذا البلد ، ولكنه يرتدى اكثر ما يرتدى لدى خروج صاحبه من منزله . واهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة ، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك ، كما يسمونه كساء Kissa . وتتدلى من الاسفل خيوط مبرومة على الاكثر او قياطين مغزولة بالمغزل ، يدعونها مرسلة فيه اثناء الحياكة ، وتدعى لديهم (هدو Hudou) ، ويقول دابر بعد ذلك (ص 241، مج 1) ان احد خدم السفراء كان يرتدي حيكا فضفاضا مصنوعا من قماش أسود غليظ » . ويكتب جارنت فى كتابه (رسالة جوابا على مختلف الاسئلة الغريبة ، ص 40 و 41) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بانها : « ازار من الصوف الابيض ، يبلغ طوله اربع او خمس اذرع وعرضه يصل الى ذراع ونصف الذراع . ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque فى كتابه (رحلة الى موريتانيا ، ص 44) ويفسر هذه الكلمة بأنها ازار. ويتحدث كذلك سان اولور فى كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90 ، 92 ، 94) عن هذا الازار الذي يسميه Hayick . ويكتب موت كلمة حيك هكذا : Haique فى كتابه (قصة غزوات مولاي ارشي ، ص 381 ، 384) . وفى الكتاب المعنون (مهمة تاريخية فى مراكش ، ص 519 ، مج 2) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque . ويكتب وندس الكلمة هكذا : Alhague فى كتابه (رحلة الى مكناس ، ص 28 ، 30 ، 57) . ويتحدث شو ايضا فى كتابه (رحلات الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 319) عن هذا اللباس . ويكتبه Hyke . ويقول ان طول هذا الثوب فى العادة ثماني عشرة قدما وعرضه خمس اقدام . ويضيف الى ذلك ان العربي يرتديه اثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته . ولكن دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هيأه لنا هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115 ، 116) : « يلبس الرجل فى مراكش وفاس حيكا Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الابيض ، يبلغ طوله عادة سبع اذرع ويصل عرضه الى ثلاث اذرع . والجميع يلتفون بهذا الازار ابتداء بالملك وانتهاء بأهون مراكشي ، وهذا الارتداء يكون على انماط مختلفة : ومع ذلك فان اشيع هذه الانماط هو وضع الحيك على الراس وطرح نهايته على الكتف اليسري ، كما بوسعنا ان نراه فى اللوحة الثانية عشرة ، الصورة الاولى .

اما لدى المثول بين يدى الملك فيجب نزعه عن الراس ، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achât Errua اخط الروة (1) .

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص . فبصرف النظر عن امكانهم الاستغناء عن الملابس الاخرى فانهم يستعملونه بدلا من دثار السرير او شرشفه ليناموا فوقه ، علاوة على انهم يستعملونه استعمال الكيس ، حين يكون لديهم ما يحملونه . كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الانوف ، واخيرا يمكن استعماله ثوبا للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت ، خلال ساعات ، دون ان يضايقهم شيء . ولكنه يضايقهم اثناء العمل ، لانه يربك اليدين فى كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة . فترتب على ذلك انهم يخلعونه عادة اثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ » . ويقول نفس الرحالة فى موضوع آخر (ص 119) : « والنساء ايضا يرتدين الحيك ، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال . فهن يشددنها الى الصدر بابازيم من الفضة يسمينها (بسيم) وبختفية Chetfia وبينهما سلسلة . ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري . اما الفتحات فمن الجوانب ، واذا ارادت امرأة ارضاع طفلها فانها

(1) . اعتقد وجوب كتابة عقد الرواء ، لان كلمة رواء تبدو لي انها تشير الى عقدة . راجع (الكالا) حول : Lazo de çapatos

تخرج حلمة ثديها من هذه الفتحة ، وهذا الوضع ملائم كل الملاءمة للطفل الذي تحمله امه على ظهرها ، وعلاوة على ذلك فان النساء هنا ذوات حلمات كبيرة للغاية ، ما دمن يافعات » .

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين:

1 ـ القميص ، 2 ـ القفطان ، 3 ـ المنسرية ،

4 ـ الحيك مع الحزام (1) .

وكلمة حيك او حائك ذكرها الرحالة لمبريير فى كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39 ، 293 ، 295 ، 386) الذي كتب كلمة حيك هكذا Haick . كما ذكرها علي بيك فى كتابه (الرحلات ، ج 1 ، ص 16 ، 29 ، 73 ، 80) الذي كتب الكلمة هكذا Hhaik وهناك عدة رحالين زاروا المغرب فى ايامنا هذه امثال ريلي (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ، ص 407 ، 492) ، وجاكسون (تقرير عن مراكش ، ص 138)، وكابردى همسو (مرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية ، ص 81) والعقيد سكوت (يوميات اقامة فى مخيم عبد القادر الجزائري ، ص 5) والليدي كروفنر رحلة بحرية فى البحر الابيض المتوسط خلال عام 1840) فتحدثوا عن هذا اللباس وكتبوه على هذه الصورة Haick, hayk, hhaik, haik » .

الخـــرقـــة

تشير هذه الكلمة الى الثوب ـ او الى الرداء الغليظ ـ الذى يلبسه الفقراء ـ ولاسيما المتصوفة منهم فى الشرق . ويقول المقري (تاريخ الاندلس ـ مخ غوتا ـ ص 201) عن احد المتصوفة انه كان : « بركة لابسي الخرقة ». وفى مخطوطة تتملكها مكتبة ليدن وتحتوي على عدة كنانيش خاصة بالمتصوفة (مخ فارسية ، 1038 ، ص 22) نجد : در كريبان خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حليم در مهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم

---

(1) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع بزائم ، وهي تشير بكل تأكيد الى كلمة اكراف الفرنسية . وقد راينا آنفا ان ديكو دىهيدو يتحدث عن (Hevillas) agrafes التي براسطتها تعلق النساء الحيك ، وعلى ذلك فان بيدرو دي الكالا يترجم فى كتابه (مفردات عربية) كلمة Hevilla الى كلمة ابزيم . ويترجم دونباى فى كتابه (النحو المغربي العربي ص 82) كلمة Fibulae الى كلمة بزائم ، وتشير قواميسنا الى ان كلمة ابزيم تدل على كلمة Agrafe مع حاملها .

وانني اعتقد بوجوب كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية ، بالطاء ، وليس بالتاء . وسأجعلكم تلاحظون ان حتف لا وجود له قط فى اللغة العربية ، وانخطف على العكس من ذلك معروف وشائع ، وان الاشتقاق بجانب افتراضي او زعمي . والحقيقة ان فعل خطف يعني Abriouit ، وان كلمة خطاف هي سنان حديدي معقوف فى نهايته صنارة ،ابزيم . وهناك كلمة عربية اخرى مشتقة من نفس هذا الاصل ، وهي ، مثل خطفية ، لا وجود لها فى القاموس . واود ان اتحدث عن كلمة مخطاف . يرى بيدرو (مفردات اسبانية عربية) ان كلمة مخطاف تقابل : (Anzuelo (garavato) garavato وتقابل كلمة مخطاف قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة ، او هي الصنارة ذاتها . والواقع ان ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دى كايانكوس ، ص 234) يخبرنا ان عبيد تجار الهند يحملون ما هو (عود غليظ له زج حديد وفى اعلاه مخطاف حديد فاذا اعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه .

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من احدى نهايتيها بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني مرساة . راجع الكالا فى كلمة : Cayado de pastor عصا الراعي .

راجع كذلك دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 103) .

يا عليم در دامن خرقه يا احد يا صمد يا فرد (1) .

لن اترجم النص لانه فى غاية الصعوبة ايجاد كلمات فرنسية مقابلة تماما لمختلف الصفات الالهية التى وردت فى هذا الكلام. ولكنني ساقتصر على ملاحظة انني يخيل الي وجوب ترجمة كلمة مهسان بكلمتي (الثياب الدخيلة) . وستجدون لدى كلمة دلق معلومات وتعليمات اوسع عن ثوب المتامليين الشرقيين .

ويبدو ان كلمة خرقة تدل ايضا على : « نوع من رداء يستعمله البدو . لانني اقرأ لدى ابن جبير (الرحلة ، مخ 320، ص 72 - 73) : فمن العجب امر هؤلاء المائرين انهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم انما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل . فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الاقنعة والملاحف المتان وما اشبه ذلك مما يلبسه الاعراب ويبايعونهم به ويشاورونهم » .

الخف

كانت الخفاف مستعملة فى عهد النبي محمد (ص) اذ يخبرنا النووي (تهذيب الاسماء ، ص 33) ان الرسول كان هو نفسه يلبس الخفاف . ونقرأ فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان محمدا حرم على المسلمين ليس الخفاف اثناء الحج الا لمن لم يجد نعلين ، فقد سمح له بلبس خفين مع وجوب قطعهما اسفل من الكعبين (ولا الخفاف الا احد لا يجد النعلين فليلبس خفين وليقطعهما اسفل من الكعبين) .

وكانت الخفاف تلبس قديما فى مصر ، من قبل الرجال والنساء على حد سواء . فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 337) ان الخليفة الحاكم بامر الله (منع الخفافين من عمل الاخفاف لهن (النساء) . والواقعة نفسها يحدثنا عنها النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 104) : منع الاساكفة من عمل الخفاف لهن وشدد فى ذلك. ونرى فى نص آخر لهذا المؤلف الاخير (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 16) ان الخفاف كانت تلبس من قبل الرجال فى النصف الاول من القرن السابع الهجري ، ويخبرنا نص لابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 2 ، مخ 367 ، ص 17) ان الرجال ايضا كانوا يستعملون الخفاف فى القرن الثامن الهجري . واستنادا الى قول المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) فان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون اثناء حكم السلالة التركية (الجركسية) خفافا من الجلد البلغاري الاسود (2).

---

(1) ان كلمة خرقة وجمعها خرق تعني كذلك : قطعة قماش . فانني اقرأ لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 204) « اعطاه ــ خرق كتان فرنجي مائتي ذراع . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 209) : « عمد الى الخرقة وعمل منها كيسا » . وفى الاحاطة باخبار غرناطة لابن الخطيب (مخ كاياتكوس ــ ص 51) : « انه لم يجتمع عند احد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع واثاث وكراع . وتعني كلمة خرقة نفس المعنى فى مالطة كما تعني علاوة على ذلك سروالا للصغار . راجع فاسيلي فى كتابه (قويميس مالطي ــ مج 279). ويسمى بائع الخرق بالخرقى . راجع المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 354 ــ357). ويبدو ان ريسكه قد علق على هامش كتابه كوليوس بأن هذه الكلمة تدل على محفظة نقود . والحقيقة انني وجدت الكلمة مستعملة بهذا المعنى من قبل ابن بطوطة (مخدى كاياتكوس ، ص 191) : « ومن عوائدهم فى يوم العيد ان كل من بيده قرية منعم بها عليه ان يأتي بدنانير ذهب مصرورة فى خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقيها فى طست ذهب هنالك » .
وقد ذكر بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) صيغة اخرى من نفس الاصل تشير كذلك الى محفظة نقود الا وهي كلمة مخرقة .

(2) ان الجلد البلغاري كان ذائع الصيت . وبوسعكم مراجعة العلامة فريهن فى كتابه (اقدم تاريخ عربي عن بلغار الفولغا ، ص 8) حول هذا الموضوع. وماتزال الخفاف حتى ايامنا هذه مستعملة فى عدة اقطار من آسيا خصوصا فى بلاد الفرس ــ حيث حرفوا الكلمة فأصبحت Bhulkhal كما يخبرنا فريزر فى كتابه (رحلة الى خراسان ــ ص 69) . فهذا الرحالة الالمعي قد اصاب كل الاصابة فى ان اصل الكلمة الاصلية هي بلغار Bulghar .

وكانت الخفاف تلبس ايضا من قبل الرجال بعد فتح الاتراك لمصر ، ويؤيد ما ذهبنا اليه النص التالي من كتاب الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ في هذا السفر (ط هابيخت ، ج 3 ، ص 248) ان الاميرة بدورا ، اخذت ملابس زوجها « فلبست الخف والمهماز » . وحتى في ايام الحملة الفرنسية على مصر كانت الخفاف تلبس من قبل الرجال والنساء على قدم المساواة ، لاننا نقرأ في كتاب وصف مصر (ج 18 ، ص 109) : « كان الناس يلبسون الخفاف اذا ارادوا ركوب الخيل او اذا شاءوا الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجون اليه او لشؤون اخرى ، وهذه الخفاف هي نوع من النعال ، وتصنع من الجلد المراكشي الاحمر او الاصفر ، ويستعملها الرجال كما تستعملها النساء » . ولم تعد الخفاف تلبس في مصر في ايامنا هذه من قبل الرجال ، اما النساء فما زلن يلبسنها كما نرى شاهد ذلك في كتاب (المصريون المحدثون) تأليف لين . وسنذكر بعض التفصيلات عن هذه الخفاف النسائية . يروي المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مج 372 ، ص 359) عن وجود سوق في مصر للاخفاف (سوق الاخفافيين يباع فيه الاخفاف للنسوان ونعالهن) . وفي عهد كتاب الف ليلة وليلة ، اي بعد غزو الاتراك لمصر ، يبدو ان خفاف سيدات القصور وخفاف الجواري والاماء العائدات لسادة اغنياء مترفين كانت في غاية الروعة والبهاء . ونحن نقرأ في الكتاب الذي فرغت الآن من ذكر اسمه (ط منتكلازا ، ج 2 ص 56) : وقفت عليه امراة بخف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب (1)

ونجد في موضع آخر (مكناكتن ، ج 1 ، ص 425) ان رجلا اشترى لجاريته الراحلة في سفرة (خفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر) . (وينبغي ان نلاحظ ان كلمة خف تعني فردتين في هذه النصوص) . ويبدو ان الصرف على هذا الجزء من الهندام قد اخذ بالتناقص فيما بعد . فنحن نقرأ في قصة غليوم ليتعرف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، مج 1، ص 171) : « ان النساء في القاهرة يلبسن الانعلة الجلد كما يلبسها الرجال » . ونطالع في قصة منتكازا (رحلة الى اورشليم والشرق ، ص 90) ان النساء يلبسن انعلة من مختلف الالوان تصل الى منتصف سيقانهن او الى اعلى من ذلك » . ويقرر لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 63) ان الخفاف هي انعلة او احذية مصنوعة من الجلد المراكشي الاصفر » . ولم تعد سيدات مصر في ايامنا هذه ترتدي الخفاف الا اذا اردن الخروج من بيوتهن . ولكن هل كن يلبسنها في العهود الغابرة في منازلهن ؟ هذا ما يحملني على الاعتقاد به نص من نصوص الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 141) .

ويخيل الي ان دانديني (رحلة من جبل لبنان ، ص 48) في معرض حديثه عن طرابلس الشرق ينظر الى الخفاف ، حين يقول : « ان النساء هنا اذا اردن ان يمشين مشية مريحة في الدروب اثناء المطر والوحل فانهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشي تصل الى ركبهن — وهن يشمرن عن ثيابهن من كل جانب — فيدرجن في كل مكان على رسلهن — دون ان تبتل ملابسهن او تتلطخ بالاوحال والاوضار » . ويذكر دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات — ج 5): « البواتين المراكشية الجلد الصفراء التي تلبسها نساء حلب . ولدى بدو سورية تلبس الخفاف من قبل الرجال كما تلبسها النساء » . ويخبرنا دارفيو في كتابه (من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 208) ان الامراء والشيوخ يركبون الخيول وهم منتعلون بواتين صغيرة من الجلد المراكشي الاصفر — بدون جوارب — وهذه الانعلة خفيفة ومخصوفة من الباطن — وهم كذلك يستطيعون المشي بها على الاقدام بل حتى العدو دون ان يستطيع الماء اختراقها» . وبعد ذلك (ص 211) : « ان النساء يدرجن حافيات الاقدام على الابسطة والسجاجيد — حين يكن في منازلهن — وهن يلبسن خفافا متغضنة لدى بروزهن من مساكنهن » . انظر المرجع السابق، ص 3) . ونقرأ في كتاب (رحلة من اليمن السعيدة، ص 83 ، 1716 امستردام) : « ان نساء مخا يلبسن خفافا صغيرة معمولة من الجلد المراكشي » . ويذكر علي بيك (الاسفار ، ص 106 ، ج 2) الخفاف النصفية (Half boots), Demi-bottes الجلدية الصفراء التي تلبسها نساء مكة .

---

(1) راجع بشأن هذا النص الملاحظات الصائبة للعلامة فليشر في كتابه المعنون : (De glossis Habichtianis) (ص 26 — اما عن فعل زركش المستعمل بمعنى زين — فراجع احدى التعليقات الواردة في كتابي هذا .

ويقص علينا اوليفييه فى كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 382) : « ان نساء بغداد يمشين حافيات الاقدام فى بيوتهن ـ وهن يلبسن الانعلة لدى خروجهن من منازلهن » . ويقول فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 278) ان نساء بغداد يلبسن جزمات صفراء » .

Des Bottines jaunes

ويقول ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كاياكوس ـ ص 83) فى معرض حديثه عن نساء شيراز « وهن يلبسن الخفاف » (1) .

وسأفرغ من هذه المقالة مختتما بحشي هنا كذلك بايراد كلمات نفس الرحالة ـ الذى عبر عن مكنوناته ـ وهو يجتاز جدود الامبراطورية البيزنطية ـ للوصول الى استراخان ـ بهذه العبارة : « وذلك فى اشتداد البرد . وكنت البس ثلاث فروات ـ وفى رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرخالى وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب » . ص 153 . ولا شك ان البرخالي هو الجلد البلغاري .

التخفيفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

أن فعل خف فى الصيغة الثانية ، يعني بصورة عامة خلع الملابس الثقيلة ولبس الملابس الخفيفة ، وبصورة خاصة ملابس الليل . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت ، ج 1 ص 63) : « وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل » . ونطالع فى موضع آخر (ج 2 ، ص 116) : « خففي من لباسك كما كنت فى ليلة دخل عليك » . وفى طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 193) ورد فى هذا المكان : « وامر ابنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء فى الخلوة (2) . وبعد ذلك نقرأ فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 225) : « خففوا ما عليها من الملبوس » . ونفس الفعل يعني فى الصيغة الخامسة نزع ثيابه الثقيلة . فنحن نقرأ فى المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه » . واشتقت كلمة تخفيفة من فعل خف الذى ، كما نرى بسهولة ، يذكرنا بالصيغة الثانية للفعل . وقد سبق للعلامة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ص

---

(1) اذا وجدنا لدى اولياريوس (جولة فى موسكوفا وبلاد التاتار وفارس ، ص 817) النص التالي عن الاحذية الفارسية : « ان الاحذية التى تسمى Kefs مدببة الانف للغاية ومنخفضة القاعدة والاعقاب كثيرا ـ بحيث يمكن لبسها ونزعها بسهولة ـ كما نفعل بمداساتنا Nos pantoufles اذا وجدنا هذا النص فينبغي الحذر من حسبان كلمة Kefs هي كلمة خف العربية مع S ـ علامة الجمع لدى الفرنسيين . على ان نتذكر ان هيئة الخفاف بفارس تختلف عن هيئة الخفاف المستعملة عند العرب . وان كلمة Kefs التى ذكرها اوليارپوس هي الكلمة الفارسية كفش ـ التى كتبها كامفر فى كتابه (تحف نادرة ، ص 128) كذلك هكذا كفس ـ مع س بدلا من ش .

(2) تعني كلمة خاوة غرفة صغيرة ، مقصورة ، صومعة ، جوسقا فى بستان . وفى القصة الانجليزية التى عنوانها (الفصل الثامن عشر) مغامرات حاجي بابا ، هذه الكلمة ترجمتها Private room . ونقرأ فى رحلة ابن بطوطة (مخ دى كاياكوس ، ص 74) : وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن » . والحديث عن واسط . وبعد ذلك (مخ ، ص 102) وهو يتحدث عن ناسك . يقول : « وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط » . وفىموضع آخر (ص 92) وهو يتكلم عن حمامات بغداد : « وفى كل حمام منها خلوات كثيرة » . وفى المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خلوة له فى بستان الزهراء على بركة ماء . ولكن كلمة خلوة تشير بصورة خاصة الى مقصورة العرس . راجع مثالا آخر لهذه الكلمة للمقريزي (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 365) . والكلمة نفسها تشير كذلك الى عملية الوصال . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ . ص 227) بأن نساء القبائل الهندية « مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة » . وبعد ذلك (ص 230) : « ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن » .

295) ان لفت انظار المستشرقين الى هذه الكلمة ، بايراده عدة امثلة مقتبسة من مؤلفات مؤرخين عرب من مصر . وقد ظن هذا العالم الجليل وجوب اثبات ان كلمة تخفيفة تشير الى ضرب طاقية Bonnet . وهذا الامر لا يبدو لي وكأنه في غاية الصحة ، بل انني افترض ان كلمة تخفيفة تشير الى عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة الحجم ، التي كان يتعمم بها الفقهاء والتي كانت تسمى عادة عمامة. والواقع انني اكاد اعثر دائما على كلمة تخفيفة مستعملة ضد كلمة عمامة . وقد سلف لنا ان رأينا (ص 85) ان قاضيا ارغم على حضور قصف لدى الامير ، قد تجرد من ملابسه التي كانت تليق بمنزلته ، فتعمم بتخفيفة ، بدلا من عمامته الضخمة، بوصفه فقيها (وتعمم بتخفيفة) . ونقرأ في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 37) : « قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه » . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ ، ص 58) : « وقلع شاش التشريف والكلوتة وضرب بهما الأرض ولبس تخفيفة » . ونجد في الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 : ص 162) العبارة التالية : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الخفيفة » . وانني لا اتردد في احلال التخفيفة محل الخفيفة ، فأترجم النص على انه : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة » .

الخفتان او القفطان (القفطان)

انني اجهل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من ارومة اجنبية ، واجهل كذلك عصر انتشار هذا اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة لدى ابناء هذا الشعب وبناته . فان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يستعمل القفطان . ويبدو ان الكلمة نفسها كانت مجهولة في عهد الرسول . ومع ذلك فنحن واجدون هذه الكلمة لدى المؤلفين القدامى نسبيا ، امثال المسعودي : (لدى كوزكلرتن ، طرائف عربية ، ص 108) . وكان خفتان الخليفة المقتدر مصنوعا من الحرير ، ومكفتا بالفضة ، ومن معمولات تستر ، وكان خفتان ابنه محوكا من الحرير (او من الديباج) الرومي ، ومزركشا برسوم ونقوش وصور (المرجع السابق) .

وكان للطراز المستحدث تأثير على هذا اللباس ، كما سنرى . ولنستهل بحثنا بافريقية الشمالية . لقد اعرب ديبكو دي هيدو عن الموضوع في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 1 ، 2 ، ص 20) في معرض حديثه عن اتراك مدينة الجزائر على هذه الصورة : « ويرتدون عادة فوق هذا اليلك Jalaco ؛ رداء (Una ropa) يسمونه القفطان ، وهو مشابه لقمباز الكاهن Soutane لانه مفتوح من الجهة الامامية ، ومزرر بالازرار من ناحية الصدر (1) .

وهذا الرداء له كمان قصيران ، يصلان الى المرفقين ، وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين ، بل قد يهبط اكثر من ذلك . وعلى كل حال فهو يتجاوز الركبة . وهو على الوان شتى : فالاغنياء يتخذونه من الاطلس ، والسيدات يفصلنه من القطيفة والمخمل ، ومن انواع اخرى من الحرير . وهذا الرداء ، شأنه شأن اليلك Jalaco (الصديري) لا ياقة له ، بحيث ان التركي مكشوف الرقبة على الدوام . ويتحدث دارفيو D'Arvieux كذلك في كتابه (مذكرات ، ج 5 ص 283) عن قفطان الاتراك في مدينة الجزائر الذي يلبسونه فوق الصديري ، فيقول : « ويلبسون فوقه سترة من الجوخ تدعى قفطانا . وهذا القفطان يشبه لدينا Un juste-au-corps (2) فله طوله

---

(1) نقرأ دائما ، نتيجة خطأ مطبعي متصل ، في كتاب ديبكو دي هيدو ،كلمة Tafetan وقد تناول التشويه هذه الكلمة اكثر فأكثر من قبل الطباعين في هذا الكتاب الممتع : (يوميات رحلات دي مونكوني ، 1647 ـ 1648) حيث نجد في (ج 1 ، ص 279 ، 282) كلمة Cafferan دائما . ففي هذا الموضع يتحدث دى مونكوني عن موكب الـ Casena . ولا بد ان هذه الكلمة ليست سوى الخزانة Le Hazna التي ذكرها تيفنو في كتابه (قصة رحلة الى المشرق ، ص 277) . او هي خزينة المولى الاعظم المرسلة الى القسطنطينية من قبل باشا مصر . وعلى هذا طال الحديث في نص تيفنو الاخير عن القفاطين . ولا مشاحة في ان دى مونكوني قد اخطأ في ايراد كلمة Cafferan بدل كلمة Caffetan في يومياته .

(2) وردت الكلمة في قاموس لاروس هكذا موصولة : Justaucorps بمعنى لباس يتدلى حتى الركبتين ويشد الجسم شدا . (المترجم) .

كما له تفصيله. وهو مفتوح من القبل Par le devant ليدع الصديرية تظهر ، وهي دائما من لون مختلف . وهم لا يوصلونها الا نحو وسط الجسم ، حيث يشدونها بمنديل بالغ السعة بحيث انه يبلغ حقو الانسان » .

ونحن نقرأ فى كتاب هوست (اخبار من مراكش وفاس ، ص 115) : « ويرتدون فوق القميص قفطانا او سترة مزودة احيانا بكمين قصيرين او طويلين ، على هوى مزاج اللابس ، وهي (تشبه الفرجيات التركية Feredges) ، ولكن هذا الثوب لا كمين له فى معظم الحالات . وعادة تكون هذه الاثواب مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او الاخضر . وبعض هذه القفاطين مؤلفة من مختلف الالوان التي تكون اما مربعة واما مخططة . وبعض الاشخاص لهم قفاطين مطرزة بالذهب ، ولو ان هذا التصرف يعد انتهاكا لاوامر الدين . والقفطان لا يتعدى الركبة الا قليلا ، وهو ليس طويلا مثل الدوليمان التركي Doliman وازرار هذا الثوب الصغيرة متقاربة من بعضها . وبوسعنا رؤية هيئة هذا الثوب فى اللوحة الخامسة عشرة ، الصورة الاولى والثالثة » . ولا بد ان ديكو دى توريس قد تحدث فى كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) حين قال ان رجال مراكش يرتدون : « سترات من الجوخ الملون تصل الى الركب » . واعتقد ان العبارات التالية لمارمول تعني ايضا القفاطين . فهو اذ يتحدث عن ثياب مراكش يقول ، فى كتابه (وصف افريقيا ، مج 3 ، ج 2 ، ص 33) : « يرتدي عوام الناس الآخرون ثيابا اقل كلفة ، ولكن على نفس النمط . فالكثيرون منهم يلبسون سترات من الجوخ الملون (Unas jaquetas) وهي مزررة ، ومطوية اربع طيات (De quatro faldas) ولها اكمام قصيرة » . ويقول فى موضع آخر (ج 2 ، ص 102 ، مج 2) متحدثا عن سكان فاس : « يرتدي العمال والرجال الآخرون من سواد الناس ، ولا سيما الجنود المشاة ورماة البنادق ورماة السهام الخيالة، سترات، مثنية اربع ثنيات (De quatro haldas) ، قد تصل الى ركبهم » .

وفى المرجع نفسه كذلك : « يرتدي التجار والصناع البسة من الجوخ ، سوداء خالصة السواد احيانا أو زرقاء ، او من لون آخر ، وهم يلبسون صايات (Los sayos) بالغة الطول ، تنزل الى منتصف سيقانهم ، مطرزة من الباطن (Cosidos a girones) واكمامها نصف اكمام قصيرة لا تصل ابدا الى اعلى المرافق الا قليلا . ويتحدث دابر ايضا فى كتابه (رحلة الى اقاليم افريقيا الشمالية ، مج 1 ، ص 240) عن قفطان من الجوخ كان يرتديه احد السفراء الذين جاءوا الى امستردام عام 1659 . راجع كذلك ، حول ارتداء القفطان فى مراكش (سانت اولون ، الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90) . وانظر كرابر دى همسو فى كتابه (مرآة ، ص 80 ، 81 الخ). والقفطان فى طرابلس الغرب رداء طويل مطرز من القبل ومن الكمين . راجع النقيب ليون ، فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) . وترتدي النساء القفاطين فى مراكش وفى فاس . فنحن نقرا فى كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 119 ، الخ): « ترتدي بعض النساء نوعا من قفطان فوق القميص ، شبيه كل الشبه بقفطان الرجال » . ويخبرنا لمبريير فى كتابه جولة فى مراكش (ص 386) ، وقد اتيحت له بوصفه جراحا فرصة مخالطة حريم امبراطور مراكش ، ان قفطان النساء ثوب واسع لا كمين له ، وهو يتدلى حتى يبلغ القدمين او يكاد ، ويصنع طورا من الحرير والقطن ، وتارة من الديباج .

اما القفطان المصري فيختلف كثيرا عن قفطان افريقيا الشمالية . فانظروا كيف يصفه لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 — 41) : « انه سترة طويلة من القماش الحريري والقطني العامر بالخطوط . وهذه الخطوط قلما تكون خالصة بنفسها بل انها على العموم مزينة بالرسوم او بالازهار . وهذه السترة تتدلى حتى تبلغ كعب القدم ، ولها كمان طويلان ، يتعديان نهاية الاصابع ببعض العقود ، ولكنهما مشقوقان فوق المعصم قليلا ، او نحو منتصف الذراع، بحيث ان اليد تبقى مكشوفة على العموم . ومع ذلك ، ففى حالات الضرورة ، يمكن تغطية اليد بالكم : ذلك لان التأدب يقضي ستر اليدين امام شخص من الطبقة العليا » .

وها انني اقرأ فى قصة هيليعريتش (تقرير حقيقي موجز عن رحلات ، ص 393) ان رجال القاهرة يرتدون تحت اللباس الذي افترضه الجبة « سترة (Ein wammes) من القماش الحريري ، المتعدد الالوان المختلطة بعضها ببعض . اما كما هذا الرداء فطويلتان لغاية ، بغية استطاعة شبكهما على قبل الجسم » . ويبدو ان القفطان كان فى ايام نيبور (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 152) يتجاوز الاقدام . وقد وصف الكونت دي شابرول القفطان فى كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 138) على هذا المنوال : « انه

ثوب مفتوح من الجهة الامامية ، وله كمان واسعـــان بافراط ، وهو يلبس فوق المشد Le corset .

اما ثوب نساء مصر الذي يشبه كثيرا قفاطيـــن الرجال فلبس اسمه قفطانا بل يدعى يلكـا Yelek . واما قفطان مصوغ فيشبه كل الشبه قفطان افريقيـــا الشمالية ، ولا يشبه القفطان المرتدي في مصـــر الا قليلا . فنحن نقرأ في رحلة روبل (رحلة الى الحبشة، ج 1 ، ص 119) : « والفرد هنا يرتدي فـــوق هـــذا القميص قفطانا (Leibrock) من القطـــن المدبـــج بالحرير ، وهو يتدلى حتى يبلغ ربلة (او بطة) الساق، ولا كم له ، ويشد حول الجسم بشريط دقيق مـــن الكتان . وتقع على القفطان في الساحل السوري ، وهو في نظر دارفيو (مذكـــرات ، ج 1 ، ص 353) كساء من الحرير الابيض الموشى » . ويرتدي بـــدو سورية كذلك القفاطين ، او هم على الاقـــل كانـــوا يلبسونها ايام زار المستشرق الـــذي ذكرتـــه تـــوا ديار الشرق . ويقول في كتابه (رحلة من فلسطيـــن صوب الامير الاعظم ، ص 206) ان امراء وشيوخ البدو يتخذون لباسهم الشتائي القفطـــان المصنوع مـــن الاطلس او من الحرير المتموج الموار Le moire على هيئة قمباز الكاهن الذي يبلغ منتصف الساق ، وله كمان واسعان » . وبعد ذلك (ص 210) يخبرنـــا ان النساء البدويات لهن ايضا قفاطيـــن مصنوعـــة كالقمصلات يتزملن بها في الشتاء ويصل طولهـــا الى الارض . وهن يشمرن عن اقسامها الامامية ويدسسنها في اطراف الحزام ، لتحقيق غرضين همـــا المشـــي بحرية داخل المنزل وابراز التطريزات ، وهي على هيئة الازاهير الظاهرة على القمص والسراويل » . ويقول اخيرا في موضع آخر (ص 211) : « يلبس العـــرب بصورة عامة قفطانا من النسيج القطني الغليـــظ » . واذا آمنا بما يقوله علي بيك في كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) فان نساء مكة يرتدين « قفطانا من القطـــن الهنـــدي » .

ويعلمنا كيرورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وبلاد فارس وارمينيا وبابل القديمة، ج 2، ص 226) ان شعب Kanaki (خانقين ؟) على ديالـــى ، في الشمال الشرقي من بغداد يرتدي : « قفاطين واسعة ذات اكمام عريضة » .

وبالرغم من ان المؤلفين القدامى قد رسموا هذه الكلمة هكذا (خفتان) ، فان لفظة (قفطان) يبدو انها هي الشائعة الاستعمال منذ عدة قرون : ولعل اسم هذه الكلمة قد تحور بعد فتح الاتراك لمصر . وان كلمـــة قفطان وجمعها قفاطين ترد دائما في كتاب (تاريـــخ اليمن ، مخ 477 ، ص 177 ، 298 ، 319) كما اننـــا نصادفها كذلك في كتاب الف ليلة وليلة .

وقد رأينا آنفا ان هوست والكونت دي شابرول يكتبان هذه الكلمة على نفس الرسم ، ويكتبها دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) هكـــذا (قفطـــان) .

واخيرا فان لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 40) يؤكد ان الكلمة تلفظ (قفطان) ولكـــن الاشيع من ذلك لفظها (قفطان) .

الخفيـــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ــ بوصفها اسم لبـــاس .

والرحالة كيربورتر في كتابه (اسفار ــ الخ ــ ج 2 ، ص 392) في معرض حديثه عن الزبيديين في العراق العربي ــ قرب بغداد ــ يعرب عن افكاره بهذه الكلمات : « يراهم الراؤون بصورة دائمة ولا غطاء لهم الا الخفية Kaffia او الرداء المصنوع من قمـــاش مخطط بخطوط عريضة للغاية . وهذا الرداء هو اللباس الاعتيادي (Domestic attire) الذي يبدو فيـــه هؤلاء الاعراب قرب منازلهم » .

ولما كان فعل خفي ــ في الصيغة الثانية وفي الصيغة الرابعة يعني ــ Abscondit, occultavit, celavit ; ويعني في الصيغة الاولى Abscondit se وان كلمة خفاء تعنـــي Operimentum, tegimentum فانني اعتقد ان خفية ربما تعني كساء واسعا يغطي الجسم كلـــه (1)

Un grand manteau qui couvre tout le corps

(1) سأحملكم على ملاحظة ان الصيغة الخامسة لفعل خفى لا وجود لها في القاموس ــ وانها تعني التنكر . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكنـــاكتن ــ ج 2 ــ ص 292) : « تخفيت انا وغلامـــي » . ويستعمل ابن الخطيب في كتابه (الاحاطة ــ مخ كاباتكوس ــ ص 37) صيغة مماثلة للتعبير عن نفس الفكرة ــ لانه يستعمل فعل خاف (يخيف) . واليكم كلماته : « فصار متخفيا الى مالقة ليركب منهـــا البحر الى جهة ابن مردنيش» . ولكن ربما ينبغي احلال متخفيا مكان متخيفا .

الخـلـــــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واذا آمنا بما يقوله النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي) فان كلمة Kholi تشير لدى اعراب طرابلـس الى نـوع من البركـان ، الـذى يقف موقفا وسطا بين العباءة ، التي هـي غايـة فى الغلاظة ، وبين الجريد ، وهو غاية فى النعومة .

الخـمـــــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويعلمنا الرحالة بنكهام فى كتابه (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 7) انه حمـل سفتجتـه ونقوده واوراقه « مخفيـة فى حـزام سـري » Inner girdle يسميه سكان البلاد Khummr خمرا ، ويستعمل هذا الحزام بصورة عامـة لهـذا الغرض ، ما دام لا يمكن اضاعته ، ولا يمكن انتزاعه من المسافر اللهم الا اذا جرد تجريدا تاما من ملابسه » . وستذكرون ان فعل خمر يعني(Operuit, texit, etc)

الخـمـــار

يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة معرفة وافية لدى الجوهري والفيروزابادي ، وانها لم تكن بحاجة الى الشرح والتفسير . ولكن يجب ان اعترف لنحـس طالعي انني لم اقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره ان يشرحها لي شرحا صحيحا ، لذلك ليس فى طاقتي أن اخوض فى اى حديث عن نوع البرقع او الستر او الحجاب او القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة . واذا لم اكن متوهما ، فان كلمة خمار لم يتطرق اليها المؤرخون العرب فى عصر النويري والمقريزي ومن لف لفهما . واستطيع ان اتجرأ فأقول مؤكدا عبث عملية التنقيب عنها فى كتاب الف ليلة وليلة .

وانني غير واجدها كذلك فى كتب الرحالين الاوربيين الذين جاسوا خلال الشـرق فى مختلـف الحقـب .

ويخيل الي ان هذا النقاب كان مستعملا فى عهد كوليوس ، لان هذا العالم يؤكد انه برقع امراة ، وانه يغطي مقدمة العنق ، ويستر الذقن والفم ويتعلق بقمة الراس » . ولما كان كوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع قماش ولا لون هذا الستر ، فمن التطويـح بالامانـة العلمية ان نطبق على وصفه ــ الذي تعوزه اداقـة ــ اقوال الرحالين الذين زاروا الشـرق وقـت زيارة كوليـوس لـه (1) .

الخمـيـصـة

تشير هذه الكلمة ، حسب مذهب الجوهري ، الى ثوب مربع اسود ، مزين بحاشيتيـن مختلفتي اللون . ويرى مؤلف عيـون الآثـار (مخ 340 ، ص 189) ان الرسول (ص) ترك فيما ترك حين وفاته خميصة . وفى صحيح البخاري (ج 2 مخ 356 ، ص 168) نقرا الحديث التالي مرويا عن عائشة وعبد الله بن عباس : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه. فاذا اغتم (2) كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجـد . يحذر ما صنعوا .

وفى الكتاب نفسه نرى الحديث التالي مرفوعا الى زوجة الرسـول الحبيبـة الى نفسـه : قالت : « صلى رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) فـى خميصة له لها اعلام . فنظر الى اعلامها نظرة . فلما سلم ، قال : « اذهبوا بخميصتي (3) هذه الى أبي

---

(1) ان كلمة خمار تدل كذلك على : منديل يغطي به الانسان عينه . فنحن نقرا فى الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط . القسطنطينية ، ج 2 ، ص 259) : ولا بأس ان يشد خمار اسود من الحرير على العين الرامدة او الناظرة الى الثلج .

(2) هكذا ، اذا لم اكن متوهما ، معنى الحالة الثامنة لفعل غم في عبارتنا . راجع الصيغة السابعـة فى القاموس .

(3) من المعلوم ان المشرع الاعظم للجزيرة العربية قد نهى عن اداء اي عبادة لاي بشر هالك ، هذه العبادة التى يجب ان تكون لله وحده .

جهم فانها الهتني آنفا عن صلاتي وايتوني بانبجانيـة ابي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب (1) .

ونقرا كذلك الحديث التالي ترويه ام خالد بنت خالد (ص 169 ، والحديـث نفسه ص 170) . قالت أم خالد بنت خالد : « اتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء . فقال : من ترون ان نكسو هذه ؟ فسكت القوم . فقال : ايتونـي بأم خالد . فاتي بها تحتمل . فاخذ الخميصة بيـده فالبسها وقال : « ابلي واخلقي . وكان فيـها علم اخضر او اصفر . فقال : يا ام خالد هذا سناه » (2) (وسـناه بالحبشية حسن) . .

واخيرا فان انس (المرجع نفسه) يقص ما يلي : « لما ولدت ام سليم قالت : الي يا انـس انظر هـذا الغلام ولا يصيبن شيئا (3) حتى تغدو به الى النبـي صلى الله عليه وسلم يحنكه (4) . فغدوت به فاذا هو في حائط وعايه خميصة حديثية . وهو يسم الظهر الذى قدم عليه في الفتح . فاذا عارضنا هذه النصوص ببعضها ، وهي نصوص قيمة لا ارتاب فى انها تهم المستشرقين من عدة وجوه ، فاننا سنحصـل مـن

(1) ان النووي فى كتاب (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 241) يزودنا حول هذا النص بالتفصيلات التالية : « ابو الجهم ، ويقال له ابو جهم ، بحذف الالف واللام ، الصحابـي رضي الله عنه بفتـح الجيم واسكان الهاء مذكور فى المختصر والمهذب فى الخطبة فى النكاح ان فاطمة بنت قيس قالت: خطبني معاوية وابو الجهم . ومذكور فى المهذب ايضا فى باب ما يفسـد الصـلاة فى حديـث الخميصة ذات الاعلام وانبجانية واسمه عامر وقيل عبيد بضم العين بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين وكسر الباء بن عويج بفتحها ايضا بن عدي بن كعب القرشي العدوي — اسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليـه وسلم وكان معظما فى قريش ومقدما فيهم . قال الزبير بن بكار : كان ابو الجهم عالما بالنسب . وكان من المعمرين . شهد بنيان الكعبة فى الجاهلية. وشهد بنيانها فى ايام الزبير وفى (لا يوجد عنوان) انه توفي فى ايام معاوية . وهو اجـد دافنـي عثمان بن عفان وهم اربعة : حكيم بن حزام الخ ..»
واني اعترف بجهلي لماذا اضاف الرسول هذه الكلمات . فقد بحثت عبثا عن كلمـة انبجانيـة فى كتاب تهذيب الاسماء للنووي ، حيث كنت اؤمل ان اجد بعض الملاحظـات الخاصـة لانـارة هـذا النـص .

(2) فى الحكاية الاخرى لنفس الواقعة نجد سنا . وهي كلمة حبشيـة . وقد ولـدت أم خالـد فى الحبشة ، حسب تقرير عيون الاثر (لدى هاكر ، حصار منفيس والاسكندرية ، ص 71) .

(3) معنى ذلك انه لن يمص ثدي حاضنته .

(4) نقرا لدى النووي (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 334) : فصل حنك . قوله فى المهذب فى باب العقيقة : يستحب ان يحنك المولود بالتمر . واستدل بحديث انس رضي الله عنه فى ذلك . وهو حديث صحيح . قال صاحب المطالع : التحنيك هو ان تمضغ التمرة وتجعلها فى فم الصبي وتحنك بها حنكة بسبابتك حتى تتخال فى حلـقه . والحنك اعلا داخل الفم . والله اعلم . قال الهروي: يقال : حنكه وحنكه يعني بتخفيف النون وتشديدها . والله اعلم . ويجب علي أن الفت الانظار هنا ، بمناسبة هذه العبارة ، الى ان كلمـة مستحبلقيض كلمة فرض ، وان الكلمـة الاولـى تعنـي : ما اصبح عادة عامة ، ما تبناه الناس بصورة شاملة ، دون ان تأمر به شريعة . فى حين ان كلمة فرض تعني ما امرت به الشريعة فى الحقيقـة والواقع . وهناك عبارة للنويري (نهايـة الارب ، مخ 373 ، ص 592) تبرهن بوضوح على هذا المعنى لكلمة مستحب ولكلمة فرض ، المعنى الذي سنبحث عنه فى معاجمنا ولكن دون جدوى . (والاحظ بصورة عابرة ان هناك كلمات قد حركت عن مواضعها فى مخطوطتنا النويرية من قبل الناسخ) . وان جملـة : استـدل بحديـث تعنـي استخدم الحديث لاثبات ادعائه . وفى مخطوطة لكتاب ابن خلكان عائدة الى ويلمـت ، هـي الآن جزء من مكتبة معهد البلاد المنخفضة نجد فى الصفحة 22 : استدل بحديث ابي لبابـة . وقـد بحثت عبثا عن كلمة حريثية التى هي اسم مكان ، فى عدة كتب مطبوعة ومخطوطة . اما عن كلمة ظهر فراجع : كاترمير ، مذكرة حول الميداني ، ص 42) .

كلمة خميصة على النتيجة التالية : انها نوع كساء اسود ، يلبسه الرجال كما تلبسه النساء ، وهو مطرز الاعلام او الحواشي بالالوان المختلفة ، وقد يكون ذا علم واحد او حاشية واحدة . وهناك موضع اسمه حريثة يبدو انه كان مشهورا بحياكة هذا النمط من اللباس . وها انكم ترون فى النصوص التى اوردناها عدم ذكر اي شيء عن النسيج الذى تصنع منه الخميصة ؛ والجوهري نفسه لم يعلمنا اكثر مما اعلمنا سواه . وانني على جهل مطبق بالمصدر الذى استقى منه فريتاك علمه بصنع هذا الملبوس من الصوف والحرير . ترى اين وجد هذه المعلومات ؟ وعلى كل حال فلم يكن بالتأكيد هذا الكساء حريريا فى عهد محمد .

ويذكر الجوهري فى معجمه بيتا بوسعكم قراءته فى قاموس فريتاك يتضمن ان الشعر الاسود لفتاة يافعة يشبه خميصة .

الخنيــف والخنيفــة

كلمة خنيفة لا وجود لها فى القاموس .
وتشير هاتان الكلمتان الى رداء من الصوف الغليظ ـ يرتدى فى بلاد البربر

يقول مارمول (وصف افريقيا ـ ج 2 ، ص 4 ، مج 1) فى معرض حديثه عن البربر فى ولاية حاحة Héha اشد ولايات المملكة المراكشية غربية: انهم يرتدون كذلك المعاطف Des capotes grossières الغليظة ـ المعمولة من بعض القماش الصوفي الخشن الاسمر ـ وهم يسمون هذه المعاطف « Hañyfas »
وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 23 ، مج 3) : ترى (سواد الرجال فى مراكش) يرتدون المعاطف الخشنة الغليظة السمراء ـ ويسمونها Hañyfas .
واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) ـ يقول المؤلف نفسه ـ وهو يتحدث عن عامة رجال مدينة فاس : « يرتدون المعاطف الصوفية ـ الخشنة الغليظة السمراء ـ المسماة Hañifas ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ ص 240 ، مج 1) ضمن التفصيلات التى يوردها حول زي سفراء ملك مراكش وفاس ـ الذين قدموا الى امستردام عام 1659 : « ان السفير ابراهيم دق Duque كان يرتدي هو ايضا الحيك ـ ولكنه كان لابسا فوق هذا الثوب رداء واسعا ـ قد وصل الى حزامه ـ وهو مصنوع من شعر المعزي الاسود ـ او من الصوف ـ ومزود من جهته الخلفية بقبع كبوشي ـ ومزرر بازرار . وهذا الرداء الفضفاض المسمى فى اللغة العربية شنيفا Chanyf او شنيفة Chanyfa يرتدى عادة فوق الحايك .

شنيفة أم خنيفة ؟ شنيف ام خنيف ؟ . .

ولكن تتخذ الحيطة فى الشتاء لتغطية الراس الذي يعمم بالقبع الكبوشي . وحين يرتدي هذا المعطف على هذه الشاكلة يدعى (مغنس « Mugannes » راجع شكل هذا اللباس فى كتاب دابر (ص 240 ـ الشخص الثاني الايسر) . اما عن كلمة Mugannes فيجب علي ان اعترف ـ شئت ام ابيت ـ بأنني اجهل كيف تكتب الكلمة فى المغرب . فحسب النطق الهولندي ينبغي ان تكتبها (مغنس) ـ وهي كلمة لا وجود لها فى القواميس واقعيا ـ ولكنها مع ذلك يمكن ان تكون قد استعملت من قبل سكان الشمال الافريقي

الـــــدرع

يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص Chemise وانني اجهل ما يميز الدرع من القميص ، ولكن كلمة درع لا تنطبق الا على قميص المراة ، وكثيرا ما استعمل الشعراء هذه الكلمة للاشارة الى المراة نفسها . وهكذا نجد فى قصيدة للمعتمد فى كتاب (قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ج 1 ، مخ 306 ، ص 8) (الكامل) :

ان نشرت تلك الدروع حنادسا
ملأت لنا هذي الكؤوس ضياء

لادراك معنى هذا البيت ، ينبغي ان نتذكر ان الشعراء يشبهون الغيد بالليل ، بسبب شعرهن الاسود ، ويشبهون الخمر بالنهار او بالشمس لبريقها ولألائها .

وعلى هذا الاساس اترجم هذا البيت :

« اذا كانت هذه الفتيات (حرفيا : هذه القمص) قد نشرت الظلمة ، فمقابل ذلك هذه الكؤوس قد ملئت لنا بالضياء » .

والشاعر نفسه يقول ايضا (المرجع السابق) (الكامل) :

قد رمت يـوم نزالهــم
الا تحصنننــي الـــدروع

« لقد رغبت بحماسة متقدة منازلة الاعـداء ، ولكن النساء (حرفيا : القمص) منعتني من ذلك ». وهكذا نرى من هذه العبارات أن كلمة الجمع (دروع) وليس فقط كلمة ادرع ، كما تحاول ان تحمّننا علـى الاعتقاد معاجمنا، مستعملة للاشارة الى قمصان المراة، والواقع هو أن الشاعر ابن اللبانة (المرجع السابق ، ص 38) يستعمل هو ايضا كلمة الجمع (دروع) للدلالة على قمصان المراة (1) .

الــدراعـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .
واتباعا لراي دابر فى كتابه (وصـف حقيقـي دقيق لاقاليم افريقيا الشمالية ــ مج 2 ، ص 241) نرى ان كلمة Dhiraa دراعة تشير فى المغرب ــ الى هذا الرداء الواسع العظيم المسمى كذلك بالازار ــ راجع هذه الكلمة .

الــدراعـــة

لقد اورد سيلفستر دي ساسي بعض التفصيلات عن هذه الكلمة فى كتابه (طرائف عربية ــ ج 1 ، ص 125) ونستخلص من عبارة القاموس ــ التى استشهد بها هذا العالم ــ ان الدراعة قديما لم تكن تعمل الا من الصوف . ويعلمنا المقريزي (المرجع السابق) ان اللباس هو الذى كان يميز الوزراء من بقية ضبـاط القلم او العدالة . وهذا المؤلف يصف الدراعة بانها مفتوحة من الجهة الامامية حتى اعلى القلـب ومزرورة بأزرار وعرى . ونحن نقرأ لدى نفس المـؤرخ فـى كتاب سيلفستر دي ساسي (ج 1 ، ص 50 . النص العربي) ان الخليفة الحاكم بأمر الله كـان يلبـس الدراعة المصنوعة من قماش احادي اللون .

ونجد لدى ابن خلكان (وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 231) عبارة رائعة للغاية ــ عن حيـاة الوزيـــر المغربي . فهذا الرجل ــ المصري المولد ــ كان قـد هجر وطنه ــ لانه كان يخشى الحاكم ــ الذى كان قد اعدم اباه وعمه واخوته . فهام على وجهه متنقلا من بلاط الى بلاط ــ حتى نصب وزيرا من قبل الاميـر البويهي مشرف الدولة ــ ولكن ابن خلكان يضيـف انه لم يتلق لقب شرف ولا خـلع ــ ولم ينقطـع عن ارتداء الدراعة (وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة) . ويقول البارون دي سلان فى كتابه عن ابن خلكان (ج 1 ، ص 455) : يأنه لا يفهم لماذا كان المغربي مرغما على ارتداء الدراعة بصـورة دائمة ... ينبغي أن نعترف بأن المسألـــة بالغـة الغموض بحيث يتعذر تأويلها ــ ما دمنا غير واجدين فى اي مكان كان وصفا لزي وزراء السلالة البويهية . ولما كانت الوقائع تعوزنا ــ فأسمح لنفسي باخضاع تخميني لحكم اصلان المستنير . اذن فانني مفترض ان الدراعة لم يكن يرتديها وزراء السلالة البويهيـة ــ وان مشرف الدولة ــ حين ارغم المغربي على ارتداء هذا اللباس على الدوام ــ اراد ان يؤكد على اعتباره اجنبيا بصورة مستمرة (بوصفه وزيرا مصريا) ــ فلم يمنحه ثقته التامة ــ ولم يعتبره احـد رعايـاه المولودين فى ولاياته .

وحسبما يقول مؤلف كتاب مسالـك الابصـار (تعليقات ومقتبسـات ، ج 13 ، ص 216) ان الدراعة كانت ترتدي فى الهند من قبل القضاة والادباء ــ كما كانت ترتديها جماهير الشعب .

ويرد لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 144) ذكر (دراعة بنفسجي) ــ وكذلـك يفصـل المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 149) . وكانت الدراعة مستعملة فى الاندلس . فنحن نجد لدى المقري (تاريخ الاندلـــس ــ مخ دى غوتا ــ ص 373) ان عـرب الاندلـس قد اتخـذوا (الدراريع التى لا بطائن لها) ازارا باشـارة مـن زرياب ــ كما نجد فى موضع آخر لدى المؤلف نفسه (مخ 86) ان لباس الشرف ــ الذى منحه الحاكـم الثاني الى اوردونيو الرابع ــ كان يتالف من (دراعة منسـوجة بالذهب) ومن برنس .

ونحن ما زلنا واجدين هذا الثـوب فى مدينـة الجزائر . فان ديكو دي هيدو يتحدث فى كتابـه المعنـــون (خطــط مدينـــة الجـزائـــر ج 8 ، مج 2) : « يرتدي كثير من النـاس قميصـا آخر من الكتان المرسل ــ بدلا من هذه الغلالة ــ وهو

(1) لقد تعسف المستشرق الكبير حتى ضل السبيل (المترجم) .

طويل ـ مفرط فى السعة ـ مغرق فى البياض ويحمل اسم الدراعة Adorra وفى موضع آخر (ص 27 ، مج 2) يقول المؤلف نفسه ان النساء العربيات فى هذه المدينة يرتدين فوق اقمصتهن : القميص المفرط فى السعة والفضفضة ـ الدقيق للغاية ـ الابيض الى ما لا نهاية ـ الشبيه بذلك القميص الذى يرتديه ازواج هؤلاء النسوة المسمون بلدي Baladis او من يدعون بالحضر ـ والذين تحدثنا عنهم آنفا ـ وهن يسمين هذا القميص دراعة Dorat او الدراعة Adorat (1).

ويؤكد ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دى كاياتكوس ـ ص 106) ان سكان مقدشرا (راجع خرائطنا عن الساحل الشرقي الافريقي) يرتدون : « دراعة من المقطع المصري معلمة » (2) .

واخيرا فانني اود الفات نظركم مرة اخرى الى وجود من كانوا يلبسون عدة دراعات بعضها فوق بعض . فنحن واجدون فى تاريخ العباسيين

(1) اغتنم هذه الفرصة لاناشد المستشرقين ـ ما اذا كانوا يعرفون كلمة عربية ـ لها جرس لفظة Dorre وتدل فى الوقت نفسه على الجوخ الاصفر . فانني اقرا فى قصة رحلة (فان خيستلا ؛ ص 31) ان المغاربة : « يرتدون عادة ثيابا طويلة من النسيج الابيض ـ ذات اكمام واسعة ـ وبصورة عامة لا احزمة لها ـ والكثيرون منهم يلبسونها ايضا على مختلف الطرز ـ ومتنوع الالوان ـ كالاحمر ـ والاخضر الفاقع ـ والازرق وال Dorre اي الجوخ الاصفر » .

(2) تدل كلمة مقطع على الكتان ـ ذلك لان بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يفسر هاتين الكلمتين Glanda lienco بأنهما تونسي ومقطع وجمعه مقاطع ـ ويفسر Avala (aube) بقميص من مقطع . ويعتبر ابن الطيب فى كتابه (الاحاطة ـ مخ دى كاياتكوس ، ص 14) ان المقاطع التنوسية من بين الألبسة التي يرتديها الغرناطيون . وينبغي احلال كلمة التونسية محل كلمة التنوسية ـ وترجمتها : « اقمشة الكتان التونسية » . وقد كانت مدينة تونس مشهورة بالكتان الذى يصنع فيها ـ واليكم ما نقرا حول هذا الموضوع فى كتاب مارمول (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 241 ، مج 1) : « ان معظم سكان مدينة تونس هم من الحاكة ـ وينسج فى هذه المدينة افخر الكتان الموجود فى افريقيا ـ لان نساء تونس يغزلن الكتان غزلا فى غاية الدقة والنعومة ويبرمنه برما لا مثيل له . ومن هذا الكتان تحاك هذه العمائم المترفة (Tocas) التي تدعى Tunecis (de Tunis) (من تونس) ـ وهي مرغوب فيها بجنون لدى المغاربة » . وهذه العمائم المنسوجة من كتان تونس ـ لم تبق مجهولة لدى شعراء اسبانيا المسيحيين . لاننا نقرا فى (مجموعة من اشعار الموريسكيين ، ص 35) : « طاقية غامقة الخضرة ـ مع عمامة من النسيج التونسي » .

ونقرا فى موضع آخر (ص 164) : « Tocas tunecies ـ الدراريع التونسية » .

واعتقد انني وقعت على كلمة مقطع وجمعها مقاطع ـ بمعنى قماش من الكتان ـ فى كتاب مسالك الابصار . اذ اننا نقرا فى ترجمة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ـ ج 13 ، ص 200) ما يلي : « تبعا لما رواه لي سراج الدين عمر الشبيلي ان الثياب التي تجلب من الاسكندرية ومن بلاد الروس ترتدي بصورة خاصة من قبل اولئك الذين ينعم بها عليهم السلطان . اما الآخرون فان اقبيتهم وارديتهم مصنوعة من القطن الناعم . وتصنع من هذه المادة الثياب التى تشبه مقاطع بغداد » . واود أن الفت الانظار الى ان كلمة مقاطع لم تستعمل مطلقا بمعنى الاردية . ولعل النص هذا يعنيها : وتصنع به ثياب تشبه المقاطع البغدادية . ويجب ان اترجم كلمة ثياب هنا بقطع قماش آنفا (ص 1 ـ 22) وارى ان معنى هذه العبارة هو تصنع من هذه المادة قطع من القماش تشبه الاقمشة الكتانية البغدادية» . واود مرة اخرى ان الفت الانظار الى ورود كلمة (رفعة) هذه (المقاطع) La finesse مباشرة بعد ذلك اذا قورنت برفعة الاقمشة الهندية ـ وان هذه الاقمشة توازن بالموصلي (الموسلين) ـ وكل هذا ينطبق كل الانطباق على الاقمشة المصنوعة من الكتان .

للنويري ، مخ ، ص 190) « وفى هذه السنة امر المتوكل بأخذ اهل الذمة بلبس دراعين (دراعيتين) عسليين (عسليتين) على الدراريع والاقبية » . وذلك عام 239 .

المدرع والمدرعة

يخيل الي ان هاتين الكلمتين تشيران الى ما تشير اليه كلمة دراعة بالذات ، ويرى القاموس ان المدرع والمدرعة يكونان دائما من الصوف . والحقيقة ان هاتين الكلمتين تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذى لم يكن يرتديه الا العبيد او فقراء عامة الناس . فنحن نقرا فى كتاب القرطاس Le Kartas ط. تورنبر ، ص 6) ان عبدا كان يرتدي (مدرعة صوف) . ونجد فى سراج الملوك للطرطوشي (مخ 70 ، ص 43) ان شخصا كان يرتدي شملة ومدرعة من الصوف ، دخل على الخليفة معاوية ، وانه زجر على انتهاكه للآداب المرعية . ويتحدث Al-Bikaï الذى كوزكارتن ، طرائف عربية . ص 58) عن نساء كن يرتدين المدارع الشعرية ، فيقول : (وعليهن مدارع الشعر) .

الدروزة ، الدرواز

لا وجود لهذه الكلمة الفارسية الاصل فى القاموس .

ولكننا نقرا للمقريزي او بالاحرى لابن سعيد (لدى فريتاك . طرائف عربية ، نحو ، تاريخ ، ص 145) : « وطريقة الفقر على مذهب اهل الشرق فى الدروزة التى تكسل عن الكدر » .

يعني فقراء الاندلس الذين لا يجرؤ احد على لمس دروزاتهم لقذارتها (1) .

راجع دي كايانكوس فى كتابه (تاريخ السلالات المحمدية فى الاندلس . ص 114 وتعليق ص 404) .

الدفء ، الدفاء ، الدفية

لا وجود للصيغة الاخيرة فى القاموس .

ان كلمتي دفء ودفاء تشيران الى لباس من الصوف او من الشعر — او من الفرو — يستعمل للوقاية من البرد . (راجع القاموس — ط كلكتا — ص 27) . اما فى ايامنا هذه فان كلمة دفية مستعملة فى مصر . فنحن نقرا فى وصف مصر (ج 18 ، ص 110) : « الدفية هي قميص كبير من البركان الاسود — الذى يستعمله اعيان السكان فى قرية من القرى » . ويقول لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 45) : هناك افراد عديدون من الشعب يرتدون نوعا من الاردية — واحدها اوسع من العباية — وهو مصنوع من نسيج صوفي ملون بالسواد او بالزرقة القاتمة — ويسمونه دفية » .

الدقرار ، الدقرارة

يرى الجوهري والقاموس ان هذه الكلمة تشير الى ما يدعى بالتبان . راجع هذه الكلمة .

الدلق

يرسم سيلفستر دي ساسي فى كتابه (طرائف عربية — ج ، ص 269 وفريتاك) هذه الكلمة هكذا : دلـق . ويقول لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 346) ان الكلمة تكتب كذلك على هذه الصورة (دلق) . ولكن الناس يلفظونها بصورة عامة كما يلي (دلق) . ويعتقد ان كلمة دلق تستحق الاصطفاء . ولم اتبين العلة فى الموضوع . انها دلق الكلمة الفارسية — وهناك وزن لقصيدة وردت فى كتاب سيلفستر دي ساسي المذكور آنفا ، ج 2 ، ص 45 ، سطر 4 من النص العربي تبرهن بوضوح وقوة على ان كلمة دلق كانت تلفظ فى قديم الزمان هكذا (دلـق) بمقطعين ، وليس بثلاثة مقاطع .

والدلق هو لباس الفقراء والدجالين من الاولياء — ويرى السيوطي فى (الطرائف ، ج 2 ، ص 317) ان القضاة والعلماء كانوا يرتدون دلقا واسعا لم يكن مشقوقا — بل كانت فتحته من فوق الكتف — ويلبس الخطباء دلقا مستدير الشكل اسود اللون — وهو اللون الخاص بسلالة العباسيين » . ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 346 — 373) وفى (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 139) ان الدلق هو ضرب من الرداء الطويل — المؤلف من خرق

---

(1) اذا لم يكن ثمة خطأ فى هذه الكلمة ، فينبغي ان تنطق هذا النطق (تكسل) .

الجوخ المختلفة الالوان . وقد سبق ان قطعت على نفسي وعدا ـ حول كلمة خرقة ـ بالدخول هنا فى التفاصيل عن ثوب المتأملين ـ او عن اشباههم ـ وهم مجاذيب الشرق وبهاليله . واليكم ما وعدت به. فاننا نقرأ فى قصة روجيه (الارض المقدسة ، ص 247) : « هناك نوع آخر من العباد يدعون قولي ؟ Quoueli بعضهم حليق الراس ـ وهم يرتدون اردية مؤلفة من الف نوع من الخرق والاسمال ومن مختلف الالوان ـ ولكنها نظيفة للغاية » (راجع الصورة 240 . وفى قصة ستوكوف المعنونة (رحلة الى المشرق ؛ ص 433 ـ 434) لدى وصفه القاهرة : « والخلاصة لا يوجد فى اية ولاية من ولايات تركية شعب مؤمن بالخرافات مثل شعب القاهرة ، القاهرة التى لا مثيل لها فى حشد هذا العدد الهائل من مشعوذي الاولياء والدراويش . فهناك تجد منهم من يتسكعون فى الدروب عراة كما ولدتهم امهاتهم ـ وهناك آخرون يرتدون جلود الاسود او النمور .. وانك واجد اولياء آخرين يلبسون الف نوع من الالبسة المختلفة المضحكة . وها انني اصادف شخصا لابسا اعجب ملبوس لا تستطيع ان تضحك من شيء اكثر مما تضحك منه ـ وهو يمشي على عكازتين يعلو بهما نحو قدمين ـ وقد الصق بجسمه رداء يصل الى ركبتيه نصفه مصنوع من كل انواع الجلود ـ والنصف الآخر من كل انواع الاقمشة المختلفة الالوان ـ وقد شد على وسطه حزاما من جلود الافاعي ـ وهذا الحزام لم يمنع ثوبه من الانفتاح لدى كل خطوة يخطوها وابانة عورته للسائل والمحروم ـ وقد شد عضوه التناسلي بحلقة ضخمة من الحديد » .

ونقرأ لدى دارفيو فى كتابه (المذكرات ، ج 1 ، ص 209) : « يرتدي دراويش مصر ملابس غاية فى الغرابة : فملابس بعضهم حافلة بالخرق والاسمال البالية الملونة بكل انواع الالوان ـ وملابس الآخرين اردية مجللة بالريش الكثير ـ وهناك عراة كل العري ـ ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القنافذ ». ويقول المؤلف فى موضع آخر (ج 1 ، ص 324) عن درويش فى الصعيد انه كان يرتدي : « سترة مؤلفة من الخرق الكثيرة المختلفة الالوان ـ وان هذا الدرويش بذاته مسخرة قائمة بذاتها . فسعة حزامه قدم وهو يعج بعدد كبير من الحلقات النحاسية » .

المدجاة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 233) هذه الكلمة بأنها العمامة .

الدنية

الدنية ـ كما ترى المعاجم ـ هي طاقية القاضي ـ لان لها شكل الدن ـ اي شكل برميل كبير للخمر . ونقرأ فى رسالة موجهة من قبل حمزة الى القاضي (لدي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 92 من النص) ان حمزة امر ـ فى كثرة ما امر ـ بأن يلبس هذا الاخير دنية طويلة سوداء ـ لها عذبات صفر تتدلى على الصدر .

الدواج

انني اجهل حتى الآن ما اذا كانت هذه الكلمة تعني على العموم رداء او انها تعني ضربا خاصا من الاردية ويفسرها القاموس (ط. كلكتا ، ص 234) بأنها (اللحاف الذي يلبس) .

راجع المقريزي (لدي كوزكارتن ، طرائف عربية ص 116) .

الدائرة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي على راي هوست (اخبار من مراكش ، ص 102 الذى يكتبها ديرة Déira تشير الى رداء ازرق يرتديه الخاطب فوق الحيك ، وانني افترض ان هذه الكلمة هي الاسم المؤنث المشتق من فعل دار (ملابس تحيط الجسم
(Vestis) ambiens (corpus)

المداس

استعمل النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 21) فى عبارة له كلمة نعل وكلمة مداس بدون تمييز او تفريق . فنستخلص من ذلك ان كلمة مداس تشير الى الكلمة الفرنسية صندل Sandale ، كما تشير اليه كلمة نعل . والواقع ان النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 156) يؤكد ان المعني بكلمة مداس هي الصنادل المزركشة الجميلة المنظر البارعة

الصنعة ، التى يلبسها الرجال والنساء على حد سواء » . وبوسعنا قراءة حكاية لاذة للغاية بخصوص المداس لدى م. ج. همبر فى كتابه (حوليات عربية لم يسبق نشرها ، ص 41 — 45) .
Arabica inedita (pag. 41-45) de M. J. Humbert .

الذيل

تشير هذه الكلمة ، كما نعلم ، الى ذيل رداء او ذيل ثوب الخ . ولكنها تدل كذلك فى مالطة على : تنورة من النسيج الابيض . (راجع فاسيلي فى كتابه قويميس مالطي ، مجموعة 157) ويكتبها فيسكيه فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 6) هكذا (ايديل I-deil . ويقول عن الذيل : « تنورة من التيل او القطن الابيض ، ترتديه القرويات فى جزيرة مالطة » .

الترجيل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بمعنى مركوب .

وان النصوص التى نحن واجدوها فى كتاب الف ليلة وليلة (تجدون هذه الكلمة ، بهذا المعنى ثلاث مرات فى الصفحة 87 من الجزء الاول من طبعة مكناكتن) لا تدع مجالا للشك حول هذا المعنى لكلمة ترجيل . والحقيقة ان كلمة ترجيل فى الصفحة المذكورة مستعملة للدلالة على نفس ما تعنيه كلمة مركوب سوليبه Soulier فتورنس اذن مصيب كل الاصابة حين يترجم فى كتابه (انس الليالي العربية ، ج 1 ، ص 114 الكلمة الى شوز Shoes وارجو ان يعذرني لين ، كما أومل ، اذا كنت لست مستحسنا ترجمته، حينما يترجم كلمة ترجيل بكلمة صندل Sandales (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 163) .

الرخاية وجمعها الرخايات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) الكلمتين الاسبانيتين على هذه الشاكلة : Escarpins et peal عن (الاسكاربينات) الخفاف التى يسميها رياس Reyas كما يدعوها جاكسون فى كتابه (تقرير عن مراكش ، ص 138) عن الرياحات Bayahat او البانتوفلات الحمراء Pantoufles rouges انساء مراكش .

الرسة ، الارسوسة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 764) هاتين الكلمتين بكلمة قلنسوة . راجع هذه الكلمة .

الرسية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واعتقد انها تشير الى نفس النوع من عمرة الراس المسمى رسة ، ومعنى ذلك القلنسوة ، وانني ازعم عدا ذلك ان الكلمات رسة وارسوسة ورسية مشتقات من كلمة راس ، وفى العبرية روش : واقرر اخيرا لفظها رسية . وقد وصف الشاعر الصقلي ابن حمديس احد القصور ، لدى (النويري ، نهاية الارب ، مخ 273 ، ص 106) فقال : (الكامل) :

خلعت عليه غلائلا ورسية (شمس البيت) .

وترجمتها : « خلعت عليه الشمس تكريما له البسة ، وهي الغلائل (الملابس الصفراء) وجبته كذلك رسية » .

امام الشاعر هنا بريق الذهب ولالاؤه اللذان يسطع بهما هذا القصر ، وقد زادته اشعة الشمس توهجا على توهج . فيخيل الي اذن ان بوسعنا أن نستخلص من هذا البيت ان عمرة الراس المسماة رسية كانت ذات لون اصفر (1) .

الرصافية

يدور البحث فى عبارة لابن خلكان (ط دي سلان ، ج 1 ، ص 155) عن هذا النوع من العمرة ، وبعد هذا الكلام بقليل سميت سترة الراس هذه قلنسوة . وقد سبق للبارون دي سلان (راجع الترجمة الانجليزية لكتاب ابن خلكان ، ج 1 ، ص 115) ان لفت الانظار الى ان الرصافية كانت على هيئة طاقية ومن نوعها ، وهذه الهيئة لم نعد نعرفها اليوم على وجه الدقة والتحديد ، وانني اجهل ما اذا

---

(1) توهم المستشرق الكبير فحسب ان الواو فى كلمة ورسية هي حرف عطف فاخطأ . وبنى افتراضه على خطأ ، فوصل الى نتيجة خاطئة خطأ مركبا ! (المترجم) .

كانت الرصافية التي كانت تلبس في بلاط بغداد هي من نوع العرقية Calotte والمسماة في مصر (كلوتة) ام من نوع الطاقية Bonnet أم هي قلنسوة (1) .

الرطفل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

اما في الاندلس فيطلق اسم رطفل على نوع عصابة راس لها شكل الشبكة – وهي شبيهة بالشبكة التي تدعى بناقة .

راجع بيدرو دى الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) حول هذه الكلمات :

« Alvanega de red y capillejo de muger »

ويرى هذا المؤلف ان جمع كلمة رطفل هو رطفلات وكذلك رطافل .

المرقعة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس – بالمعنى المراد.

وهذه الكلمة تشير الى نوع دلق او خرقة وهي الثوب المرقع – الذي يستعمله الاولياء والفقراء الادعياء .

ويقول ابن بطوطة (الرحلة – مخ دى كاباتكوس ، ص 102) في معرض حديثه عن احد النساك : « لباسه مرقعة وقلنسوة لبد » . ويقول في موضع آخر – متحدثا عن قديس او ولي من جبل لمعان : « وعلية مرقعة وقلنسوة لبد – وليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل » . ونقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر – مخ 397 – ص 133) : « فلما قرأ مراسيم السلطان اخذ على راسه المصحف وتشفع بانه ما بقى يلبس الولاية ولا وضع على راسه كلوته . وقد لبس مرقعة وصار من جملة الناس » . ونقرأ في (رحلة ابن بطوطة – مخ – ص 89) : « وامره في الكرم غريب . وربما جاد بكل ما عنده . وبالثياب التي عليه ويلبس مرقعة . فيدخل عليه كبراء المدينة . فيجدونه على تلك الحالة فيكسونه » .

هذا النوع من اللباس المرقع ترتديه النساء ايضا . فنحن قارئون في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج 2 – ص 238) : « ولبست مرقعة ووضعت على راسها ازارا عسليا». والحديث جار حول احدى العجائز .

المركوب وجمعه المراكيب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير الى مداس – وتوجد احيانا في كتاب الف ليلة وليلة . راجع مثلا (ط مكناكتن – ج 1 ، ص 86 – 87) وانظر كذلك (طها بيخت – ج 1 ، ص 319 – 220 – 222) . فنحن نقرأ في وصف مصر (ج 18 – ص 110) : « هناك زوجان من المركوب او فردتان من المداس حمراوان » . ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون – ج 1 ، ص 42) : « ان المراكيب تصنع من الجلد المراكشي الاحمر السميك – وهي مدببة وانوفها شامخة الى العلاء » . ويرد في رحلة ستيفنس (حوادث رحلة الى مصر وسبطرا العربية والارض المقدسة – ص 225 ، ج 1) ذكر المراكيب الواسعة الحمراء – لاحد تجار القاهرة – التي يلبسها فوق المز الاصفر (Yellow slippers) .

وهذه الكلمة – حسبما اعلم – لا تستعمل الا في مصر .

الرويزي

يرى القاموس ان الرويزي هو الطيلسان . راجع هذه الكلمة .

الربطة – الرائطة

نقرأ لدى الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 507) ان الربطة هي : « الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين » .

وجاء في القاموس (ط كلكتا – ص 941) : « الربطة كل ملاة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب لين رقيق كالرائطة » . وكلمة ربطة لها المعنى نفسه في شروح مقامات الحريري (المقامات – ص 255) : « الربطة الملاة اذا كانت قطعة واحدة » . قال الشريشي : « الربطة عند

(1) ام هي الجراوية البغدادية بمختصر العبارة ؟ (المترجم)

العرب ثوب رقيق شبه المنحفة » . ويقول التبريزي في (شرح الحماسة – ص 492) : « الريطة هي الملاءة » . ويقول بعد ذلك (ص 504) : « هي الملاءة اذا لم تكن ذات لفقين » .

والحقيقة اننا سنرى لدى كلمة ملاءة ان هذا الثوب يتألف من لفقين مخيطين معا – اما الحبرة المحدثة فتتألف هي كذلك من لفقين مخيطين معا . واما الرداء الواسع المسمى ريطة فتلبسه النساء (كتاب الاغاني لدى كوزكارتن – طرائف عربية – ص 137) . راجع البقية في كلمة ملاءة . وكانت ريط الشام على الاخص مشهورة للغاية . (راجع النويري – نهاية الارب – مخ 273 – ص 92) .

ولكن كلمة ريطة – كما وردت في عبارة من مقامات الحريري – ص 254 – لا يمكنها ان تشير الى رداء واسع . فنحن نقرا : « فاذا شيخ عاري الجلدة – وقد اعتم بريطة » . ويلاحظ الشارح (ص 255) – والحق معه – ان كلمة ريطة ليس لها هنا المعنى الذي تشير اليه عادة . فلو كانت كلمة ريطة تدل هنا على رداء – لما استطاع المؤلف ان يقول : « فاذا شيخ عاري الجلدة » . وعلاوة على ذلك فانني سأجيز لنفسي ملاحظة ، ان هذه الجملة قد تلتها جملة اخرى مباشرة هي : « واستثفر بفويطة » . وعلى ذلك فلو كانت الكلمة هنا قد اشارت الى رداء كبير لما استطعنا ان نرى الخرقة التي كانت تستر عورة الشيخ . ولذلك قال الشارح ان الريطة تدل على كرزية (حقيقة قوله : شبه الكرازي) ومعنى ذلك خرقة من الصوف تلف الراس . وان الكلمة قد اخرجت عن معناها الاصلي (مغير عن اصله) – وكذلك كلمة فوطة – التي لم تكن في الاصل تشير الا الى قطعة قماش غليظة مستوردة من الهند – ولكنها بعد ذلك اصبحت تشير الى (ضرب مما يعتم به) . وهكذا نرى ان الشارح لا هو ولا مؤلف هذا الكتاب قد اتفق احدهما مع فريتاك حول المعنى الذي يشار به الى كلمة ريطة في هذا النص . (1) .

الزبون

لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس.

والزبون اسم نوع من الصدبري او السترة القصيرة – وكل منهما له كمان واسعان – مطرزان . والزبون معروف غاية المعرفة في طرابلس الغرب . راجع (رحلة النقيب ليون (اسفار في الشمال الافريقي – ص 6) حيث تجد كلمة زبون .

زربول – زربون

احيل القارىء الى الكلمة الاخيرة – اعتقادا مني بأن هاتين الكلمتين ليستا سوى تحريف لكلمة شربيل.

الزرمانقة

لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة – ليس بطوقي ان اضيف شيئا الى التفصيلات المعطاة من قبل فريتاك .

اذن تشير هذه الكلمة الى نوع جبة صوفية . ويرى بعضهم ان هذه الكلمة ان هي الا تحريف للكلمة الفارسية اشتربانه – ويقولون ان هذا اللباس قد اكتسب هذا الاسم لانه كان يطلق بصورة خاصة على حداة الابل . (من اشتر وهو الجمل – ومن بان وهو الحارس ومن الحرف الملحق الهاء المربوطة) . ويقدر آخرون ان هذه الكلمة هي عبرية (؟) .

الزلحم

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراكش– ص 116 و 117) : « ويرتدي بعضهم فوق الحيك زلحما – وهو من نفس قماش الحيك . ومزود بقبع كبوشي لتغطية الراس في اوقات سوء المناخ – ويعلق بهذا القبع لوزة من الحرير او الصوف تتدلى على الظهر . ويحلى قبل هذا اللباس من الجهة الامامية احيانا بلوزات على الطريقة التركية . وهذه تكون مطرزة الحواشي من الاسفل وذات هدبات صغيرة وحواشي بديعة . راجع اللوحة الخامسة عشرة – الصورة الثالثة والصورة الرابعة » . ويكتبها لمبريير في كتابه (سياحة في مراكش – ص 229 – 295) هكذا Sulam

(1) جاء في المستدرك على المعاجم العربية للمؤلف – تحت كلمة « ريطة » البيت التالي – الوارد لدى النويري في تاريخ افريقيا – ص 50 – المشير الى المرابطين ولثامهم :

اذا التثموا بالريط خلت وجوههم ازاهر تبدو من فتوق الكمائم (المترجم)

– ويقول ان الزلحم رداء فضفاض هفهاف – معمول من الصوف الاوربي الازرق أو الابيض – وهو يتدلى حتى القدمين وقد زود بقبع كبوشي لوقاية الراس .
ويكتب ريلي Riley فى كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية – ص 196 و 198 و 431) هذه الكلمة على نفس الشاكلة – ويعرض علينا هذا الرحالة التفصيلات التالية : « ان المعطف او الـ Sulam مؤلف من جوخ اسود غليظ ازب اشعر – والطريقة المعمول بها تماثل طريقة عمل المعطف الاوربي – وهو مزود بقبع كبوشي . ومع ذلك فهو مقفل من منتصف الصدر – وهكذا فلاجل ان يرتديه صاحبه يتحتم عليه ان يدخل راسه من الفتحة العليا – وهو يغطي من لابسه الذراع – هكذا يرتديه المرتدون » .

ويكتبه همسو دى كرابر فى كتابه (مرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية – ص 81) هكذا (سلهام) Sulham ويقول انه معطف يصنع عادة من الكشمير الابيض . وهو اوسع من البرنس – ويلبس بدله . ويقول جاكسون فى كتابه (تقرير عن مراكش – ص 138) ان هذه الكلمة تلفظ وتكتب هكذا (Silham) – وهو كما يرى هذا الرحالة معطف من الجوخ الازرق العاتك – ومرتدوه هم البربر » . وبعد ذلك (المرجع نفسه) يعلمنا المؤلف نفسه ان رجال البلاط لا يرتدون الحيك مطلقا اثناء مثولهم بين يدي الامبراطور – ولكنهم يلبسون الزلحم دائما – او يرتدون معطفا مشغولا من الصوف الأبيض .

الزعبوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون – ج 1، ص 44) ان الزعبوط يرتدى فى مصر من قبل الذكور من سواد الشعب – وهو معمول من قماش اسمر – وتفتح فيه فتحة من العنق الى حدود الحزام وله كمان واسعان . ويلبس عادة فى الشتاء . ويقول بارثي فى كتابه (جولة خلال صقلية والمشرق – ج 2 – ص 275) « لا يرتدي الفلاحون فى مصر الا دراعة (جلبابا ؟) سمراء غليظة » .

ولا مرية ان هذه الكلمة ليست عربية . وسنرى فى قابل الصفحات ان الكلمة الاسبانية Capote قد تسللت الى اللغة العربية التي يتكلمها الافارقة – فهي لديهم (كبوط) . ومن المحتمل ان كلمة زعبوط كانت (كابوت) Capote فلفظ الحرف ç كالسين لالحاق علامة السيدى Cédille بقاعدته فاصبح Capote (سابوت) (زعبوط) . ومع ذلك فلا تاخذوا قولي على انه اكثر من تخمين .

الزنجب – الزنجبان

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 58) هاتين الكلمتين بانهما المنطقة ، اى الحزام الذهبي او الفضي.

الزنجبة

تشير هذه الكلمة الى ما تشير اليه الكلمة الفرنسية تورنير : (tournure) لفافة ، ويفسرها القاموس (ط كلكتا ، ص 98)) كلمة العظامة .

الزنار

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .
ونحن نعلم ان كلمة زنار تدل على حزام ، ولكن هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه المسيحيون ، كما يؤكد ذلك الزمخشري : مقدمة الادب :
(Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 51 :
وبهذا المعنى نقع على هذه الكلمة لدى الكتاب الشرقيين . وليس من واجب مجهودي هذا التحدث عن الملابس التي يرتديها النصارى فى الشرق ، ولو لم يكن لكلمة زنار حتى الان معنى آخر لما سمحت بقبولها فى قاموسي . ولكن هذه الكلمة كانت تشير فى اسبانيا كذلك الى : مئزر غليظ يلبسه الفلاحون .

ويفسر بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) هذه الكلمات :
Capote vestidura rustica وكذلك
Vestidura para el campo
بكلمة زنار وجمعه زنانير . ونجد فى الاحاطة لابن الخطيب (مخ دى كايانكوس – ص 187) النص التالي: « فرجعت الى داري وقلت اخرج الى الوادي الى باب القنطرة اغسل ثيابي من درن السجن وافر الى العدو. نقلت لامراة تغسل الثياب : « اغسلي ما علي . وجردتها . ودفعت لي زنارا البسه . فبينا انا كذلك واذا بالخصى قائد ابن مرذنيش (كذا) يسوق سنين (ستين) رجلا من اهل الجبل لابسين الزنانير .

فرآني على شكلهم فامر بحملي الى السخرة والخدمة(1) بحصن مشقوط عشرة ايام . نقمت اخدم واحفر مدة عشـــرة ايـــام .

الزنط وجمعه الزنــــوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصـــر ، مخ 367 ، ص 390 ، حوادث سنه 840) — اشهر السلطان المنادي فى القاهرة بان لا فلاح ولا غلام يلبس (رنط) (كذا) احمر فامتثلوا ذلك. ونقرا بعد ذلك (ص 401): ثم انه نادى (بان ؟) لا فلاحا ولا عبدا يلبس رنطا (كذا) احمر . وكانت الفاسلة اذا طلبت الى ميتة تفعل كما تقدم (2) . وقيل انه راى فى المنام عربا بزنوط (كذا) حمر شاء حتينه (ختينه ؟) .

ان السبب الوحيد الذي حملني على وضع هذه الكملة فى باب الزاي وليس فى باب حرف الراء هـو اعتقادي بان احتمال اغفال وضع النقطة فوق الـــراء اكثر سهولة من اضافتها الى حرف الراء من قبـــل الناسخ . وعلى كل حال ، فانني اعترف بجهلي التام حول نوع اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة .

السبجة — السبيج — السبيجة

يقول الجوهري (ج 1 ، ص 142) عن سبجـة انها (كساء اسود) ، ويقول القاموس (ط كلكتا ، ص 236) المقالة نفسها ، ولكنه يضيف ان هذه الكلمـــة تشير كذلك الى البقيرة . اما سبيـــج وسبيجـــه ، فالجوهري يقول : البقير واصله بالفارسية شبي وهو القميص . والمعروف ان الكلمة الفارسية سبي تدل على قميـــص النـــوم (اي شميـــز دى نـــوي Une chemise de nuit) ، كما يقول العرب .

السبلـــــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الثوب الاول من الثياب التي تتالف منهـا التزيرة ، اى الزى الذي تلبسه النســاء فى مصر فوق

---

(1) لقد لاحظت فى موضع آخر فى (الصحيفة الآسيوية — 4 — ج 3 — ص 400) من المحتمل كثيرا ان كلمة خديم تشير الى جندي . والواقـــع ان مويـــت Mouette يؤكد فى كتابه (نهايـة غزوات مـــولاى Archy
ان رماة السهام فى مراكش يسمون Le Codem الخديم . فمن السهولة اذن ان نرى ان كلمة Le Codem ليست سوى الكلمة العربية الخدام — وهي جمع خادم — والكلمة لها معنى كلمة خديم . وكلمة خدمـة الموجودة فى نصنا — تؤخذ بمعنى خدمة عسكرية . وابن الخطيب (مخ دى كاياتكوس — ص 110) حين يتحدث عن احد القواد البارزين — يعرب عن فكرته بهذه الكلمات : « كان له فى الخدمة مكـــان كبير وجاه عريض » . ولعل هذا يجعلنا نفكر بوجوب ترجمة الجملة هكذا : فى الخدمة بوصفه جنديا. وبعد ذلك يجب ترجمة الكلمتين العربيتيـــن (نقمت اخدم — هكذا : نقمت اخدم فى هذه القلعـــة بوصفي جنديا . ومع ذلك فلا اعتقد بلزوم تـــرجمة هذه الجملة على هذا المنوال . والصيغة الثانية لفعل خدم تؤخذ على ان لها عدة مفاهيم عبثا يبحث عنها الباحثون فى قواميسنا . وتستعمل بمعنى اشتغل وعمل . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة(مخ دى كاياتكوس — ص 196) : وكان يخدم اصحابه ومماليكه فى خدمة البستان وبنائه ويقول : لا ارضى ان ياكلوا طعامي وهم لا يخدمون .
وكلمة خدمة تؤخذ كذلك بمعنى اشتغل وعمل — فنحن نقرا لابن سعيد لدى فريتاك : (فـــادرا على الخدمة) . ونطالع لدى ابن بطوطة (مخ — ص 201) : كان عبيده يخدمون تلك الارض نهارا . وقـد راينا فى نص ابن بطوطة المتقدم ان كلمة خدمة قد استعملت بمعنى الفلاحة فى بستان . واخيرا فان هذه الكلمة تستعمل بصورة خاصة فى معرض الحديث عن اعمال البنائين والفعلة الآخرين . ويقدم لنا ابن بطوطة (مخ . ص 86) النص التالي : « ولما بنى اساسه رفع عن اهل المدينة التخديم فيـــه . وصارت الفعلة تخدم فيه (فيها) بالاجرة . وكلمة تخديم الموجودة فى هذا النص الاخير ستبرر لفظي خدم بالصيغة الثانية فى الامثلة المتقدمة وفى نصنا المقتبس من ابن الخطيب — الذي لـه فى الحقيقة شبه كبير بنص ابن بطوطة الاخير .

(2) راجـــع كلمـــة عصابـــة .

اثوابهن الاخرى : حين يبرزن من منازلهن . ونحن نقرا في وصف مصـــر (ج 18 ، ص 113) : « السبلـــة قميص كبير من التفتا يغطي كافـــة الملابـــس » . (الا الحبرة والبرقع ، فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت) « وتتدلى حتى الارض . والنساء يلبسن السبلة عند خروجهن من دورهـــن ، سواء رحن الى الحمام او قمن بزيارة . وهن لا يخلعنها الا اذا رجتهن خلعها من اذين الزيارة لها ، لا سيما اذا كانت من علية القوم » . ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 61) ان هذا اللباس كساء واسع هفهاف ، وانه يسمى بالثوب فيســـاوي على وجـــه التقريب طوله بتمامه ، وهو مصنـــوع من الحريـــر ، ويكون عادة قرنفلي اللون ، وقد يكون ذا لون وردي او بلون البنفسج . وليس هناك ادنى ريب بان هذه الكلمة مشتقة من فعل اسبل .

السبنيـــــة

ان هذه الكلمة هي بالتخصيص اسم جنس جمعي مؤنث من كلمة سبني ، وهي تشير الى اقمشة مصنوعة في سبـــن Saban (مدينة قرب بغداد) . ولكن كلمة سبنية في المغرب تـــدل على حـــزام او منطقـــة (Strophium) . هكذا يرى دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) (1) .

التساخيـن

يرى اللغويون العرب ان هذه الكلمة تدل على نوع من الخفاف وعلى ضرب من الطيلسان .

السدوس او السدوس

حول النطق بهذه الكلمة بوسعكم مراجعة تعليقة للعلامة الجليل هامكر المثبتة في كتاب فيرس المعنون (ابن زيدون ، لدى الفتح بن خاقـــان ، ص 128) .

وهذه الكلمة تدل في مذهب اللغويين العـــرب ، على طيلسان اخضر .

وهناك بيت لابي عبيدة ، يرويه ابن الخطيب .

راجع (هامكر في كتابه القيم) . وارجـــع الى الجوهري (حول كلمة سندس، ج 1 ، مخ 85 ، ص 42)، وانظر شارح ابن خاقان لدى فيرس ، كتابه القيـــم ، (ص 37 و 126) ، وهذه كلمات البيت (الطويل) :

وداويتها (2) حتى شتت حبشية
كأن عليها سندســـا وسدوســـا

« لقد عالجتها بحيث انها الان تستطيع قضـــاء الشتاء كامراة حبشية (اى : تكاد تكون عاريـــة) ، وبوسعها القيام بهذه العملية بكل امان واطمئنان ، كما لو كانت مكتسية بالحرير او بالسدوس » .

ويخيل الينا ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان السدوس كانت ترتديه النساء في الشتاء بصورة خاصة ، ليقيهن من البرد .

السيـــــدارة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا — ص 549) ان السيدارة هي الوقاية تحت المقنعة والعصابة . اذن فهي نوع من الطاقية .

الســـربـــال

انني لا اجرؤ على التأكيد — كما صنع فريتاك — بأن هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية شلوار — فهي على اقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة . ويرى القاموس (طكلكتا — ص 1470) ان السربـــال هو : القميص او الدرع او كل ما لبس . ونجد كلمـــة سربال مفسرة في شرح اشعار جريـــر (مخ 633 ، ص 311) بكلمة قميص . ويرى كانيـــس في كتابـــه

---

(1) ان كلمة سبنية تدل كذلك على قطعة قماش او على منشفة . ويفسرها المطرزي في كتابه (الاقناع ، مخ معهد البلاد المنخفضة ، رقم 73 ، ص 64)بكلمة شقة . ويقول ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس) « ثم جاء احد الفتيان ببقشة . والبقشة بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين هي السبنية (المعجم) . وبوسعكم مراجعة تعليقـــات كاترمير حول كلمة بقشة . وقد سبق لي في الصفحة 95 ان المعت الى هذه الكلمات .

(2) في مخطوطة ابن قتيبة نجد (وداريتهـــا) ، و Hamaker يفضل هذه الكلمة ، ومـــع ذلـــك فـــان الجوهري وشارح ابن خاقان متفقان على كلمـــة النص ، وهي تعطي معنى افضل .

(النحو العربي الاسباني – ص 171) ان كلمة سربال تشير الى قميص او الى قباء ابيض يرتديه الجنود والحوذيون لوقاية ملابسهم من الادران .

السرموز – السرموزة – السرموج – الزرموزة – الجرموق

ان هذه الكلمات جميعا ان هي الا تحريفات للكلمة الفارسية سرموزه – وهي نوع من طماق – اى من غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف . وكانت كلمة جرموق تلفظ قديما (جرموق) – وهي الكلمة التي يشرحها الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 111) بأنها الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف) . ولكن يبدو ان كلمة سرموز قد استعملت فى العصور المحدثة للاشارة الى ضرب صندل – نعل Sandale او ربما لتدل على شبشب تلبسه النساء فوق اخفافهن. وفى ايامنا هذه يستعمل البابوش او البابوج نفس الاستعمال . فنحن نقرا لدى المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 360) : « وبه الى الان سكن بياعي اخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها سرموزة . هو لفظ فارسي معناه راس الخف . فان سر راس وموزه خف . وارى اننا ميالون الى الاعتقاد – تحت طائلة نص المقريزي هذا – الى ان السرموزة لم تكن تلبسها الا النساء – ولكنها كانت تلبس ايضا من قبل الرجال – خلال القرن السادس عشر على الاقل – عندما كتب كتاب الف ليلة وليلة . (راجع ط مكناكتن – ج 2 ، ص 65 ، – وطها بيخت – ج 2 ، ص 34) .

ويبدو ان هذه الكلمة لم تعد تستعمل فى مصر ومع ذلك ينبغي ملاحظة ان الكونت دي شابرول فى كتابه (وصف مصر – ج 18 ، ص 109) قد ذكر البابوج والسرمه – وهما من الاحذية المصنوعة من الجلد المراكشي التي توضع فيها القدم مغطاة بالمز Mest (راجع كلمة مز) . فحين يدخل الداخلون الى احدى القاعات المفروشة بالسجاجيد يخلعون بوابيجهم والسرمه : هذا ما تقتضيه الآداب . فهل يحق لنا ان نستنتج بأن كلمة سرمة اختصار لكلمة سرموزه ؟ .

السراقيل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولا ادري معنى هذه الكلمة بأي وجه من الوجوه . ولكننا نقرا لدى المقريزي (وصف مصر – ج 2 ، مخ 372 ، ص 347) ان العواهر كن يلبسن السراقيل الحمر فى ارجلهن (وفى ارجلهن سراقيل حمر) . وان المخطوطة التي تحمل اشارة الباء ((B)) تذهب المذهب نفسه .

السروال ، الشروال ، السرول ، السراويل

اننا نقرا فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم على من يحج الى مكة ارتداء السراويل . ويجب ان نحل محل كلمة السراويل الازار ، فاذا لم يستطع الحاج ايجاد الازار فيجوز له ارتداء السراويل . وهكذا نرى ان كلمة سراويل مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار ، وكانت مستعملة منذ العهود الاسلامية الاولى .

والسراويل كانت شائعة الاستعمال فى الاندلس. فهناك عدة مؤلفين عرب من شبه الجزيرة هذه قد تحدثوا عنها ، والاسبانيون قد صاغوا كلمتهم (zaraguelles çaraguelles من الكلمة العربية .

وفى المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس . فنحن نقرا فى كتاب ديكو دى هيدو (خطط مدينة الجزائر ؛ مج 2 ، ص 28) : « ان النساء يرتدين جميعا لدى خروجهن من منازلهن تلك السراويل الكتانية ، التي يجعلنها ناصعة البياض للغاية بمفعول الصابون ، وهي تتدلى حتى تصل الى مواضع اقدامهن » . ويتحدث دارفيو فى كتابه (المذكرات ، ج 5 ، ص 289) عن رجال مدينة الجزائر فيقول : « ان لبعضهم قمصانا وتبابين (سراويل) ومعظمهم لا يملكونها قط ، وخصوصا فى فصل الصيف ، فان حرارة الطقس تعفيهم من هذه النفقات . اما مغاربة الريف ، الذين هم علماء القوم وفقهاؤهم فان لهم على الدوام اقمصة وسراويل تكريما لهم واعترافا بفضلهم ، وهم يلبسونها احتشاما » . وبعد ذلك (ص 285) : « ولبعض النساء من علية القوم سراويل » . ويذكر ديكو دى هيدو كذلك (ص 8 ، مج 2) سراويل القنب لسكان مدينة الجزائر. ويقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 102 ، مج 2) فى معرض حديثه عن الرجال فى فاس : « يرتدي كل منهم سروالا من القنب يتدلى حتى كعبي قدميه ، وهو ضيق للغاية من اسفله » .

والسروال القديم (او دى شوس (Le haut-de-chausse الذي يلبسه الرجال فى

مدينة فاس وارد ذكره كذلك لدى ديكو دي توريس فى كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) . كما نجد لدى غليوم ليتغوف (ص 17 ، ج 2 ، رحلات بريــة فى القــرن التاســع عشــر (Guillaume Lithgouve) ان « الرجال والنساء فى مدينــة فــاس يرتــدون الســراويل (Lange broecken) فى حين ان كعب القدم مكشوف » . ويؤكد مارمول (ج 2 ، ص 103 ، مج 1) : « ان النساء فى فاس ، لا سيما الاسبانيات الاصل يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن ، سراويــل مفرطة فى الطول ، يطوينها طيات متعددة ليظهرن جمال السيقان حسب اهوائهن (Para proporcionar la pierna) ما دامت هذه الثياب (Las marlotas) لا تصل الا الى منتصف الساق » . واذا آمنا بما يقوله ديكــو دى توريس (ص 86) فان النساء فى مراكش يرتديــن السراويل التي هي واسعة من الجهة العليا وتضيق من الجهة السفلى ، وتتدلى حتى ربلة الساق » . ومع ذلك فان مارمول (ج 2 ، ص 33 ، مج) يلاحــظ بنفــاذ بصيرة ان نساء مراكش لا يرتدين مطلقا هذا الثوب : « No acostumbran traer çaragueles como las de Fez »
وحتى الرجال فى فاس لم يكونوا يرتدون هذا اللباس ، اذا كان ليون الافريقي يقرر الحقيقة فى كتابه (وصف افريقيا ، ص 319) . واخيرا فاننا نطالع فى كتــاب هوست (اخبار من مراكش ص 117) : « اما الاغنياء فيرتدون سروالا من القنب الابيض ، الــذي يدعــى ســــرولا Serûal والذي هو فى معظم الاحوال واسع فضفاض باسراف . واما البحارة فيرتدونــه عادة من الجوخ . راجع اللوحة الخامســة عشــرة ، الشكــل الثانــي » .

وكل ما اعلمه ان المغاربة ليست لهم كلمة اخرى للدلالة على هذا اللباس ، وليست الحالة على هــذه الشاكلة مطلقا فى مصر ، كما سنبرهــن على ذلــك بعد قليل ، اذ تستعمل كلمة لباس للاشارة الى مــا تشير اليه السراويل بالذات ، وحتى في ايامنا هذه ، فان كلمة لباس شائعة الاستعمال للدلالة على السروال او التبان فقط . (راجع كلمة لباس) . ويقرر الكونت دى شربول ان كلمة شروال (كذا) تشير الى سروال مملوك ، وهذا السروال احمر ومصنوع من الحريــر البندقي » . (وصف مصر ، ج 81 ، ص 107) . وفى هذه العبارة يجب احلال كلمة بنطلون Pantalon — محل كلمة كيلوت Culotte . راجع الصــورة فى كتاب ويتمان (رحلات الى تركية الآسيوية وسوريــة ومصر ، ص 242) .

ويبدو ان بدو مصر لا يرتدون التبان ولا السروال ولا البنطلون ، لا رجالهم ولا نساؤهم .

ولنمض الان من مصر الى سورية .

يقول بلون فى كتابه (ملاحظات ، ص 327) فى الفصل الذي عقده حول مدينة الناصرة . « لا يلبس اهلها الذكور التبابين مطلقا ولا يستعملون الجوارب ولا يرتدون السراويل ، ولكن نساءها يرتدين هــذه الملابس جميعها ، تماما كما يصنع الاتراك » .

ويؤكد روولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ص 49) : « ان سكان طرابلس الشــرق يلبســون وبصورة خاصة فى موسم الصيف ، سراويل من القطن واسعة فضفاضة بيضاء بياض الثلج ، وهي تتدلى حتى كعب القدم ، وانها محكمة الضيق من الاسفل وليست كذلك من الاعلى . وهي كذلك محرومة من الرافعات الخافضات ، لاستطاعة غسل الاعضــاء الطبيعيــة (العورة) والاقدام بدون عائق ، اثناء التطهرات الشرعية اليومية ، التي يغسل القوم خلالها سواعدهم وايديهم فيما يغسلون » . وبعد ذلك (ص 50 ، 51) يقول هذا الرحالة عن نساء هذه المدينة ، انهن يرتدين سراويل واسعة شبيهة بسراويل الرجال . وهــن يجعلنهــا طويلة بحيث انهن يدرجن ثيابهن فى هذه السراويل من الاسفل احيانا . وتصنع عادة من النســيج الرقيــق اللين . وتتألف بحلاوة واناقة من عدة الوان ، وقــد طرزت اذيالها الجانبية بتطريزات بديعة » . ويذكــر المؤلف نفسه اخيرا بعد ذلك (ص 133) وهو يصف زيه الذي تزيا به للسفر من حلب الى بغداد ، فيقول ان « بنطلونه من القطن الابيض الهابط الى كعب قدمه » .

ويقول داندينى (رحلة من جبل لبنان ، ص 46) عن رجال طرابلس : « انهم يستــرون سيقانهــم بالسراويل العريضة المصنوعة من القنب او من نسيج آخر ، وهي تتدلى حتى الاقدام » . وبعد ذلك (ص 48) : « وتستعمل النساء كذلك السراويــل » . ويذكــر دى برين ايضــا (الرحــلات ، ص 362 ، الــخ) : « سراويل نساء حلب التيلية » . ولكنه يضيف قائلا : « على انهن يرتدين السراويل المصنوعة من اقمشــة اخرى ، حسب متطلبات الموسم » . انظر هيئة هذا اللباس فى الشكل المرقم 189 . ويقول دارفيو فى مذكراته (ج 6 ، ص 425) بأن « نساء حلب يرتدين السراويل الطويلة كما يرتديها الرجال » . ويصــف لايت فى كتابه (رحلات الى مصر والنوبيــا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص) متحدثا عــن

رحلته من يافا الى الرملة والى اورشليم ، ازياء البغالة المسمى واحدهم (مكاريا) (1) فيقول : « ان الشروبل Le sharweel او السروال ، الـ كيلوت La culotte واسع فضفاض ، وهو يتدلى حتى الركبتين ، وقد صنع من الجوخ الأخضر » .

ويقرر دارفيو فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 206) : « ان امراء وشيوخ البدو فى سورية يرتدون فى موسم الشتاء السراويل من التيل ، كما يرتدونها فى الصيف » . (المرجع السابق ص 208 ، انظر المرجع السالف ، ص 174) . « وللسيدات سراويل من الموصلي وهي مطرزة بالحرير من اطرافها وفى مواضع الخياطة » . (المرجع السابق ايضا) « ويرتدي سواد العرب سراويل من التيل » . (ص 211) .

اما عرب الطبقة الوسطى فى اليمن فيرتدون ، حسب رواية نيبور فى كتابه (وصف الجزيرة العربية، ص 58) ، سراويل واسعة . واما عرب الطبقة العليا فيرتدون السراويل ايضا (المرجع السابق ، ص 60). ويرتدي بعض سواد العرب السراويل كذلك . وتستعمل النساء فى المناطق الجبلية هذه السراويل كذلك (المرجع السابق ، ص 61) وسراويلهن مصنوعة من التيل الأزرق ببعض التطريزات الملونة .

ويخبرنا علي بيك فى كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) ان نساء مكة يرتدين « سراويلات هائلة ، تتدلى حتى بوابيجهن بل تدخل فيها ، او قد تندس فى خفافهن ، وهي مصنوعة من القطن المخطط المجلوب من الهند » . ويقول بركهارت فى كتابه (اسفار فى الجزيرة العربية ، ج 2 ، ص 339) : « ان لهن سراويل زرقاء ومخططة واسعة بافراط تصل حتى كعوب اقدامهن ، وهي من الاسفل مطرزة بالفضة » . وقد شاع استعمالها بصورة عامة حتى بين رجال مكة . (راجع علي بيك ، ج 2 ، ص 108 مع بركهارت ، ج 1 ، ص 336) .

واننا واجدون هذا اللباس فى الاقطار الشرقية فقد ذكر بكنكهام فى كتابه (رحلة الى بلاد الرافدين ، ج 1 ، ص 6) الشروال المصنوع من الجوخ الازرق ، Sherwal . (وتجدون ان هذا الرحالة يلفظ كلمة شروال بالشين كما يلفظها الكونت دى شابرول) . راجع بيترو دلا فاله (رحلة الى تركيا وفارس ، ج 1 ، ص 161) .

وقد انتشر استعمال هذا اللباس بصوره عامة فى الجزيرة وفى العراق العربي . اذ يعرض لنا روولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 190) وصفا رائعا يبعث على التأمل حول رحلته الى مناطق الفرات. وبعد ان يتحدث عن مدينة Schara الصغيرة وقبل ان يتكلم عن عنه ، يصور لنا من يسميهم Moren الذين يقارنهم بمن يدعون Zigeuner (الغجر) . ولعلهم البدو ممن يعرفون ببني سعيد ، ما دام فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ ، ج 1 ، ص 366) يسميهم قبيلة بني سعيد Beni Saeed ، وهم العرب الذين يوجدون اكثر ما يوجدون فى الشمال على الفرات ، فى شيرين Shereen . ويقول روولف بهذا الصدد : «ان الرجال لا يرتدون السراويل ، ولكن نساءهم وحدهن يرتدينها، وسراويل هؤلاء النسوان معظمها من اللون الازرق ، وهي تصل الى كعوب اقدامهن ، مثلهن مثل النساء التركيات » .

---

(1) تتواجد هذه الكلمة كثيرا لدى الرحالين . ونجدها محرفة الى Mucrelli فى قصة بومكاراتن فى كتابه (الزيارة ، ص 57) . وللمؤلف جان زوالار فى كتابه (الرحلة المثلى الى اورشليم ، ص 72 — 74) فصل تام عنوانه المكارون : Des Mouqueres ، حيث يقص علينا كيف يتحتم على زوار بيت المقدس التصرف مع هؤلاء الرجال . ويبدأ الفصل على هذا المنوال : « ان المكارين هم اولئك الذين يعلفون ويواجرون الحمير التي يمتطيها النصارى للتجول فى الحقول ، من مكان الى آخر ، وهم يقومون بخدمة ومتابعة هؤلاء الزوار ، كما يقوم بنفس العملية من نسميهم الفيتوربين فى ايطاليا Vetturins . ولكن المكارين اشد بربرية من اولئك الايطاليين ، اذ انهم رجال قساة ضعفاء المروءة : ومعظمهم يدعون انهم نصارى : ولكنهم من اولئك المارونيين المسيحيين ذوي الانطقة . وهم ليسوا الطف ولا ارق من العرب ، ولا تستطيع تمييزهم من العرب الا بقبعاتهم السوداء الموضوعة على رؤوسهم، وهذه القبعات غير مغطاة بقماش ابيض كقبعات المغاربة المحمديين ولا كقبعات العرب » . ومن كلمة المكاري وضع البرتغاليون والاسبان كلمتهم المكرف : Almocreve .

وسأتحدث فى قابل الصفحات عن تعبير سراويل الفتوة . (انظر كلمة لباس) .

السقمان

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويحدثنا المقريزي فى كتابه (وصف مصر ، ج2 مخ 372 ، ص 350) ان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون ، ايام حكم السلالة التركية (الجركسية) فوق الخف ، السقمان (وفى ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان)

السلارى

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وكان السلارى او القباء السلارى (قباء الامير سلار) هو اللباس الذي كان يسمى فى غابر السنين (بغلطاق) . راجع هذه الكلمة .

السلطة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه : المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58) ان هذه الكلمة تشير الى سترة Jaquette تصنع عادة من الجوخ او من القطيفة ، وهي مطرزة على طراز تطريز الجبة ، ان النساء فى القاهرة يرتدينها فى غالب الاحيان بدل الجبة . ويكتبها فيسكيه (سلته) فى كتابه (رحلة الى الشرق، ص 41) ، ويشرح هذه الكلمة بأنها سترة فوقانية للرجال والنساء .

السليفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 119) انها نوع زينة او اكليل للراس يشبه العذبة وتستعمله النساء فى مراكش . ويكتب كرابردى همسو الكلمة (سفيفه : Sfifs) فى كتابه (المرآة الخ — ص 80) . ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأ مطبعيا .

المسماة

هل تكون المسماة طماقا اى غطاء من لباد للساق والحذاء ؟ لاننا نقرا فى القاموس (طكلكتا ، ص 1895): « واستمى الصائد لبس المسماة للجورب او استعارها لصيد الظباء فى الحر وطلبها فى غيرانها عند مطلع سهيل » .

السنتبر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويحدثنا دابر فى كتابه (وصف حقيقي لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 341) ان احد الخدام الذين رافقوا سفراء ملك فارس ومراكش ، والذين وجدوا عام1659 فى امستردام ، كان يرتدي « ثوبا مبطنا بالفرو ، مفتوحا من الجهة الامامية ومزودا بقبع كبوشي يتدلى على الظهر ، وله كمان مسدلان . ومن هذين الكمين تدخل الذراعان احيانا . ومن الاعلى الى الاسفل من الجانبين الامامين توجد قطع حمراء صغيرة ومستديرة مع شرائط مبرومة او قياطين فى الوسط تصلح لربط هذا الثوب ، وهم يشدون الاقسام العليا منها بصورة خاصة . وهذا الثوب يدعى لديهم sant à barre (سانتابار) كما يسمى كبوطا kabbout (راجع كلمة كبوط) ، وهو يرتدى فى اغلب الاحيان من قبل البحارة وخصوصا فى الشتاء . والحقيقة انه لباس مريح ملائم لاولئك الذين يحتم عليهم ان يعملوا ، ذلك لانهم يخلعونه ويلبسونه بيسر وبسهولة » .

وانني اعتقد ان هذه الكلمة اسبانية الاصل ؛ ولكن حتى يومنا هذا لم استطع اكتشاف الكلمة الاسبانية التي شملها الافساد والتحريف فتحولت الى (سانتابار sant à barre) .

الساج

هذه الكلمة حسب مذهب القاموس (طكلكتا ؛ ص 240) هي الطيلسان الاخضر او الاسود (الطيلسان الاخضر والاسود) (1) .

---

(1) قال المؤلف فى ترجمة هذا النص : الاخضر او الاسود (المترجم) .

السيقــان

ان هذه الكلمة ، وهي جمع ساق ، تشير بصورة خاصة الى (السيقان) ، ولكن يجب اضافة الى القاموس ان تؤخذ كذلك بمعنى السروال الواسع بافراط . ويترجم بيدرو دى الكالا (Pedro de Alcala) فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) (vocabulario Español-Arabigo) كلمة ساهون (çahon) بكلمة سيقان ، واعتقد ان الكلمة الاسبانية ساهون ليست سوى تحريف للكلمة العربية سيقان ، ويبدو ان العلماء الاسبان فى عهد كوبارو فياس (Cobarru vias) قد حكموا نفس هذا الحكم ، وعلى كل حال ، فان هذا اللغوي يؤكد ان كلمة ساهون هي عربية الاصل .

الشامــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس، بالمعنى المراد.

فى كتابه (اسفار (Lyon) ويقرر القبطان ليون فى افريقيا الشمالية، ص 117) .
(Travels in Northern Africa)
« ان النساء فى مرزوق يرتدين أقمصة من الحرير المخطط الذي يطلقن عليه اسم الشامي . ويضيف هذا الرحالة ان الناس فى هذه المدينة يرتدون هذه الاقمصة المصرية ، ولكن ، لما كانت كلمة شامي تعبر عما هو وارد من سورية ، فانني اعتقد ان هذه الانواع من القمصان مصنوعة فى سورية ، وانها تعبر هذا القطر الى مصر ، وان سكان مرزوق يظنونها صناعة مصرية ، ذلك لانهم يبتاعونها من تجار مصر . ويخيل الي ان الناس قديما كانوا يقولون (قميص شامي) ، ولكن غبرت ازمان فغبر معها اسم قميص وظل اسم شامي باقيا ليعرب عن القميص الحريري المخطط .

الشايــة وجمعها الشيــات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد استعار عرب الاندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين . استعاروها من الكلمة الاسبانية سايا وسايو (اعتبرهما المؤلف كلمة واحدة فجاريناه — المترجم) .

التي هي كما تعلمون ، مشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية ساكوم Sagum . ويترجم بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) كلمات Sayo de muger بكلمة شاية ، وجمعها شايات ، ويترجم على نفس النمط كلمات Sayo de paron ونحن نعلم ان كلمة Sayo تشير الى عباءة واسعة لا ازرار لها ، ويرتديها القرويون الاسبان » . اما Saya فهي تنورة امراة (1) .

ونحن نقرا فى الاحاطة لابن الخطيب (مخ دى كايانكوس ، ص 178) ، عن حياة محمد الاول ، ملك غرناطة : « وحدث ابو محمد البسطي . قال : « عاينته يوم دخوله وعليه شاية ملف مضلعة اكتافها مخرقة » . وان كلمة مضلع ، الواردة فى هذا النص ، تؤخذ على ان لها معاني متعددة ، كما بمقدورنا ان نرى مصداق ذلك فى القاموس ، لدى كلمة مضلع . راجع حول كلمة ملف الصفحة 112 من هذا الكتاب ، موضوع الجبة .

وقد دخلت كلمة Sayo كذلك الى لغة المندنكو . وهذا الشعب يلفظها Saio . (راجع مكبرير فى كتابه (قواعد اللغة المندنكية ، ص 42) (2) .

الشد وجمعه الشدود

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس — بالمعاني المنشودة .

ويرى دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا — مج 1 ، ص 240) ان كلمة Sjed او Sied تشير الى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الراس والتي تستعمل لتاليف العمامة . ويؤكد هوست فى كتابه (اخبار من مراكش — ص 114) كذلك ان كلمة شد تدل على ما يشير الى العمامة — ومعنى ذلك قطعة من الموصلي — او من قماش ابيض رقيق آخر — يسطح ويرقق فيتخذ منه الناس عدة لفات فنية تسوى فوق العرقية الحمراء (شاشية) . ويبلغ سعرها خمسة ماركات وقد يصل احيانا الى خمسة دوكات » . ويقول هوست ان هذا التاج لا يرتدى الا

---

(1) كلمة صاية دارجة فى اللغة العراقية الدارجة .
(2) لغة شعب مالي ؟ (المترجم) .

من قبل الاشراف والحجاج (زوار مكة) والقضـــاة والرؤساء وطلاب العلم والفقهاء (1) . ويقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا – ج 2 ، ص 102 ، مج 3) عن سكان فاس : « لبعضهم عادة الاعتمـــار بالقلانس الرقيقة البيضاء – وهي مقدرة لديهم كـل التقدير – وهم يسمونهـا (تونسـي (Tunecis) ويلفونها ست او سبع لفات حول الراس (2) .

وكلمة شد لها نفس المعنى فى مصر – كمـا اثبت ذلك كاترمير بالاستناد الى نص لابن اياس (تاريخ السلاطين المماليـك – ج 1 – ق 1 – ص 150) . والشد يشير كذلك فى هذا القطر الى : حزام مـن القطن الابيض البعلبكي (الشد البعلبكي – المرجـع السابق) . ولكلمة شد معنى آخر ايضا – فهي تشير الى قطعة قماش تلف بها الرقبـة وقايـة لهـا من البرد او الحر – فهي بمشـابة ربـاط Cravate فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 409) : « البسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابـه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شدا على رقبته». ونلاحظ هنا بسهولة ان المسألة ليست مسألة عمامة: ذلك لان العمامة قد ذكرت باسمها – ثم ان العمامة لا تلف حول العنق – الا لإظهـار الخضـوع والطاعـة والاستسلام – وعلى ذلك فان هذا الشاب اليافـع موضوع بحث نصنا لم يكن ليحمله اى شيء على اظهار هذه الحالة . واخيرا فان هذا المعنى الذي اعزوه فى هذا الموضع الى كلمة شد قد ثبت بالبرهان – كمـا يبدو لي – وذلك بتوافر العدد الكبيـر من نصـوص الرحالين الاوربيين . فنحن نقرأ لدى كوتو فيـك فى قصته (رحلة – ص 485) : « كانوا اثناء السفـر يحيطون رقابهم بقطـع من القمـاش او بالمناديـل (Linteola vel sudario) حماية لانفسهم من لفح الشمس » . ونقرأ فى الكتاب المعنون (قصة رحلة فى مطلع عام 1210 – ص 209) : « يلفون مناشف من التيل حول اعناقهم » . ويعبر روجيه عن الموضـوع فى كتابه (الارض المقدسة – ص 204) بهذه الكلمات: « يضعون تحت العمامة وفوق رؤوسهم خمارا واسعا من الحرير الاسود – ويلفون به العنق عـدة لفـات فيتدلى حتى الاكتاف» . (راجع الشكل 1 – ص 206).

ويقول بوكوك فى كتابـه (وصف الشـرق – ج 1 ، ص 327) : « ان شعب مصر يلف حول رقبته قطعة قماش زرقاء اللون تكون مفرطة فى السعة احيانـا . وهو يغطي بها الراس ايضا – وقاية من البـرد ومن اشعة الشمس » .

ونجد فى كتاب لين (المصريون المحدثون – ج 1 ، ص 41) : « وفى الشتاء يضع كثير من الناس حول رؤوسهم واكتافهم شالات من الموصلي او من قماش آخر – شبيه بالنسيج الذي يستعملونـه لتكويـر العمائم » .

المشـــدة

ذكر فريتاك (المشدة هي التاج – اذا صحـت قراءة نص « تحفة الاخوان ») . ولعل كلمة مشـد تشير كل الاشارة الى تكويرة راس شبيهة بالعمامة او بالاحرى شبيهة بالشد . وعلى اقل تقدير فان الكلمة موجودة فى اللغة العربية للدلالة على : طرحة مشدودة حول رقبة الحصان . (المقريزي – تاريخ السلاطين المماليك – ج 1 – ق 1 – ص 150 .

الشـــوذر

اننا نقرأ لـدى الجوهـري (ج : – مخ 85 – ص 309) : « الشوذر الملحفة . وهو معرب . واصله بالفارسية جاذر » (كذا) . كما نطالع فى القامـوس (طكلكتا – ص 562) : « الملحفة معرب » . والحقيقة ان الشوذر هو الكلمة الفارسية جاذر – وهذا اللباس يماثل كل المماثلة – من حيث الهيئة – الرداء الواسـع او خمار المراة – وهو ما نسميه بالملحفة . والشوذر او الجاذر مستعمل فى العراق العربي وفى فارس . فنحن نقرأ فى القصة المكتوبة باللغة الاسبانيـة – لمؤلفها البرتغالي الرحالة Teixeira تيخيـرا (رحلات من الهند الشرقية الى ايطاليا – ص 121) : « ان جميع النساء الدارجات فى الدروب والازقـة (جميع نساء بغداد) مستورات بقطع من القمـاش تشابه الارز (Como mantos) ويدعى احدها Chaudel

---

(1) تشير كلمة رئيس الى ربان السفينة . راجع كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 1 ، ص 93 – 95– الخ . ونحن نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى فىكافة قصص الرحالين تقريبا – هؤلاء الرحالة الذيـن زاروا الشرق فى مختلف العهود – ومع هذا فانهذا المعنى لم يرد له ذكر فى القاموس .

(2) تونسي (نسبة الى تونس . راجع كلمة دراعة – التعليق 2) .

ومع ذلك فان لون هذا الازار ليس اسود » . (كما هو في اسبانيا والبرتغال) . وفي قصة بيترو دلا فاله – ص 752) نقرا عن بغداد : « وختاما فان الازر التي تستتر بها النساء لدى خروجهن من منازلهن تختلف كل الاختلاف عن بقية اجزاء الملابس الاخرى وعن الازر التي رايتها حتى الان : ذلك لان هذه ليست ثيابا من الجوخ – كما هي في القسطنطينية (فراجـه) – ولا هي قطع من التيل الابيض – كتلك الموجودة في سورية ومصر (ازار) : ولكن النساء يرتدين بعض القطع المنسوجة من التيل الحاوي على مربعات بيض وزرق – كتلك الملاحف التي ترتديها نفس الطبقة في القاهرة (ملاية – ملاءة) – اما نساء الطبقة الاعلى فيرتدين الاقمشة الحريرية من نفس اللون . وهذه الملابس غاية في الرقة والنعومة والسعة والفضفضة – نظرا للحرارة اللاهبة التي تخيم على هذا القطر . واخيرا فان نساء الطبقة العليا يلبسن – كما تلبس زوجتي الحسناء معاني (Maãni) نفس الاقمشة التي هي احادية اللون – فهي اما بنفسجية خالصة – او زرقاء عاتكة – مع بعض الشرائط حول الحواشي التي تكون من لون مغاير . وهذا اللون داكن ايضا . وهي تشبه كل الشبه الازار الذي ترسم به سيدتنا مريم العذراء Notre Dame » . ونحن نطالع في قصة الاب باسيفيك (رحلة من فارس – ص 412) قوله : « اما اللباس فهو متماثل من الجهة المظهرانية لدى جميع النساء الفارسيات) فهن لا يملكن الا كفنا واسعا ابيض اللون يسترهن سترا شاملا – من الراس الى اخمص القدمين » . ونجد في رحلة اولياريوس (رحلة الى موسكوفيا وبلاد التتر وفارس – ص 819) : « ان النساء (في فارس) لا يسفرن مطلقا عن وجوههن لدى سيرهن في الدروب والازقة – ولكنهن يكن مستورات تحت ازر بيض تصل الى سيقانهن – وهن لا يفتحن منها الا ثقوبا صغيرة في مواضع العيون – وذلك بغية القدرة على المشي . وطالما تغنى شعراء الفرس بهذا الازار قائلين بأن اجساما لدنة غضة بضة كثيرا ما اخفت نفوسا خبيثة شريرة وان تحت مظهر الحياة الصالحة طالما قبع عدد هائل من امهات الرذائل – وقد يستر هذا الازار الابيض في احايين كثيرة – تحت ازياء هي غاية في الروعة والبهاء – امراة هي غاية في القباحة والدمامة». ونقرا في كتاب تيفنو (تتمة رحلة من المشرق – ص 177) : « اذا طوفت النساء الفارسيات في دروب المدينة فانهن غنيات كن او فقيرات يرتدين ازارا هائلا بل كفنا من التيل الابيض – هو غاية في الرقة والنعومة – ولكن نصفه يعصب جبين المراة حتى عينيها – ويدور فوق الراس – ويصل حتى اخمصيها – اما النصف الآخر فيعصب وجه المراة – تحت العينين ويرتبط بدبوس على الجهة اليسرى من الراس – ويسقط حتى يصل الى نعليها – ويغطي حتى يديها اللتين تمسك بهما جانبي هذا الشراع – بحيث ان المراة تتكيس فيه بتمامها حاشا عينيها » .

ونقرا في كتاب اوليفيه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس – ص 262 و ج 5) : «تدفن المراة الفارسية نفسها لدى خروجها من بيتها في ازار واسع من النسيج الموصلي او من قماش قطني اقل رقة ونعومة . اما نساء الشعب فيستعملن قماشا من القطن الملون » .

ويؤكد كيربورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة – ج 1 – ص 132 – الخ) « نرى النساء (الفارسيات) حين يبرزن من مكامنهن – انهن يمشين مترنحات الخطى – ملفوفات من رؤوسهن الى اقدامهن في شراع آسيوي واسع يدعى بالجادر Chadro » . » .

ويقول المرجع نفسه بعد ذلك : « لدى ذهابي الى القلعة وعند ولوجي في السوق – شهدت بضع نسوة من مختلف الطبقات يمضين لاستنشاق الهواء في كنف الجادر الذي لا يستطيع اختراقه مخترق – ولم يكن سهلا على احد اكتشاف ما اذا كان هذا الكن قد حجب ثروة باذخة ام فقرا مدقعا » . راجع (امراة فارسية مغلفة بجادرها – ج 1 – ص 354) . وفي موضع آخر (ج 1 – ص 208) في معرض وصف بنكشاه (بين اريفان وتكشيفان) : « انهن يلففن اجسامهن بالجادر الذي هو غطاء من القطن الابيض – او من المربعات الزرق والبيض الذي يحيط بهن كما يحيط الكفن بالميت » . واخيرا (ج2 – ص 368) : « ان الجنس اللطيف كله في مدينة بغداد – النساء الغنيات والنساء الفقيرات – يخرجن من منازلهن مرتديات الجادر ذا المربعات الزرق والبيض : في حين ان هذا النسيج باحاطته للجسم لا يترك مجالا للدلالة على اصل المراة العريق التي ترتديه – اللهم الا قطعة من الذهب – مكفتة في احدى حواشيه تومىء ايماء الى نبل محتدها » .

ونطالع في كتاب بكنكهام (رحلات الى بلاد ما بين النهرين – ص 195 – ج 2) : « ان ازياء نساء مدينة بغداد هي كذلك بسيطة بساطة الازياء التي تستعملها

افقر نساء قرى بلاد ما بين النهرين ـ ذلك لان نساء مختلف الطبقات يشتملن بقطع من التيل تحتوي على مربعات زرق وبيض تشبه تلك القطع التي ترتديهـــا نساء افقر الطبقات فى مصر (ملاية ـ ملاءة) . ويؤكد فريزر (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ـ ج 1 ـ ص 119) انه لم يكن فى مقدوره رؤية النساء الكرديات لانهن ـ كما يقول : « لا يظهرن الا على هيئة اكوام من الجوادر او الاغطية الزرق ذات المربعـــات البيض والزرق » . ويقول المؤلف نفسه فى موضـــع آخر من كتابه (ج 1 ـ ص 378) فى معرض وصفه لبغداد : « ان اغطية النســاء الهائلة المصنوعة من التيل الازرق الغامق او من اللونين الازرق والابيض ـ التي تغطي الجسم من الراس الى القدمين ـ تخفـــي فى الحقيقة الخصر والقامة والحلة » .

والشعراء والكتاب الفرس يذكرون الجـادر فى مجازاتهم واستعاراتهم وامثالهم ـ ويسرفـــون فى التعريض به ويرى القامـــوس (ص 562) ان كلمـــة شوذر تشير كذلك الى اللباس المشار اليه بكلمة اتب.

الشربيـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي كما يذهب اليه دونباى فى كتابه (النحـــو المغربي ـ ص 82) عصابة تشدها النساء فى المغرب حول الراس . Strophium capitis .

الشربوش وجمعه الشرابيش والشرابيش

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد سبق لكاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 245) ان استعار ، من نـــص للمقريزي ، الكلمات الجوهرية ، التي تعيننـــا بصورة خاصة على فهم هذه الكلمة . وأؤمل الا تتضايقوا من ادراج هذا النص بتمامه هنا . فدونكم النص (مخ 372 ، ج 2 ، ص 351) : « واما الخلع فان السلطان كان اذا امر احدا من الاتراك البسه الشربوش . وهو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الراس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبتـــه اما ثـــوب نـــخ (1) او طرد وحش او غيره . فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة . وقد بطل الشربوش فى الدولة الجركسية . وكان بهـــذا السوق عدة تجار لشراء التشاريـــف والخـــلع (2) وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الامراء . وينال الناس من ذلك ويقتنـــون بالمتجـــر فى هـــذا الصنف سعادات طائلة (3) . فلما كانت هذه الحوادث

(1) تشير كلمة نخ الى نسيج من الحرير المذهب . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخدى كايانكوس، ص 129) : ولم يبعث الي الا ثوبا واحدا من الحرير المذهب يسمونه النخ بفتح النون وخاء معجـــم . وفى موضع آخر (مخ . ص 141) يقول هذا المؤلف ، متحدثا عن جواري الخاتون لـــدى بلغـــار الفولغا : وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهـــب يسمى النخ . ونقرا بعد ذلك (ص 149) : علـــى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها ايضـــا الشيخ مرصعة بالجواهر . وعلى راسها تاج مرصع. وتصنع هذه الثياب فى مدينة نيسابور ، لان ابن بطوطة يؤكـــد (مـــخ . ص 167) ما يلـــي : « ويصنع بنيسابور ثياب الحريـــر من النـــخ والكمخا وغيرها وتحمل منها الى الهند » .

(2) وفى المخطوطة ب (مخ 276 ، ص 566) يرد هذا الكلام : وكان بهذا السوق عـــدة تجار لشـــراء الشرابيش وقيل لشراء التشاريف والخلع .

(3) لا وجود لكلمة طائل بهذ المعنى فى القاموس . ونحن نقرا لدى ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دي كايانكوس ص 194) :اعطاه اموالا طائلة . ونطالع فى مكان آخر (ص 237) : صاحب الاموال الطائلة . ونجد لدى المراكشي (المعجب ، مخ 546 ، ص 258) : ما يعدل اموالا طائلة . واعتقد ان كلمـــة سعـــادة موجودة بنفس المعنى فى هذا النص من كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتـــن ، ص 246 ، ج 1) ونقرا فى تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 3) : شملته سعادات الدولة العثمانية . وفى كتاب سير الاعيان للذهبي (مخ 320 (2) ص 257) : ونال سلار من سعادة الدنيا ما لا يوصف .
وينبغي ان يعني تعبير اهل السعادة لدى المسلمين (اهل السعادة) : ونجد فى كتاب الف ليلـــة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ص 35) هذا التعبير : صارت من اهل السعادة ـ والحديث يخص امراة اعتنقت الاســـلام .
وقد رايتم ورود (دار السعادة) فى مدخـــل الكتاب .

منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان . وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه . ومن اشترى من ذلك شيئا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه . والأمر على هذا في يومنا الذى نحن فيه .

وكان الشربوش العمرة المميزة للامراء ، ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء (راجع نص جمال الدين بن واصل ، الذي ذكره كاترمير . (الكتاب القيم ، ص 244 وق 1 وج 1 الخ ...

ويذكر مؤرخو مصر بصورة متصلة هذا النوع من عمرة الراس . فنحن نقرا مثلا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 132) : « وركب الأمراء ـ بالتشاريف والشرابيش على عادة امثالهم » . وفى موضع آخر (مخ 2 م ، ص 215) : انعم على الامير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان قد لبسه ثم خلعه عليه » .

وهذه العمرة كانت كذلك شائعة الاستعمال فى البلاد الشرقية الآنأى ، فى بغداد مثلا ، ذلك لاننا نقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 49) : « ان الملك الناصر داود ، يوم كان فى بغداد عام 633 شمله التشريف ف (خلع عليه قباء اطلس وشربوش) .

وقد استعارت احدى مدارس دمشق كما يظهر اسمها من هذا التاج ، لانني على اقل تقدير اطالع لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 39) : فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية .

وقد عبرت كلمة شربوش الى اللغة السريانية (راجع الحوليات لابن العبري ، ص 313 و ج 1 : Bar-Hebraeus, Chronicon Syriacum, tom. I, pag. 313).

وان نستطيع العثور على هذه الكلمة فى القواميس السريانية ، كما اننا لن نعثر على كلمة شربوش فى المعاجم العربية .

والخلاصة ان كلمة شربوش ادنى كثيرا الى كلمة سربوش الفارسية من كلمة شربوش اليها ، التى يقول عنها كاترمير : « ان هذه الكلمة العربية تحريف للكلمة الفارسية » .

ولست مرتابا من صحة هذا المذهب ، ولكن يجب علي ان الفت الانظار الى ان الكلمة الفارسية سربوش) حسب علمي : لا تشير الى عمرة راس رجل ، وانما تدل فقط على اكليل راس امراة .

وكانت هذه العمرة Coiffure معروفة الاستعمال فى القسطنطينية ، وفى ازمير وفى مدن اخرى ، ايام برين Bruyn فهذا الرحالة يكتب الكلمة هكذا Carpous (كربوس) ، واعتقد بوجوب لفظها بعد اضافة السيي ç cédille الى الحرف (ç) فيلفظ هذا الحرف بصوت السين ، وليس بصوت الكاف ، فتنطق الكلمة على هذا المنوال (شربوس) çarpous . راجع (الرحلات ص 35 ، 58 ، 59 ، الخ ، الرسم المرقم 18) .

الشربيل ، الزربول ، الزربون

لا وجود لكلمة شربيل وكلمة زربون فى القاموس . وانني لاجهل تمام الجهل اين وجد سيلفستر دي ساي ـ راجع كتابه الموسوم : (طرائف عربية ، ج : ، ص 146) ان كلمة زربول ، تعني فى الشرق : انعلة ومداسات قديمة ، الامر الذى هو غير مقبول على الاطلاق .

يقول دييكو دي هيدو فى كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ص 27) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر : « بعضهن (لا سيما النساء المغربيات) يلبسن نوعا من المداسات Pantoufles (Unas servillas) على الطريقة المغربية ، وهي مصنوعة من الجلد الملون بلطافة واناقة ، وهن يسمينها Xerecuilla

ونحن نقرا فى كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 117) « جميعهم يلبسون احذية مصنوعة من الجلد المراكشي تدعى باسم Scherbil شربيل . وتكون احذية الرجال صفراء ، واما احذية النساء فحمراء . كما نعلم ان مداسات هؤلاء واولئك لا كعوب لها » . وفى قائمة الكلمات العربية التى انشأها بريتنباك فى كتابه (وصف رحلات وزيارات ، ص 115) وهو الرحالة الذى زار الشرق عام 1483 ، نجد ان كلمة Serbul مفسرة بكلمة Schuh (مداس) .

ويقول : D. Germano de Silesia (pag. 905) الذى سبق لهابيخت ان ذكره فى مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب الف ليلة وليلة ، ان كلمة زربول وجمعها زرابيل ، هي مداس مزود بكعب : « scarpa con tallone ; calceus cum talo »

وما لم يثبت مثبت العكس، فانني اشعر بكوني مرغما على الاعتقاد بأن الزربول وكذلك الشربيل لا كموب لهما . وقد نعثر احيانا على صيغة زربون فى كتاب الف ليلة وليلة ، اذ نجد هذه الكلمة مرتين فى الجزء الاول من طبعة مكناكتن . وقد تفضل اماري فأعلمني ان كلمة سربون Sarbon وجمعها سرابين Sraben ما زالت مستعملة حتى أيامنا هذه فى مالطة .

واعتقد ان كلمة شربيل مماثلة للتعبير الاسباني Servilla الذى يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد ، والكلمة مشتقة من Serva (Sierva) ذلك لان الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات . ومن كلمة سربيل تألفت ، حسب رايي ، كلمة زربول ، فان حاول الزاي محل الشين ليس فيه ما يدعو الى الدهشة والعجب ، وستذكرون ان (و) و (ي) فى الشعر العربي يجيئان فى قافية واحدة ، كما هو الامر فى الشعر الالماني . فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بابدال اللام بالنون ، وهما حرفان من نفس الصنف . وقد قلت ان كلمة Servilla مشتقة من كلمة : Servante Serva (خادمة — امة — جارية) .

وهناك مسألة تدعو الى الملاحظة وامعان النظر وهي اننا نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 25) : جعله فى رجليه زربونا على عادة المماليك (Siervos) بالاضافة الى اننا نطالع فى هذا النص ان كلمة زربون مستعملة استعمال اسم جنس جمعي فى كتاب الف ليلة وليلة للاشارة الى فردتين من الزربون . وقد لاحظت آنفا نفس الملاحظة حول كلمة خف (1) .

الشطفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر بركهارت فى كتابه (ملاحظات على البدو والوهابيين — ص 27) ان « بعض ابناء عنزه يشدون حول رؤوسهم طرحات يسمونها شطفات ومفردها : شطفة » . Shutfe .

الشعرية

نرى من قاموس فريتاك ان ريسكه قد علق على هامش كوليوس بأن هذه الكلمة تشير الى : « Vitta, quâ caput tegitus » وهذا التفسير خاطيء . فان كلمة شعرية تدل على خمار قصير مصنوع من شعر الخيل — كما يدل عليه اشتقاق الكلمة — فان الشعرية مشتقة من الشعر Crines . ونحن نقرا فى قصة روجيه (الارض المقدسة — ص 260) : « وهن يغطين عيونهن بنقاب من شعر الخيل الاسود — ويسمين هذا البرقع شعرية Chaarie . ومن خلال هذا الحجاب ينظرن ليستطعن ان يدرجن — ولا يجرؤن على كشف وجوههن اذا اردن التحدث الى رجل كائنا من كان » . وفى قصة باون (ملاحظات ، ص 233 — 234) : « ولكن نساء المدن الكبرى (فى مصر) يتبعن الطريقة التى تعلمنها من النساء التركيات — اللواتي يضعن على وجوههن برقعا صغيرا معمولا من نسيج شعر ذيول الخيل » .

وليس هناك من علة تدعوني الى الشك فى حقيقة ما يرويه بلون هنا — بل انني ميال كل الميل الى الاعتقاد بأن استعمال الشعرية فى مصر لا يرقى تاريخه الا الى تاريخ غزو هذا القطر من جانب السلطان سليم — لانني لم اجد كلمة شعرية لدى مؤلف عربي قد كتب فى فترة ابعد من الفترة التى نشر خلالها كتاب الف ليلة وليلة . وهذه المناسبة دليل اضافي آخر — اذا كانت ما تزال هناك حاجة للاثبات بعد التنقيبات الحديثة — للبرهنة على ان كتاب الف ليلة وليلة قد دبج بعد اجتياح الاتراك لمصر :

وكانت الشعرية فى مصر برقعا صغيرا قصيرا لم يكن ليستر الا العينين — وكان يلبس فوق النقاب . وهو حجاب اكبر يغطي الوجه — محدثة فيه ثقوبا لدى موضع العينين . ونقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط . هابيخت — ج 2 — ص 146) : «فشالت الشعرية فنظرت الى احداق سود عظيمة» . ونطالع بعد ذلك فى نفس القصة (ج 2 ، ص 149) : « وشالت النقاب فنظرت نظرة اعقبتني حسرة » . ويقول بعض الرحالين — وهم اقل دقة من روجيه —

(1) يقول كوباروفياس (الكنز ، مدريد ، 1611) حول كلمة Servillas «مداس مريح ، له نعل يصلح للبنات والخدم ، وقد تسمى باسم الخوادم ، لانهن يلبسن هذا المداس الخفيف لسهولة المشي به ، مثل القباقيب .

ان هذا البرقع يغطي الوجه . ونقرأ في قصة هيلفريش (تقرير مختصر واقعي للرحلات ــ ص 393) : « وهن (نساء القاهرة) يغطين وجوههن (Jr Angesicht) بقطعة من النسيج الأسود المخرم « Mit einem schwartzen gewirckten Thuchlein المصنوع من وبر البعير (Camelszhaaren) الذي من خلاله يستطعن رؤية كل الناس » . ونقرأ في كتاب مارمول (وصف افريقيا ــ ج 3 ، ص 112 ، مج 3): ويضعن على وجوههن (Delante del rostro) (نساء القاهرة) براقع سودا ــ معمولة من شعر الخيل » . ويقول كوتوفيك في رحلته (ص 488) وهو ادق من سلفه ــ بأن « النساء يغطين عيونهن (Oculi) ببرقع صغير ــ على هيئة شبكة مشغولة من شعر ذيول الخيل الدقيق الناعم » . وكانت الشعرية ما تزال مستعملة في القاهرة في زمان بوكوك (وصف الشرق ــ تع 4 ، ص 330 ــ ج 1) وبوسعنا رؤية شكل هذا الحجاب في اللوحة (59 ــ الصورة 1) . ويقول بوكوك ان هذا الحجاب معمول من شعر الخيل الاسود ومحبوك حبكا فنيا . ولكن منذ تلك الفترة حل البرقع محل الشعرية والنقاب ــ وفي ايامنا هذه يكاد الناس في مصر يجهلون جهلا تاما الشعرية والنقاب ... وقد راينا آنفا عن طريق نص روجيه بأن الشعرية كانت مستعملة في سورية . وهذه الحقيقة قد تأيدت بشهادة روولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ــ ص 51) اذ يؤكد بأن النساء في طرابلس الشرق يغطين اوجههن بقطع نسيج سوداء « Schwartzen gewürcken » بعضها في غاية الرقة والنعومة ــ وبعضها مشغول من الحرير ــ ولكن بعض النساء يلبسن البراقع المعمولة من شعر الخيل ــ وهذه البراقع تلبسها نساء الطبقات الدنيا » . ولم تعد الشعرية في يومنا هذا تلبس في سورية ــ اذ هجرت هنا كما هجرت في مصر . ومع ذلك فان الشعرية ما زالت شائعة الاستعمال في الاقطار الشرقية النائية ــ كالجزيرة والعراق العربي . ويقول اوليفييه في كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 220) في معرض حديثه عن نساء اورفه : « ويلبسن علاوة على ذلك قطعة مربعة من شعر الخيل الاسود تنساب على الوجه فتسمح لهن بأن يرين دون ان يراهن احد » . وانني اعتقد والحالة هذه بتوهم بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ــ ج 1 ، ص 152) حين قال عن نساء اورفه : « انهن يلبسن للتبرقع شفا اسود غليظا ناتئا عن الوجه بعقدتين». واظن وجوب احلال برقع من شعر الخيل بدل شف اسود غليظ . وعدا ذلك فان وصف بكنكهام يطابق كل المطابقة هيئة هذا البرقع ــ كما نستطيع رؤية الحقيقة في لوحة بوكوك . ويقول كير بورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة ــ الخ ــ ج 2 ، ص 269) في معرض حديثه عن نساء بغداد : « ان هؤلاء السيدات يخفين وجوههن وراء اقنعة اكثر بشاعة وشناعة من براقع الفارسيات البيض التي تشابه المناشف والمناديل والفوط ــ اعني بذلك هذه الحجب السود المصنوعة من شعر الخيل المزروءة بها وجوه نساء بغداد » .

ويقول كذلك فريزر في كتابه (رحلة الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ــ الخ .. ج 1 ، ص 278) وهو يتحدث عن نساء بغداد : « ان البراقع المعمولة من شعر الخيل الاسود ــ المنسوجة نسجا ناعما رقيقا ــ تحمي كل الحماية وجود النساء اللواتي يلبسنها من نظرات السابلة ــ وفي الوقت نفسه بوسع هؤلاء النسوة ان يرين بصورة عجيبة كل ما يخطر امام عيونهن ». لهذا كله اميل الى الاعتقاد بأن بكنكهام (ج 2 ، ص 195) قد توهم كذلك حين قال عن نساء بغداد انهن يغطين وجوههن بقطع من الشف الاسود الغليظ » . وهو يضيف الى ذلك قائلا : « لا تلبس نساء الريف المحيط ببغداد هذه الشفوف مطلقا » .

المشلخ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقول بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ــ ص 27) : « في شمال سورية ــ كل معطف صوفي ــ سواء كان ابيض او اسود او مخططا بخطوط بيض وسمر او بخطوط بيض وزرق ــ يدعى مشلخا Meshlakh » وكلمة مشلخ موجودة كذلك بهذه الصيغة في قائمة الكلمات العربية ــ في ختام الجزء . ولكننا في موضع آخر (ص 131) نجد كلمة Meshlab مشلح .

الشمد

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هذه الكلمة بكلمة عمامة Turban .

التشميـر وجمعهـا التشاميـر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا هذه الكلمة بالكلمة الاسبانية بالتوك Paletoque فى كتابه (مفـردات اسبانية عربية) . وهذه الكلمة مفسرة فى كتـاب « كنز اللغات الثلاث ، جنيف 1609) بـ :
Une casaque ou saye, un palletoc, une iacquette
بوصفها : «سترة ، او صابة ، او جاكتة» .

والحقيقة ان مؤلف كتاب
L'Histoire des Abdolwadites
يقول فى معرض حديثه عن طحـان : « وهو لابـس تشامير » .

الشمـــريـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نعلم ان القبعة (البرنيطة ، الخـوذة : Chapeau) لم تكن معروفة قديما لدى المسلمين ، لذلك كانوا مرغمين على استعارة احدى الكلمـات ، للاشارة الى هذا الشيء ، والمستعار منـه احـدى اللغات الاوروبية ، فاتخذ المغاربة الكلمة الاسبانيـة Sombrero . وهذا ما يؤكـده هوسـت فى كتابـه (اخبار من مراكش ، ص 114) . ولكـن يبـدو من قائمة الملابس التى انشأها دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) ان الشعب قد مسخ كلمة Sombrero فاستحالت الى شمرير .

الشمـــشـــك

اننا نجد فى احدوثة ابي الحسن المهرج ، وهي الاحدوثة التى لا توجد الا فى طبعة هابيخت لكتاب الف ليلة وليلة (راجع لين ، الف ليلة وليلـة ، ج 2، ص 356) والتى لموضوعها شبـه كبيـر بموضـوع المدخل الى ترويض الشرسة لشكسبير .
. Taming of the Shrew de Shakspeare
وشبـه ب : Langendjik للانكنديك Krelis Louwen .

اقول ، اننا نجد النص التالي ، الـذى سبـق لفريتاك ان ذكره : « فقـدم لـه الملـوك شمشكـا مطبوعا بالابريسم والحرير الاخضر مرصـع بالذهب الاحمر فاخذه ابو الحسن ووضعه فى كمـه وصـاح الملوك وقال : يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجلك حتى تدخل المسترفـق (1) . (ج 4 ، ص 357) .

ويترجمه لين هنا (ج 2 ، ص 357) : انـه فردتا مداس ... ولما كان المؤرخ الاسحاقي يقـص علينا قصة مماثلة ، كما يقول لين ، فسيكون مـن الاهمية بمكان ان نعلم ما اذا كان يستعمـل هنـا نفس الكلمة ام كلمة اخرى تفسر لنا كلمة شمشك .

لقد علمنا من
(«M. Fleischer» de glossis Habichtianis, pag. 92)
انه وجد فى مسرد لمعاني كلمات قبطية عربية كلمة (كتسكن) ترجمة لكلمة شمشك . وهـذه الكلمـة ليست الا الكلمة الفارسية موزه ، التي تعني نعـلا او مداسا او جزمة او خفا ، وهي فى اللغـة العربيـة موزج (2) ولم اقع على كلمة شمشـك فى موضـع آخر .

الشملـة ، الشملـة ، المشملـة

ينبغي اضافة كلمة شملة وجمعها شمـل الى القاموس .

وقد راينا آنفا ــ حول كلمة برد ــ ان الشملة هي البردة ــ وان ما يميز الشملة من البـردة هـو حياكة شيء اضافي (بعض الزينـة) فـى حاشيـة البردة ــ وليست الحالة هي هي بالنسبة للشملة . وقد لاحظنا (سابقا فى هذا الباب) ان هذا الكساء كان شائع الاستعمال فى عهد الرسول (ص) اذ ان احد الرحالين العرب من القرن السابع الميلادي ــ وهـو ابن جبير (راجع كلمة خرقة) يعد الشملة من بين

(1) النص بالعامية فلا يطالب كاتبها بالتزام النحو .
(2) تذكروا ان المصريين يلفظون الجيم لفظ الفـرنسيين لحف (G) أمام A و O و U

ملابس البدو . وفى هذا النص ذاته نجد جمع كلمة شملة وهو شمل (1) .

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة العبرية شملا التى كانت تشير الى رداء كان الفقراء يستعملونه كذلك بمثابة غطاء ودثار اثناء الليل . وقد سبق لنا ان عرفنا – فى مجال الحديث عن كلمة بردة – ان هذا الكساء كان وما يزال يستعمل نفس الاستعمال .

المشمال

يرى القاموس ان هذه الكلمة تدل على الملحفة . راجع هذه الكلمة .

الشنتيان

لا وجود لهذه الكلمة – التى لا ريب فى اصلها الاجنبي – فى القاموس .

وهي تشير فى مصر الى سراويل امراة يلبس لبسة التبان . اما فى ايام الحملة الفرنسية – فان كلمة شنتيان لم تكن تدل الا على « سروال شتائي » للمراة – فى حين ان التبان او السروال الصيفي كان له اسم لباس . راجع (الكونت دي شابرول فى كتابه « وصف مصر ، ج 18 ، ص 112 » . ولكن فى ايامنا هذه لا توجد الا كلمة شنتيان للاشارة الى التبان او السروال النسائي – فى حين ان كلمة لباس مخصصة لتبان الرجال – كما يمكننا رؤية ذلك برجوعنا الى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 – 56 – 57 – 58) حيث نقع على الوصف التالي للشنتيان : « هناك تبان مسرف فى الفضفضة والسعة اسمه شنتيان – وهو مصنوع من القماش الملون المخطط – من الحرير او من القطن – او من الشاش الثمين الملون او المطرز او الموشي او المفوف – الابيض اللون – الاملس الملمس – وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكة (راجع كلمة دكة) – ولكنه على درجة كافية من الطول – بحيث انه ينساب حتى القدمين – او يكاد يصل الى الارض – عندما يشد على هذا المنوال » .

ويقرر المقدم نابييه فى كتابه (ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 144) ان هذا الكساء تلبسه نساء بيروت ايضا . وهذا الرحالة يكتب الكلمة Shintien ويفسرها بهذه الجملة : تبان حريري

(1) يرى اللغويون العرب ان الشملة والمشملة تدلان على نوع من القطيفة – ولكنهما تختلفان عنها بقلة الفضفضة والاتساع . وكلمة قطيفة تدل على غطاء فراش . اذ يقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ج 2 ، ص 4 ، مج 2) فى وصفه لحاحة Héha – وهي ولاية فى اقصى الغرب من مملكة مراكش : « أن السرر الاعتيادية للرؤساء والاعيان تتكون من القطائف المزابرة التى نراها تجلب من افريقيا – وهم يبطنونها بعدة بطانات ويستعملون احداها – وهي طويلة – بمثابة غطاء فوقاني » . ونجد فى رحلة ابن جبير ، مخ ص 177) : « القطائف الجياد يفترشونها عند رقادهم . والقطيفة تشير كذلك الى نوع بساط او سجادة – ذلك لان مؤلف كتاب (مهمة تاريخية فى مراكش – ص 5 ، مج 2) يقول ان الملك يجلس فى مجلس الشورى « على بساط او قطيفة من الصوف » . ويترجم بيدرو دي الكالا كلمة Alhonbra (بساط) (سجادة) بكلمة قطيفة . ونقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ – ص 259): واتوا بنا الى بستان عليه حائط خشب فى وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن . ولكنني ساجعلكم تلاحظون – بهذه المناسبة – ان كلمة قطيفة تشير ايضا الى المخمل . فنحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 2 ، ص 199) : رزمة قطيفة – وهذا ما يترجمه لين (ج 2 ، ص 304) بما يلي رزمة قطيفة A bale of velvet ويترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) كلمة Terciopelo (المخمل) بكلمة قطيفة . ونجدفى كتاب تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 62) : « امر له بجملة من الكساء النفيس من ملابيسه من القطائف ونحوها . ونقرا بعد ذلك (ص 65) : « امر له بجملة كساء من الشاش الغالي والقطائف النفيسة » .
ولكلمة شملة ايضا معنى آخر لا وجود له فى القاموس . فهي تشير – حسبما يقول بركهرت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 39) وهو يكتب الكلمة شمله Shemle – انها كيس مصنوع من وبر ابل – ويستعمله البدو لحجب ضرع الناقة عن حوارها لكيلا يرضعه » .

فضفاض Loose silken drawers ويتوهم فيسكيه قليلا فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 41) فيكتب الكلمة شكسيـــان . Chakseïann .

الشـــويـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نقرأ فى احد كتب بركهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين ، ص 28) ان النساء لـــدى البدو يضعن على رؤوسهن طرحة تدعى Shauber (شوبـر) أو Mekroune مقرونــة ، وترتـــدي الفتيات اليافعات هذه الشوابر من اللون الوردي ، اما النساء الطاعنات فى السن فيتخذنها من اللـــون « الاسود » . وهذه الكلمة مكتوبة على هذه الصورة (شوبر) فى قائمة الكلمات العربية فى نهاية الكتاب.

المشـــود ، المشـــواذ

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هاتين الكلمتين بأنهما العمامة . فهل يا ترى تشير هاتـــان الكلمتان الى نفس عمارة الراس Coïffure كوافير التى تشير اليها كلمة مشوش ؟

الشـــاش وجمعــه الشاشـــات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد أورد عالمان من الطراز الاول بعض التفصيلات عن كلمة شاش ــ الا وهما سيلفستـــر دي ساســـي (طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ــ ج 1 ، ق 1 ، ص 137). وكما هو ديدني ــ لن أورد أي نص ــ سبق لهذين العالمين ان ذكراه ــ دون تنبه القاريء لمن انا مدين له بالشكر.

تشير كلمة شاش الى : قطعة من البز تلف حول طاقية او عرقية او كلوتة العمامة . فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 192) : « تعمم بشاش دخاني عتيق » . ونجد نفس الكلمات لـــدى المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ــ ج 1 ، ق 2 ، ص 63) . وفى موضع آخـر (مخ 19 ، 135) : فأكرمه السلطان واحسن اليه وانعم عليه بتشريـف اطلس معدني زركش وشاش رقم وحياصة ذهـــب مجوهرة على عادة اكابر نواب السلطنة الشريفة » .

وفى مكان آخر مخ 19 ، ص 135) : « وركب فـــي الموكب بالاقبية الاسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية » . ونطالع فى كتـــاب الف ليلـــة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 159) : « فأخذ بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظاهرة ولف عليها شاشة » . (فى هـــذا النـــص يتحتم اضافة (فى شاشيته) بعد (وخيطها) ــ وهذا التصحيح يصبح اكثر احتمالا لـــدى حكايـــة نفـــس الواقعة فى (طبعة هابيخت ــ ج 2 ، ص 29 ، سطر 3) وفى موضع آخر (طبعة مكناكتـــن ــ ج 1 ، ص 165) : وكان عليه الطربوش والشاش . وفى (طبعة هابيخت ــ ج 2 ، ص 44) : وعليه شاش بطرفين ». واخيرا (ط مكناكتـــن ــ ج 1 ، ص 171) : وقلـــع شاشه وعلقها على الكرسي » . (الكرسي المخصـــص لوضع العمامة عليه ــ راجع كلمة عمامة) . ونقرأ فى حكاية عربية (لدى كوسان دي برسفال ــ النحو العامي ــ ص 9 من النص العربي) : «اشترى قرطاس حلاوة وجعله فى عمامته ... فراى فى شاش الحكم حلاوة » . والحديث عن حاكم اشترى وخليفة راى. ونجد فى الكتاب المعنون (قصة رحلة فى مطلع عام 1610 ــ 63) ان الشاشيات Shashes « هـــي مناديل من البز تلف حول الراس » . ويقول داندينى (رحلة من جبل لبنـــان) ــ ص 44، ــ 45) عـــن طرابلس الشرق : « ويلفون لفا محكما حول الطاقية قطعة من القماش القطني الابيض يسمونه Sessa فيكورون عمامة كبيرة او صغيـــرة حســـب منـــازل الاشخاص واقدارهم . فهؤلاء الذين يعلـــون علـــى الآخرين ــ بمولدهم او بوجاهتهم ــ يلبســون العمائم الضخمة ــ وبينهم من يبالغ فى تضخيم عمامتـــه الى حد الافراط والاسراف ». ونجد فى كتاب (يوميات رحلات مونكوني ــ ص 381 ، ج 1) : « ان الشرفـــاء يلبســـون الشاش الاخضر » . ونقرأ فى رحلة م . ج. ب الى الاراضي المقدسة : « ان القلانـــس المخملـيـــة الحمراء والشاشات البيضاء التى لا يجوز التعمم بها الا من قبل المسلمين وحدهم ــ محرمة على النصارى اذا لم تكن مشوبة بلون آخر » . ويقـــول تافرنييـــه (الرحلات ــ ج 1 ، ص 630) عن الفـــرس : « ان شاشهم الذى نسميه نحن عمامة مصنوع من نسيـــج حريري غاية فى النعومة والرقة ومرصع بالذهـــب والفضة ويكاد يشبه شكل يقطينة مكورة من يقطيننا. وهو مسطح قليلا من اعلاه حيث ينتهـــي طـــرف من القماش المزين بأزهار ذهبية او فضية بشرائط تشبه طاقة ورد . وهذه القلانس ثقيلـــة الـــوزن كثيـــرا

ـ لاسيما تلك التي يقل فيها الحرير ـ والتي تكاد تتألف من الذهب والفضة وحدهما . وهذه غالية الثمن بحيث ان اهونها يكلف مائتين من الايكوات Ecus ونجد من هذا النوع على راس الملك وعلى رؤوس الكبراء والاعيان بحيث يبلغ سعر القلنسوة الواحدة اربعمائة او خمسمائة قطعة من العملة المذكورة . ومن النادر رؤية ضابط كبير لا يضع في قلنسوته بعض الاحجار الكريمة » .

ونقرا في كتاب دي لا موتري (رحلات الى اوروبا وآسيا وافريقيا ـ ج 1 ، ص 11) : « ان الشاش هو قطعة من الموصلي او من نسيج القطن الذى يحيط به الشرقيون طاقيتهم ـ فاذا طوقت الطاقية على هذه الصورة سميت : دلبند : (Tulbend ـ او طربان Turban عمامة ـ حسب نطقنا بالكلمة » . ونقرا في كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية ـ ص 59 (1) : « وهم يحيطون هذا الحشد من الطاقيات بقطعة كبيرة من القماش الموصلي المسمى بالشاش ـ وهو مزدان من الجانبين بحواش وهدابات حريرية بل وحتى ذهبية ـ ويدعها حاملوها تنساب على الظهر بين الاكتاف » . والحقيقة ان كلمة شاش موجودة بهذا المعنى في تاريخ اليمن (راجع رتجر ـ ص 159) . ولما كانت كلمة الشاش تستعمل للدلالة على قطعة من البز تطوق الطاقية او العرقية او الكلوتة او الكلوتات ـ فلن ياخذنا العجب اذا قرانا ان هذا الشيء يستعمل استعمالات اخرى ايضا . (يستعمل استعمال العمامة ويقوم مقامها احيانا) . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 87) نجد : « فخنقوه بشاش عليه وقيل بوتر وعلقوه بعمامته واظهروه انه شنق نفسه » . ففي هذا النص ـ كما ترون ـ هي معادلة لكلمة عمامة .

وجمع شاش شاشات ـ والكلمة موجودة في بيت ذكره السيوطي (راجع سيلفستر دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 145) ـ وانني اقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ، مخ 372 ، ص 351) : « لبسوا الشاشات » .

ولكن كلمة شاش كانت تشير كذلك في العهود القديمة الى شيء آخر ـ فهي ـ كما برهن على ذلك كاترمير (كتابه القيم) مستندا الى كتاب السلوك للمقريزي « عصبة ابتكرتها النساء عام 780 ـ وكانت تشبه سنام البعير . وهي تبدا فوق جبين المراة وتنتهي قرب الظهر . ولبعض هذه العصائب طول يقارب الذراع ـ ولها ارتفاع يبلغ اقل من ربع الذراع » .

والواقع انني اطالع في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ـ ص 16 ـ حوادث سنة 787) « وفي رجب جرت حديثة وهي ان امراة صالحة رات النبي صلى الله عليه وسلم في منام وهو يقول لها : قولي للنساء ان ينتهوا عن لباس الشاش . وكان شيئا قد اقترحته النساء يلبسنه على (روسهم) مثل صنم (سنم) (يلبسنه على رؤوسهن ؟) .. (سنام ؟) الجمل . وطوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ . وبالغوا في ذلك . وكان بدعة سيئة من السيئات ..

وكلمة شاش ـ بمعنى قطعة القماش التي تحيط بالكلوتة او الطاقية او العرقية ـ كانت معروفة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سورية ومصر وفارس ـ كما راينا. ومن هذه الكلمة كون الانجليز كلمتهم Sash التي يستعملونها اشارة الى طرحة او حزام او نطاق او زنار .

الشاشية

بالرغم من اضطراري مرارا الى اتهام القاموس بكونه ناقصا ـ فان من العدل كل العدل ان اقول ان كلمة شاشية قد وجدت في هذا القاموس مرتين . المرة الاولى يوم وضعها فريتاك (ج 2 ، ص 419 ، مج 2) بمعنى كلوتة ـ عرقية ـ طاقية ـ في الحديث عن كلمة شنشاء ـ والمرة الثانية (ج 2 ، ص 464 ، مج 2) في موضعها الاصلي ـ في معرض الكلام عن كلمة شوش ـ بوصفها تشير الى الشاش الموصلي .. في الموضع الاول لم يكن يكلف احد نفسه عناء البحث عن هذه الكلمة ـ فالحقيقة ان الكلمة قد وجدت في موضعها هذا عن طريق الخطأ ـ ذلك لان لعبا بالكلمات قد حدث في بيت نقله السيوطي (دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 145) ـ حول كلمتي تشويش وشاشات يضاف اليهما كلمة مشوش ـ وهذا اللعب يؤكد بصورة لا تقبل الشك ان عربيا صميما لو كان في محل هذا الدخيل لوضع كلمتي شاش وشاشية في باب كلمة شوش . وقد سبق

(1) ذكر هذا النص سابقا كل من دي ساسي وكاترمير .

لكل من سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 137) ان تحدث عن هذه الكلمة — في تفسيره لكلمة شاش .

وتشير كلمة شاش في المغرب — كما كانت تشير في مصر — الى الكلوتة التي توضع على الراس — والتي تلف حولها قطعة قماش لتتكون العمامة على هذا المنوال . ونحن نقرا في كتاب الرحالة المغربي ابن بطوطة (مخ دي كاياتكوس — ص 35) : « ضربوه بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على راسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسه . وفي موضع آخر (ص 189) : والنقباء بين يديه على راس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفي وسطه منطقة (والحديث يجري عن النقباء ونقيب النقباء في Dehli) وبعد ذلك (ص 191): ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على راسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر . واخيرا (ص 224) : عشر شواشي من لباسه احداها مرصعة بالجوهر . ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا — ص 241 ، مج 1) ان احد خدام سفراء ملك مراكش » كان على راسه طاقية من الصوف الاحمر — مرتفعة قليلا — وهي تسمى شاشية Hieissya وكان رفيق هذا الخادم يلبس نفس النوع من الطاقية (المرجع السالف) .

ويقول ديكو دي توريس (تاريخ الشرفاء ، ص 86) عن سكان مراكش : يلبسون الطواقي الحمراء من ارجوان طليطلة بدل القبعات — ويلبس كذلك كل منهم عمامة او شدا .

ويذكر مارمول (وصف افريقيا — ج 2 ، ص 102 — مج 3) . ان قلانس سكان فاس هي الطاقيات الارجوانية الشبيهة بالطاقيات التي يحملها التجار الاسبان للبيع » .

ويضيف مارمول الى ذلك قائلا : « ان هناك قلة من الاشخاص تلف قطعة قماش حول هذه الطاقية ». وهذا الزعم مؤيد بشهادة هوست (راجع كلمة شد). والحقيقة ان الناس في المغرب يكتفون على العموم بالطاقية وحدها — شأنهم في ذلك شان الناس في اسبانيا — حيث كانت الشاشية تسمى غفارة . (راجع هذه الكلمة) . ويقرر هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 114) ان قسما من الرجال المتزوجين لا يلبسون الا طاقية من الصوف الاحمر تدعى ساسية : Sesia ولهذه الطاقية وقع خاص لدى المغاربة — بحيث اذا وضعها احد من النصارى او اليهود على راسه ولم ينزعها امام لابسيها من المغاربة — فانهم في هذه الحالة يعتبرون هذا العمل تصريحا باعتناق الديانة الاسلامية — ولن يستطيع هذا المسيحي او ذاك اليهودي افلاتا من هذا الاعتبار!» اما بالنسبة لمصر — فاننا واجدون هذه الكلمة في الاغلب لدى مؤلفي هذا القطر — امثال المقريزي — ونعثر على هذه الكلمة مستعملة كذلك بكثرة في كتاب الف ليلة وليلة . ولكنني لا افهم على الاطلاق كيف وسع سيلفستر دي ساسي (كتابه القيم) ان يقول: « اعتقد ان الشاشية في نصنا تعني قطعة من الشاش الموصلي — ولها نفس الاستعمال في مصر — هذه الكلمة هي الاسم الذى يطلق على الشاش الموصلي ».

انني محرج غاية الحرج ان اكون في حالة حتمية القول بوجود اخطاء كثيرة هنا بقدر وجود كلمات . فان العبارة هي (ج 1 ، ص 67 من النص العربي) : « وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة . وهذا ما يترجمه دي ساسي ترجمة حسنة للغاية (ص 109) . والخلاصة ان كلمة شاشية لا تعني الشاش الموصلي البتة — كما يؤكد ذلك دي ساسي — دون الركون الى اي دليل — وكما تقبل هذا المذهب فريتاك بجراة وتهور ، وانما كلمتا شاش وشاشات هما اللتان تحملان هذا المعنى — كما اثبت ذلك كاترمير (كتابه القيم) . ولكن ما يضيفه دي ساسي وهو : « ان الطاقيات التونسية الحمراء — التي يقلدونها في فرنسا — وخصوصا في مدينة اورليان — معروفة في مصر باسم طربوش وجمعه طرابيش » مطابق كل المطابقة للحقيقة — ذلك لانه يبدو ان كلمة شاشية مجهولة في مصر في ايامنا هذه — وهم يسمونها اليوم بالطربوش .

ويظهر ان هذه الكلمة تلفظ في سيوه شاشة — ذلك لان هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ص 22 — 24) يكتبها تشاشت Tschatschet — ويقول انها طاقية من الصوف الاحمر ومن القطن الابيض . وكان لهذه الكلمة معنى آخر في مدينة الجزائر — فقد كانت تدل على : طاقية امراة . اذ يخبرنا ديكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر — ص 27 ، مج 4) ان نساء هذه المدينة يلبسن فوق البناقة ثلاثة انواع من عمارات الراس حين يحضرن الحفلات والاعراس — وهن

يضعن على رؤوسهن — لا سيما اذا كن موسرات — بيريه مستديرة مصنوعة من الخز او من نسيج الاطلس او الدمقس المرصع بالذهب بعذوبة وحلاوة وروعة . وهن يسمين هذه البيريه Xixia — وبعضهن يزين هذه العمارة بعدد كبير من الجواهر والاحجار الكريمة — ما استطعن الى ذلك سبيلا » .

المشـــــــوش

لقد لاحظ كوليوس Golius معتمدا على Maroufi ان هذه الكلمة تدل على عمامة صغيرة. اذن يبدو — والحالة هذه — ان المشوش هو شاشية قصيرة لا تدور الا عدة دورات حول الراس .

الشـــــــال

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

والشال هو الكلمة الفارسية شـال Châle — التى تسربت الى عدة لغات اوروبية — فنحن نقرا فى بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر — ج 18 ص 108) : الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي او من النسيج الصوفي الذى يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش . ويتخذ الاثرياء هذا الشال من الكشمير » .

ونجد فى كتاب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين — ص 28) ان جميع نساء روالة يضعن على رؤوسهن طرحا من الحرير الاسود — تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين — وهن يسمين هذه الطرحة Shâle kâs (شال قز — خز ؟ — المترجم) — وهي تصنع فى دمشق » . واعتقد ان جملة Shâle kâs تعني شال قاسح اي الشال الكثيف او الكثاف .

الصتيـــــة

يذهب القاموس (ط كلكتا — ص 185) الى ان الصتية هي الملحفة — او بالاحرى هي نوع من القماش (او اللباس) الوارد من اليمن — الملحفة او ثوب يمني) . واعتقد ان هذا الكساء كان مخططا .

الصـــــدود (1)

توجد هذه الكلمة فى طبعة كلكتا للقاموس (ص 380) مفسرة بكلمة المحول . واجد كذلك هذه الكلمة بحرف ح فى مخطوطات ليدن رقم 375 . ورقم 37 . ولكن مخطوطة المرحوم فان در بالم Van der Palm التى تملكتها حديثا مكتبة ليدن والتى تحمل الآن رقم 1581 — تعرض المجول بحرف ج . فاذا كان هذا هو الرسم الحقيقي للكلمة فان الصدود يشير الى : قميص قصير للمراة .
Une courte chemise de femme

الصـــــدار

اليكم ما نقرا فى سفر الجواهري (ج 1 و ص 316) : « قميص صغير يلي الجسد » . وفى المثل : « كل ذات صدار خالة » (2) . اي من حق الرجل ان يغار على كل امراة كما يغار على حرمه.

وهذا المثل موجود ايضا لدى الميداني (ط فريتاك ، ج 2 ص 310)، حيث ان الصدار كان كساء قديما قد تبنته النساء كافة دون استثناء . ويفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 576) كلمة صدار على هذه الشاكلة : « ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر » . ويتفق التبريزي (شرح الحماسة، ص 801) — وقد سبق لفريتاك ان ذكره — مع القاموس اكثر من اتفاقه مع الجوهري ، اذ يقول ان الصدار هو : « الثوب الذي يبلغ الصدر » .

---

(1) لا اعني كلمة الصداد ، التى ذكرها القاموس (ط كلكتا ، ص 380) . قائلا : « ما اصطدت به المراة وهو الستر » .

(2) كل ذات صدار خالة : الصدار كالصدرة تلبسها المراة . ومعناه ان الغيور اذا راى امراة عدها فى جملة خالاته لفرط غيرته .. وهذا المثل من قول همام بن مرة الشيباني وكان اغار على بني اسد ، وكانت امه منهم . فقالت له النساء : « اتفعل هذا بخالاتك ؟ » . فقال : « كل ذات صدار خالة » فارسلها مثلا . قلت ويجوز ان تكون الخالة بمعنى المختالة . يقال رجل خال اي مختال . يعني ان كل امراة وجدت صدارا تلبسه اختالت . (مجمع الامثال للميداني ، 1353 هـ ، ج 2 ، ص 78 ، 79) . (المترجم).

الصـــدرة

ان تفسيرات الجوهـــري (ج 1 ، ص 316) والفيروزابادي (القاموس ، ط كلكتـا ، ص 576) عقيمة الجدوى . اذ يقول الاول : « الصدرة التـي تلبس » ، ويفسرها الثاني بكلمة الثوب . وارى انها تشير الى ما تشير اليه الكلمة الفرنسية Veste قيست ، مثل كلمتي الصدرية والصديري اللتيـن سنتحدث عنهما بالتفصيل .

الصدريـــة او الصدريـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واننا نجد فى مذكرات دارفيو (ج 5 ص 282 ، 283) : « بقية ثياب الاتراك فى مدينـة الجزائـر تنحصر فى قمصلة لا اكمام لها ، والقوم يسمونها صدرية Sadderie . وهي محرومة من تقويرة امامية ومن فتحة خلفية ، ولكن لها ثلاث فتحات ، الفتحة الاولى لامرار الراس ، والفتحتان الاخريان لادخـال الذراعين . وهم يدخلون الايدي بـاديء الامـر من الفتحتين ، ويرفعون الذراعيـن بلطـف وهـوادة ، فتنساب القمصلة دون ان يشعر بهـا شاعـر ، اما الراس فيمر من التقويرة الوسطية ، وهذه الصدرية تصافح الجسم مباشرة » . ونقرا فى رحلة النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) كلمـة « صدرية » ، Sidrea ويعرفهـا بانهـا صـداري يلائم الجسم تماما ، وهو محروم من فتحة امامية ، وليس له سوى تقويرتين لامرار الراس والذراعين ». وهذا الثوب يلبسه معظم سكان طرابلس الغـرب . ويتحدث الرائد دنهام (رحلات فى شمال افريقيا ، ج 1 ، ص 27) عن صدرية من الحرير « Sidiria » تلبس تحت البنش ، راجع كانين (القاموس ، ج 2 ، ص 340 ، حول كلمة جوستيللو Justillo اذ يقول ان الصدرية لباس تحتاني يلامس الجسـد ، ولا اكمام له . ويترجـم دونبـاي (النحـو المغـربي العربي ، ص 82) كلمـة انتريـولا Interula بكلمة صدرية او صدرية .

وهذا الثوب كان يرتدى ايضا فى مالطة ، وما تزال القرويات حتى ايامنا هذه يرتدين صدريـات لا اكمام لها فى هذه الجزيرة ، وهن يسمين واحدتهـا صدريـة Sidria . (راجع فيسكيه ، رحلات الى الشرق ، ص 6 ، وانظر فاسالي ، اللغة المالطيـة مج 610) .

الصـــديـــري

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا فى بحث الكونت دي شابرول (وصف مصـر ج 18 ، ص 108) : « الصديـري مشـد صغيـر Petit corset لا اكمام له » . ونطالع فى كتاب لين (لين ، المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39) : « ويرتدي بعض الناس فى الشتـاء ، او بصورة عامة لدى حلول البرد ، صديريا ، اي سترة صغيرة لا اكمام لها ، مصنوعة من الجوخ ، او من الحرير والقطن ، ذات خطوط ملونة » . ولا ارتاب مطلقا فى كون هذا الكساء هـو الـذي يتحـدث عنه بوكوك Pocoke فى كتابه (وصف الشرق ، ص 327 ، ج 1 ، وصف الشرق Beschijving van hat Oosten) فيقول : « ان الحلة التركيـة تتالف قبل كل شيء ، من نوع كساء قصير لا اكمام له ، منسوج من القطن او من التيـل ، ويكون هـذا الثوب احيانا مقفلا من الجهة الامامية ، ولكنه مثبت باحدى الجهات » . راجع هيئة الكساء هـذا فـى كتاب بوكوك السالف الذكر ، ج 1 اللوحة 68 .

الصقـــاع ، الصوقعـــة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 1051) كلمـة صقاع « بخرقة تقي الخمار من الدهـــن » والبرقـــع كالصوقعة . اما ابن جني (شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 103) فيميل الى كلمة صقاع بمفهومهـا الثاني من المفهومين المذكورين فى القاموس . اذن فالكلمة تشير الى ما يسمى ببرقع ، وكلمة صقـاع تشير ايضا ، كما تشير كلمة صوقعة ، الى قطعة من القماش تقي الخمار الدهن الذي تدهن به المراة راسها او تعطره . وعلى هذا فالمسألة هي مسألة طاقية .

الصولـــق (1)

يخبرنا المقريزي (وصـف مصـر ، مخ 372 ، ص 350 ، 351) ان السلطان والامراء والجنود كانوا يلبسون الصوالق على الاقبيـة ايام حـكم السلالـة التركية (الجركسيـة) : صوالق بلغاري كبار يسـع الواحد منهم اكثر من نصف ويبة (2) غلة مفروز فيه منديل طوله ثلاث اذرع . وهذا النص الذى سبـق لكاترمير ان ذكره (تاريخ السلاطين المماليـك ، ج 2، ق 1 ، ص 152) يزودنا بجمع كلمة صولـق وهـي صوالق التى ينبغي اضافتها الى القاموس .

راجع كذلك تعليقه كاترمير التى يستخلص منها ان كلمة صولق كانت تشير الى جيب جلدي كان يضم الى الحزام او المنطقة من الجهة اليمنى . ويظهر من عدة نصوص من كتاب الف ليلة وليلة ان حافظة النقود كانت تشد ايضا الى الصولق .

المضامة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115) : ان الفرد المراكشي يلبس فوق القفطان اما حزاما من الحرير واما مضمة Modhéma اي حزاما جلديا بابزيم ، ويلبسه رجال البلاط وجلساء الملوك بمثابة زينة ، راجع اللوحة 15 ، الصورة 3 ، ولكن بعض الناس لا يستغنون عن المضامة ، لانهم يلمون اثوابهم بواسطة هذا الحزام ، وبدونه تربكهم ثيابهم اثناء العمل » . ونرى من اللوحة ان القوم يحملون منديلا فى هذا الحزام .

ولا ريب ان هذه الكلمة عربية الاصل ، واعتقد انها الكلمة المؤنثة من الصيغة الثالثة من فعل ضم ».

وافترض كذلك ان هوست ضل فى كتابتها مضمة ، فى حين انها تلفظ جيدا Modhéma وذلك لان ءا تلفظ فى المغرب é ايه .

اذن فالمضامة تعني تماما :

« Res unam rem cum alià coniungens »

اي انها حزام يجعل شطري الجهة الامامية يتلامسان، او ، اذا صادفت هوى فى نفوسنا ، هي الحزام الذى يجعل الثوب الواسع يلاصق الجسم .

وبالرغم من ان هذا التخمين يبدو احتماليا ، فانني لن اسكت عن دونباي (النحو المغربي العربي ص 82) وهو يكتب الكلمة (مضمه) (كذا) وينطقها مضمه . وهو يفسرها بأنها حزام من الجلد :

« Cingulum ex corio, une ceinture de cuir.

الطربوش

ينبغي التميز بين الطربوش الذي يلبس فى مصر والطربوش الشائع الاستعمال فى سورية والاقطار الشرقية الانأى .

ويرى لين (المصريون المحدثون – ج 1 – ص 41 – 42) ان « العمامة تتألف حاليا فى مصر من ثلاث مواد المادة الاولي الكلوتة الصغيرة المسماة طاقية – والمادة الثانية الطربوش الذى هو طاقية (او كلوتة) من الجوخ الاحمر – الملامس للراس كل الملامسة والمزود بقنزعة من الحرير الأزرق العاتك – اما المادة الثالثة والاخيرة فهي القطعة القماشيةالطويلة التى تلف حول الطربوش » .

ويقول فيسكيه (رحلة الى المشرق – ص 182 – 182) : « ان طربوش مصر هو الكلوتة المستديرة المصنوعة من الصوف الاحمر الملبد المنتهية بخيوط حريرية قلت او كثرت » . والنساء ايضا يلبسن الطربوش (لين – المصدر نفسه – ص 58) . ونطالع فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 1 – ص 165) : وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش (العمامة) . (راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 324) .

وجاء فى رحلة فنسان لبلان الشهيرة (ج 2 ، ص 139) : ان نساء القاهرة يلبسن « طاقية صغيرة

---

(1) يرى هوست (رحلة الى مراكش ، ص 119 (Hôst, Nachrichten von Marokos ان كلمة صوالف Sualf التى لا وجود لها فىالقاموس تشير الى نوع زينة رأس ، نوع عمارة شبية بما يدعى عزابة . ولكيلا يظن بأن هذه الكلمة تدل حقيقة على نوع عمارة فانني سأورد النص التالي لديكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ص 27 ، مج 4) التى تثبت لنا ان معلومات هوست خاطئة . فنحن نقرأ فيه : « جميعهن ، بصورة عامة ، لهن عادة قص كل شعورهن بالموسى ، الشعور الموجودة حول العنق وحول قفا الراس ، حيث البناقة لا تصل ، وهن يقصصن ايضا جزءا من شعر الجبين : بحيث تبقى لهن من جانبي الراس خصل من الشعر ممشطة بعناية تنساب على الصدر : وهن يسمينها صوالف .
ويكتبها بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية (صالف وصوالف) . ولكن كانيس Canês يكتبها (سالف والجمع سوالف) ويفسرها بأنها خصل الشعر .

(2) الويبة هي مكيال حنطة وهو يبلغ اليوم سدس الاردب (راجع لين المصريون المحدثون ، ج 2 ، ص 417) .

على الراس من قماش غالي الثمن يعلوهـــا قيطـــان مبروم في نهايته ندفة او قنزعة » . ونجد في بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328) ان سواد الشعب يلبس بدل العمامة الطاقية الحمراء التي تلتصق بالراس كل الالتصاق . وهي تلبس ايضا من قبل الاعراب (البدو) ويلبسها كذلك المولدون في مصر ــ ولكن التجار وحاشية الامراء العرب والقسس الاقباط يستعملون الطاقية الاخرى » . وجاء في كتاب الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108): الطربوش هو الطاقية او الكلوتة الكبيرة الملبدة ــ التي تغطي الراس حتى الاذنين » . وبعد ذلك في وصف ازياء النساء (ص 113) : « الطربوش هو الغطاء الذي يوضع فوق الطاقية » . ويخص ستيفنس في كتابه (حوادث سفر في مصر ــ ص 225) بالذكر « الطربوش الاحمر » من بين ملابس احد تجار القاهرة . انظر هيئة هذه الطاقية في كتاب بوكوك ــ اللوحة 58 ــ وراجع كتاب ج فيسكيه .

وها قد راينا بفضل نص اورده بوكوك ان هذه الطاقية هي ايضا يلبسها بدو مصر . والواقع ان منتكازه يقرر في كتابه (قصة رحلة الى اورشليم ــ ص 112) : « ان فرسان البدو يلبسون طاقية صغيرة من التيل » . ونجد في كتاب كوبان (درع أوروبا) ما يلي : اما العوام فيستترون بقطعة طويلة من القماش الصوفي يلفونها في كتاب كوبان (درع أوروبا) ما يلي : « اما العوام فيستترون بقطعة من القماش الصوفي يلفونها حول الجسم (بردة) مع طاقية حمراء مزودة بقطعة من التيل الابيض والاسود». ونقرا في كتاب ستيفنس (حوادث السفر ، الخ ، ج 1 ، ص 224) : « وسرعان ما ارتدى بول الحلة العربية البدوية الاعتيادية : القميص القطني الازرق والطربوش والنعلين البدويين » .

ويؤكد بارثي في كتابه (جولة عبر صقلية والمشرق،ج2،ص77): ان البدو المجاورين للأسكندرية كانوا يلبسون«الطاقياتالحمراء الصغيرة». وانما يميز الطربوش المصري عن الطربوش السوري وطرابيش البلاد الشرقية الاخرى ــ هو ان الطربوش السوري لا يلامس الراس تماما ــ ولكن له نهاية متدلية الى الوراء او الى الجانب . ونحن نقرا في احد كتب بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 6) : « هناك طربوش واسع ــ او طاقية حمراء ــ تتدلى الى الوراء ــ على الرقبة والكتفين » .

ويقول ريشتر في كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 68) عن سكان عكا : « يستعملون كعمرة للراس طاقية حمراء تتدلى الى الجانب ــ وتتثبتفيالراسبقطعتين منالقماشمرقطتين». وفيموضع آخر (ص 82) يقول عن سكان بعلبك : « يلبسون على رؤوسهم الطاقية الحمراء التي تتدلى الى الجانب » . ويقول بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ص 151) عن رجال اورفه : « يلبسون الطربوش الواسع الذى يتدلى الى الخلف بصورة عامة » . ولعل أوليفيه يتحدث عن الطربوش ايضا في كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ــ ج 4 ، ص 327) حين يقول عن نساء بغداد : « ان زينتهن الاعتيادية الطربوش المخملي الاسود الكبير الذى يتدلى الى الوراء ــ المنتهى بقنزعة من الحرير الاسود او الذهب : فاذا كانت القنزعة من الذهب فان المغارز تكون مغطاة بالحرير او القصب . وهذه الطاقية مثبتة بالراس بشال كشمير (اللوحة 27) . ولكنني لا اريد ان أؤكد ان القضية هنا هي قضية طربوش ــ لانني لم اقع في موضع آخر على ان الطاقية تكون من المخمل الاسود . وسأجعلكم تلاحظون ايضا ان الطربوش في الساحل السوري لا يبدو انه يختلف دائما عن الطربوش المصري ــ ذلك لان ريشتر في كتابه (الرحلة ــ ص 123 ــ الخ) يذكر في وصف الحلة التي اشتراها من بيروت ــ للولوج الى داخل سورية : « هناك فيس احمر يدعى هنا طربوشا اي طاقية صغيرة مدورة » .

ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل الى العرب الا في مطلع القرن السادس عشر ــ ولم تكن الا تحريفا لكلمة سربوش الفارسية ــ وهي في العربية شربوش ... حقيقة ان هذه الكلمات تشير الى نوع من عمرة الراس مختلف ــ ولكن كلمة سربوشالفارسية في غاية الغموض اصلا ــ ما دامت لا تشير الا الى زينة راس على وجه العموم . فمن الممكن كل الممكن ــ كما اعتقد ــ ان هذه الكلمة قد طبقت على انواع من عمارات الراس .

وتسمى هذه الطاقية في الجزيرة العربية ب (فس) وكذلك تدعى في القسطنطينية . وكان الناس يسمونها قديما في مصر شاشية ــ وهو الاسم الذي ما تزال تحمله في المغرب . ومع ذلك فان كلمة طربوش ليست مجهولة في المغرب ــ ذلك لان دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ــ ص 83) يترجم كلمة طربوش بكلمتي Galericus nautarum وتسمى هذه الطاقية في اسبانيا غفارة .

الطرحـــة

سبق لكاترمير ان زودنا فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ـ ج 1 ـ ق 2 ص 21 ـ 22) بتفاصيل حول نوع الخمار المسمى طرحة . ونلاحظ فى تعليق هذا العلامة التعمق العلمي الذي يميز كل كتاباته . وقد تحدث كذلك سيلفستر دى ساسي فى كتابه طرائف عربية ـ ج 2 ص 269) عن الطرحة ـ واستشهد به فريتاك . وساحرص على اعطاء هذه المعلومات التي استصفاها هؤلاء العلماء شكلا ـ ان يكن باهتا من الناحية التاريخية فانه خلاف ذلك من جهة اضافة ثمرة قراءاتي الخاصة اليه .

ولنشرع بوصف طرحة الرجال . فانها خمار Voile empesé مصنوع من الشاش الموصلى الذي يلاث على العمامة ـ أو يطرح على الكتفين فقط . فيتدلى على الظهر (والطرحة تشبه الطيلسان ـ وان التباين الذي ظن دى ساسي انه قد عثر عليه بين الطرحة والطيلسان هو ظن وهمي . اذ يرى هذا العالم ان ما يميز الطرحة من الطيلسان ان الطيلسان يوضع على العمامة وان الطرحة تطرح على الاكتاف . وان كلمات المقريزي (لدى كاترمير) « فوق عمامته طرحة سوداء » و « البس طرحة على عمامته » تؤكد ان هذا الافتراض افتراض لا يقوم على اساس . ونحن نقرا كذلك فى تاريخ مصر (مخ كاترمير) : « حضر القاضي وعلى راسه طرحة » . وقديما كان الناس يلبسون الطرحة مع العمامة (عمامة ـ شاش) كما بوسعنا ان نشهد ذلك فى عدة نصوص للمقريزي وفى مسالك الابصار ولدى النويري ـ وقد استشهد بها كلها كاترمير .

ويظهر ان الطرحة نفسها قد استعملت استعمال العمامة فى العصور الحديثة ـ لاننا نجد فى وصف مصر (ج 18 ـ ص 109) : « الطرحة قطعة من الشاش الموصلي او جزء من الشال الذي ينساب الى قفا الراس بعد ان يكون قد التاث عدة لوثات حول الطربوش ـ وهذا النوع من الخمار يقف بارتفاع الكتفين ويحدث تاثيرا فى غاية الحلاوة : ويكون احيانا مطرزا او مرصعا بالذهب فى حواشيه » .

وكانت الطرحة لباس القضاة الخاص ـ بل شعار قاضي القضاة . وقديما كان لا يحملها الا القاضي الشافعي . (السيوطي لدى دى ساسي ـ ص 267 ـ مالك الابصار لدى كاترمير) . وفى عام 263 من ايام حكم املك الظاهر بيبرس ـ تلقى قضاة القضاة الاربعة السماح لهم باتخاذ الطرح . (المقريزي ـ السلو ـ ترجمة كاترمير) . وهذا ما يؤيده النص التالي الذي استعيره من النويري (تاريخ مصر ـ ج 2 ـ ص 88) . اذ يقول هذا المؤرخ وهو يقص علينا اخبار حوادث سنة 716) : « فوض قضاء القضاة الحنفية بمصر للقاضي سراج الدين عمر بن شهاب الدين بن محمود وخلع عليه بطرحة على عادة القضاة » . ولكنني اجد من المحتم على ان احملكم على ملاحظة ان هذا الامر لا يطابق البتة احد نصوص السيوطي (حسن المحاضرة ـ مخ 113 ـ ص 346 ـ حوادث عام 773) حيث نقرا : « وفى هذه السنة اراد السراج الهندي قاضي الحنفية ان يساوي قاضي الشافعية فى لبس الطرحة وتقرير القضاة فى البلاد وتقرير مودع الايتام ـ فأجيب الى ذلك . فاتفق انه توعك (1) عقب ذلك وطال مرضه الى ان مات ولم يتم الذي اراده » . وعلى هذا نرى ان شهادة ابن حبيب (درة الاسلاك مخ 425 ـ ص 579) لا تدع اى مجال للشك بوفاة قاضي القضاة الحنفي سراج الدين الهندي حقيقة فى عام 773 . فهل فى المقدور حل هذه المعضلة بافتراض ان القاضي الشافعي كان هو وحده يلبس الطرحة بصورة اعتيادية ـ ان القضاة الثلاثة الآخرين لم يكونوا يلبسونها الا فى المناسبات الرسمية ؟ والواقع ان القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع فى مصر باحتلال مركز الصدارة ـ واليه كان يعهد الحكم على قضاة الطوائف الاخرى . (ليون الافريقي ـ وصف افريقيا ـ ص 706) وان الخطباء كذلك (خطباء الجوامع والمساجد) كانوا يلبسون الطرحة . (السيوطي لدى دي ساسي) .

واول من خلع الطرحة كلباس تشريف يكرم به عظماء الدولة وكبراء ضباطها كان الملك السعيد خان 676 (النويري لدى كاترمير) . ونقرا لدى النويري (تاريخ مصر ـ مخ 2 ـ ص 32) : « خلع عليه خلعة الوزارة . وكانت الخلعة جبة عتابي حمراء وفوقه فرجية زرقاء منجبة (مقندزة) وطرحه (مقايسة مع كلمة فرجية) . ويخيل الي ان طرحة القضاة كانت سوداء على الدوام .

وقد قلت آنفا ان الطرحة كانت مماثلة للطيلسان ـ

(1) ان التصريف الخامس لفعل وعك لا وجود له فى القاموس . وبوسعكم رؤية مثال آخر فى كتاب الف ليلة وليلة . (ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 43) .

وهذه الملاحظة تحتاج الى بعض التحوير – لاننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير) : « لبس الطرحة والقى الطيلسان » . فهل الفرق بين الطرحة والطيلسان ينحصر فى ان الكلمة الاولى تشير الى الطيلسان المقور Voile empesé ؟ فان ما يدعوني الى هذه العقيدة هو اننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير) : « يلبس الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة » . ويتحتم علينا الان التحدث عن طرحة النساء . وهي كذلك خمار يوضع على الراس ويتدلى الى الوراء – ولكن هذا الخمار اطول من الخمار الذي يحمله الرجال . ويخبرنا ابو المحاسن (لدى دى ساسي) ان النساء فى مصر قد لبسته ايام حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون (693 – 741) فاذا آمنا بما يقوله هذا المؤرخ فان هذا النوع من الخمار كان يكلف كثيرا – ما دامت كل طرحة كانت تساوي من خمسة الاف الى عشرة الاف دينار . على انني لا اصدق ان هذه الطرح الثمينة كانت تلبس من قبل العموم – لاننا نرى من النص التالي للمقريزي ان الطرحة كانت تلبس ايضا من قبل طبقة واطئة من طبقات المجتمع – وان هذه الطبقة فى الاغلب الاعم كانت فقيرة – ومن هذه الطبقة كانت المومسات تلبس الطرح . فنحن نقرأ فى كتاب (وصف مصر – ج 2 – مخ 372 – ص 347) : وادركت سوق الشماعين عن الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات (1) لا تزال حوانيتها

---

(1) لا وجود لكلمة طوافة – وجمعها طوافات – فى القاموس . وانني بمنحي هذه الكلمة المعنى المشار اليه فى ترجمتي اعتقد بعدم مجانبتي للحقيقة كثيرا . ويخيل الي ان الاستعمال الجاري لفعل طاف يؤيد ذلك . ويقول المقري او بالاحرى ابن سعيد (راجع فريتاك – طرائف عربية نحوية تاريخية – ص 144) ان الطواف بالليل هم رمادة النشاب الحراس الذين يجوسون خلال المدينة – اثناء الليل لالقاء القبض على اللصوص . ويسمى ابن خلدون (راجع دى ساسي – طرائف عربية – ج 1 – ص 132 من النص) الجولات الليلية لهرون الرشيد بالتطواف بالليل – والقضية نفسها مبحوثة آنفا (المرجع السابق – ص 131) بهذه الكلمات : تطوفه بسكك بغداد » . وهناك نصوص اخرى تشير بالتحديد الى الاستعمال الذي يصلح له السراج المسمى طوافه . اما هذا النوع المضحك من المصابيح المسمى بالفانوس فراجع بشأن وصفه وصورته كتاب (المصريون المحدثون – ج 1 – ص 225 – 226) لمؤلفه لين .

وتشير كلمة زعر الى البوهيميين المدعوين كذلك بالرمادية . وعن المشاعلية راجع (كاترمير – تاريخ السلاطين المماليك – ج 1 – ق 2 ص 6)اما عن الزنجية فراجع (كوسان دى بير سفال – النحو العربي العامي – ص 161) الخ – حثالة الشعب . فنحن نقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر – مخ 367– ص 44) « التف عليه جماعة من الزعر العياق » . وفى موضع آخر (ص 58) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر والعشير » . وبعد ذلك (ص 138) :« ثم ان الزعر تزايد امرهم حتى انهم كسروا باب حبس الرحبة » .

وفى موضع آخر (ص 176) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر وغيرهم » . وبعد ذلك (ص 414) : « نثر على الزعر الذهب والفضة بيده فاجتمع تحته الجم الحقير من الزعر والعياق (اى : القعد) . واخيرا (ص 477) : « ثار جماعة من العوام على المحتسب – امره (والى الشرطة) بان يقبض على جماعة من الزعر والعبيد ويقطع ايديهم . راجع كلمة عياق تعليقة وردت حول كلمة طرطور . وتعابير (اهل الذعرة – الذعارة – ذوو الذعارة) تشير الى نفس الصنف من الرجال . وان اميرا متحللا من الاخلاق – وهو محمد السادس الغرناطي – سماه ابن الخطيب فى (الاحاطة – مخ دى كايانكوس ص 163) : « مالفا للذعرة » . ونقرأ للمقريزي(لدى دى ساسي – طرائف عربية ج 2 – ص 26 من النص) : « وكان قد ثار بدمشق جماعة من اهل الذعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد مراهم . وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد (وفى رحلة ابن بطوطة – مخ دى كايانكوس – ص 60) : « اتفق فى بعض السنين ان اوتي امير الحاج بصبي من ذوي الذعارة بمكة قد سرق بعض الحجاج » . وتشير كلمة دعار كذلك الى البوهيميين . فنحن نجد لدى المقريزي (ايراد دى ساسي – طرائف عربية – ج 2 ص 29 من النص) « وصار فى عدة وافرة من الذعار » .

اذن فكلمتا زعيرات الشماعين تعنيان بصورة خاصة : البوهيميين او المصريات – بائعات الشمع . والواقع اننا نعلم ان الراقصات العموميات (بائعات الهوى) هن فى مصر من طبقة البوهيميات . ونرى فوق ذلك من نص المقريزي كلمة زعارة تستعمل بمعنى Scortatio .

مفتتحة الى نصف الليل . وكان يجلس به فى الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيماء يعرفن بها وزي يتميزن به وهو لبس الملاوات الطرح . وفى ارجلهن سراقيل حمر . وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال السالقين فى وقت لعبهم . ومنهن من تحمل الجديد معها . وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل . وقد خرب ولم يبق به الا الخمس حوانيت بعدما ادركتها تزيد على عشرين حانوتا وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشموع » .

ويخيل الي ان طرح النساء كانت تعمل من الكتان او من القطن ـ فانني إقرا لدى المقريزي (ج 2 ـ مج 372 ـ ص 354 ـ 355) : « وفى اوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وانواع الطرح واصناف الثياب القطن » .

وفى ايامنا هذه ايضا تعمل الطرحة من الكتان او القطن . اذ يقول لين (المصريون المحدثون ـ ج 1 ص 60) فى معرض حديثه عن طرز لباس سيدات الطبقة العليا ونساء الطبقة الميسورة : « انهن يضعن على رؤوسهن اما قطعا من الشاش الموصلى الابيض المطرزة الحواشي بالحرير الملون والمرصعة بالذهب واما قطعا من الكريشة الملونة المزركشة بأسلاك الذهب ـ الخ ـ او بأسلاك معادن اخرى » . وان الزراكش والتزويقات التي ذكرها لين توضح لنا ـ مهما بلغت ضآلة هذا التوضيح ـ السعر الفاحش الذي تباع به الطرح طبقا لرواية ابن المحاسن) وطرحة نساء الشعب ذات لون غامق وهي من الشاش الموصلى او من الكتان . (لين ـ ج 1 ـ ص 64) . وتعمل الطرحة فى مصر العليا من قماش صوفي اسمر . (لين ـ ج 1 ص 69) . راجع هيئة هذا الخمار فى كتاب (لين ـ ج 1 ـ ص 57 ـ 64 ـ 68) .

واعتقد اننا واجدون الطرحة فى حلب . فعلى الاقل نراها لدى برين فى كتابه (الرحلات ـ ص 362) اذ يصفها بانها قطعة كتان بيضاء مشدودة الى عمرونة الراس ومسبلة الى الوراء » . انظر الشكل 189 فى كتابه . على ان طرحة نساء حلب لم تكن طويلة طول طرحة السيدات المصريات . وقد رأينا معتمدين على نصين للمقريزي مذكورين آنفا وجوب اضافة كلمة جمع طرحة طرح الى القاموس . وانني اجهل كيف ينطق العرب هذا الجمع ـ ولكن طبقا لقواعد النحو بوسعنا نطق طرح وطرح . (راجع دى ساسي ـ قواعد النحو العربي ـ ج 1 ـ ص 359 ـ 360) . وقد لاحظ كاترمير (كتابه السالف القيم) ان فعل تطرح قد تولد من كلمة طرحة : اي لبس الطرحة .

الطرطور او الطرطور

لقد سبق لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ج 1 ، ق 1 ، ص 77) ان تحدث عن الطرطور . ولكن هذا العالم الجليل لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا عن الملابس عند العرب : اذن فنحن مرغمون على الدخول فى التفاصيل والتوسع فى منعطفاتها ، تلك التفاصيل التي كان بمقدور كاترمير ان يتحفنا بها هنا دون ريب لو انه شاء ، ولكنها لم تستطع ان تحتل محلها فى نطاق شرح على احد المؤلفين .

لا بد ان كلمة طرطور تشير الى : طاقية عالية . وهذا ما ينم عليه اشتقاق الكلمة . حقيقة ان فعل طرطر لا وجود له فى القاموس الا بالمعنى المجازي : معنى التمجيد Gloriatus fuit ولكن هذا الفعل يعني بصورة عامة الرفعة او الرفع الى الاعلى In altum sustulit elevavit فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلية (ط مكناكتن ج 1 ـ ص 8) « طرطر ذيله وضرط :

In altum sustulit caudam suam et caca vit

وسنتحدث اول ما نتحدث عن طرطور النساء وبعد ذلك نتناول طرطور الرجال .

نحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج1 ، ص 161) ان نصابة استطاعت ان تحصل من عشاقها على ملابس نسائية فالبست عشيقها الثالث الوزير (غلالة زرقاء وطرطورا احمر) . ونجد فى هذا الكتاب: (يوميات رحلات السيد مونكوني ج 1، ص 381 (Le journal des voyages de Monsieur Monconys

ان نساء الشرفاء يضعن « شريطا اخضر فيطرطورهن» وعلى هذا فلا اتردد في التفكير بأن بلون Belon يتحدث عن الطرطور وهو الرحالة الذي زار مصر في الآونة التي كتب خلالها كتاب الف ليلة وليلة ، وذلك حين يصف الطاقية العالية التي تلبسها النساء المصريات اذ يتناول الموضوع في كتابه ملاحظات ص 134 (observations على هذا المنوال : « ان ملاحظة طراز لباس الراس الذي تتخذه النساء المصريات جديرة للغاية بالتسجيل، ذلك لانه يمثل القدم والعتاقة، كما نرى اشباهه مضروبة في الاوسمة وطع النقود . وقد سماه المؤلفون التاج المبرج او زينة الراس على هيئة البرج (الاشرطة المبرجة)

Vittam turritam او Turritam coranum
Turritum capitis or namentum

كما لو قال القائل « عمارة راس منصوبة على شكل برج » (1) .

وبالنظر لاهمية غرابة هذا الغطاء الراسي فان شعراءنا اللاتين القدماء لم يغفلوا ذكره فقد تناولوه بالوصف«راجع الصور المخطوطة في كتاب بلون Belon التي هي ولا مشاحة غير مستوفاة الشروط من الناحية الفنية .

واعتقد انني واقع على الطرطور في ساحل سورية في بيروت . فعلى الاقل يقول تيرنر في كتابه : (يوميات جولة في المشرق ص 81 ج 2)
(Journal of a tour in the Levant - Türner
عن ابنة مضيفه في هذه المدينة انها كانت تلبس طاقية حمراء في غاية الارتفاع مبثوثة فيها انواع قطع النقود التركية امثال ما يدعى Rubiehs sequins وغير ذلك ، تلك القطع التي قد يرتفع عددها الى مائة وخمسين قطعة على اقل تقدير ، وهذه القطع النقدية مجتمعة على اشرطة حريرية معلقة بسلاسل فضية » .

والواقع ان الطرطور تلبسه النساء المارونيات والدرزيات ، ولكنه لديهن مشغول من احد المعادن . وهذا ما يقوله باجيس Pagès بالحرف الواحد في كتابه « رحلة حول العالم ، ط بيرن 1783 ، ص 141 »
Voyage autour du monde
« الطرطور Tantoura هو عمارة راس على هيئة مخروط من الفضة تلبسه النساء الدرزيات (2) . وذكر نابييه Napier كذلك الطرطور Tontura في كتابه « ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 135 » (Reminiscences of Syria) ويسميه قرن نساء بيروت ، وبعد ذلك (1 ، ص 223) يقول : « الطرطور او قرن نساء لبنان » Tontura or horn . وهناك وصف مفصل عن الطرطور الذي تلبسه النساء اللبنانيات في كتاب المؤلف ذاته (ص 262 ، 264). وان كاترمير حين اورد نص باجيس Pagès حسب من المحتم عليه احلال كلمة Tartoura محل كلمة Tantoura ولكن بالنظر الى ان الكلمة توجد كذلك مكتوبة بحرف النون ((n)) في كتاب نابييه Napier ، وان حرف الراء (r) وحرف النون ((n)) هما حرفان ينتميان الى نفس الفصيلة ويمكن ان يعتورهما الابدال بسهولة في معظم الاحيان ، فلذلك لا يبدو لي من الاستحالة بمكان امكان النطق هذا اليوم بالكلمة بلفظ طنطورة لدى الدروز . وعلى كل حال فان هذه الكلمة ليست سوى تحريف لكلمة طرطور .

وقد تحدث عدة رحالين آخرين عن عمارة النساء المارونيات والدرزيات هذه ، ولكن دون ذكر لاسمها . فنحن نقرأ في رحلة لايت Light (اسفار في مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص 220) :
(Travels in Egypt, Nubia, Holy Land, Mount Libanon and Cyprus)
«ان النساء المارونيات والدرزيات يضعن على رؤوسهن انبوبة من القصدير او من الفضة على هيئة مخروط له

(1) يقول حافظ ابراهيم في وصف عمامة احد المعممين :
يمشي وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن فوق تل نفاق (المترجم)
(2) ورد ذكر هذا النص من قبل كاترمير (في كتابه الرائع) ولكن في طبعة اخرى .

من الطول حوالي اثنتى عشرة عقدة . ولعل هذا الجسم كان اضخم مرتين من بوق الحوذي » (انظر الصورة). ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص 232) فى معرض حديثه عن عروس امير جبل لبنان « كانت تبدو احيانا مرتدية حلة الفطر ، وقد زانت راسها بقرن من الذهب مرصع بالاحجار الكريمة بدلا من القرن العادي الـذي تحمله عادة نساء الجبل الاخريات A golden horn ونقرا فى رحلة تيرنر (ج 2 ، ص 7 5) : « لقد رايت بضع نساء مارونيات خارجات من الكنيسة (بيروت) وكن يلفتن النظر بقرن ضيق يبلغ طوله ثماني عشرة عقدة . وهو مغطي بخمار ويرتفع على الجبهة فى نفس الاتجاه وعلى نفس الهيئة اللذين تصور بهمـا قـرن الكركدن او الحيوان الخرافي كحصـان بقـرن فى جبهته » . وان طبقة النساء تشير اليها ضخامة القرن والمادة المصنوع منها الجسم ذلك لان بعض هـذه الطراطير مصنوع من الفضة ، بل هناك طائفـة مـن الطراطير المصنوعة من الذهب » .

وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 67 ، قبل لبنان) : « لقد سالت الآباء Padre كيف تعمـل النسـاء لتثبيت القرن على هذه الصورة المرتفعة للغاية بحيث يغطي الجبين ، فاعلمني بأن هذا القرن يثبت على قفا الراس بواسطة عصابة ، وان شريطا معلقا بهذه العصابة يحيط الجبين وان شريطا آخر يحيط بالعنـق ، وان ثقل وضغط هذا الاكليل كانا فاحشين للغاية ، بحيث لم تستطع اية امراة حمله ما لم تكن قد اعتادت عليـه منذ الطفولة . اما نساء الطبقة العليا فيلبسن الطراطير الذهبية . واما عوام النساء فيضعن الطراطير الفضية او تنحصر اكاليلهن فى قرن اعتيادي او فى قرن مائل اذا كن ميسورات الحال فاستطعن توفير هذا القـرن المائل » . وبعد ذلك (ج 2 ، ص 68 و 69) : « فى هذه الجبال تلبس النساء نوع قرن لكنه اقصر وهو يمر فوق الاذن اليمنى ويرتفع بزوايا قائمة بدلا مـن الارتفاع بخط مستقيم . وقد صادفت احدى هاتـه النسوة فحملتها على خلع قرنها ، وذلك باعطائها بعض البارات . وقد وجدت ان هذا النوع من القرن مشدود بكل بساطة بفضل طرحة،ويكون احيانا مثقوبا لاستطاعة تثبيته بسهولة بالغة » . وبعد ذلـك (ج1 ، ص 71) نقرا ان الرحالة على علم بأن النساء اللواتي يحملـن القرن على الجبين هن مارونيات ، وان اولئك اللواتي يحملنه على الاذن هن كذلك فى الاغلب الاعم مارونيات ولكنهن فى بعض الاحايين درزيات ، ونحن نقرا اخيرا فى موضع آخر (ج 2 ، ص 73) : « لقد اقنعت المراة المارونية بخلع قرنها (وكان يرتفع فى خط مستقيم) وان تريني اياه ، وكان هذا القرن مصنوعا من الفضة ، دون زينة اخرى ، اللهم الا عدة ثقوب صغيرة مستحدثة فيه على مسافات متساوية » . راجع كذلك (ريشتر رحلة الى الشرق ، ص 90 – 91)
Richter, Wallfahrten in Morgenland
وسنتناول الآن بالحديث طرطور الرجال . وقد كانت الطاقية الاعتيادية لبدو مصر . فنحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، 1 ، ص 365) ان سيدة فى مقتبل عمرها قالت للامير (شركان) بعد أن صرعته فى مبارزة ، وهي تضحك : « كانك طرطور بدوي تقع من بطشة » . والبطشة هي الضربة . وهذا المثـل موجود كذلك فى كتاب بركهارت حول الامثال المصرية العربية المحدثة رقم 398 . ولكن قد اشير اليه بنجمة وهذا يعني انه لم يعد شائع الاستعمال فى مطلع هذا القرن . ونحن نقرا فيه طرطوري يقع من لطشة . وعلى رغم بركهارت ولبو بل برغم فيشر (Arab. proverb) (M. Fleischer - de glossis Mabichtianis, p. 80) الذي يخيل الي انه يذهب نفس المذهب ، فانني لا يسعني التسليم بأن (طرطوري) هو شكل آخـر من طرطور اذ انني على النقيض من ذلك اترجم طرطوري بكلمتـي mon tartour (طرطوري) اى الطرطور العائد لي . اذن فمعنى المثل الذي اورده بركهارت فى مذهبي « طرطوري يقع من ضربة واحدة (1) ومعنى ذلك انني رجل لين العريكة مطاوع بحيث ان اهـون شيء يحملني على تبديل رايي . وفى نص آخر مـن نصوص الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 419) يقسم بدوي بطرطوره فيقول : وحـق طرطـوري . وبطبيعة الامر يفضي بنا هذا الى البحث عن ماهيـة الطاقية العالية التي يلبسها بدو مصـر فى القـرن السادس عشر ، بل فى العصور الاقدم . وعلى ذلك فان مؤلف حكاية (فون خيستلا فى رحلاته أ ص 30
Van Ghistele (T, Votage van Mher Joos va Ghistele)
يقول بالحرف الواحد : « انهم يحملون على رؤوسهـم

(1) تعني كلمة لطشة فى اللهجة المصرية ضربة لا هي بالعنيفة ولا الخفيفة – تعليق بركهارت . راجـع ملاحظة فليشر القيمة فى كتابه : A. de glossis Habichtianis ص 80 .
واعتقد وجوب احلال كلمة لطشة محل كلمـةبطشة فى نص الف ليلة وليلة المذكور اعلاه .

برانيط حمراء واسعة . مصنوعة من اللباد المعرط فى الكثافة (الكثاف) وهي على هيئة شبـــه بيضويـــة مسطحة . اذن فهذا الاكليل يماثل تاج الاسقـــف ، البرطل ، الطابية Mitre ولكنه ليس مدببا من الاعلى . وحول هذه الطاقية يلفون ثلاث او اربع لعات قطعة من الشاش والعمامة) . ونقرا فى كتاب ساليناك (رحلة الى اورشليـــم ، ج 8 ، ف 2) :
Itinerarium Hierosol. VIII, cap. 2
« انهم يكتسون بجلود الحيوانات وبطاقية عالية ، مثل الاتراك » . ويجزم دلشيور فون سيدلتز ، فى كتابه : (وصف حقيقي دقيق لزيارة الاماكن المقدسة ، ص 361)
« Gründliche Beschreybung der Wallfahrt » :
« ان اطفال البدو يعدون بين الماشية وهم لابســـون طاقية مدببة سنجابية اللون » .

ونجد فى قصة هيلفريتش ، وصـــف رحلـــة مختصرة ، ص 379
« Hellfrich (Kurtzer unnd wahrhafftiger Bericht von der Reysz » :
« ان البدو يلبسون فى رؤوسهم قبعة حمراء مدببـــة زباء (مزببة ، محوطة بقطعة من القماش الابيـض » . (مسورة بالعمامة ؟) وفى قصة الامير رادزيفيـــل ، ص 38 ، الحج الى اورشليم
(Jerosolymitana peregrinatio)
ان الطيارة للبدويين Tiara (تاج البابا ، تاج قدماء الفرس) مذكورة ايضا . ونحن نقرا فى رحلة مسكازا ص 112 ، قصة رحلة الى اورشلم :
(Relatione del Viaggio di Gierusalemme)
« انهم يضعون على رؤوسهم نوع قبعة عالية محرومة من الثنيات ، لونها اسود ، وترتفع اطرافها من الاعلى مستديرة اكثر قليلا من اصبع .

ولم اجد الطرطور او الطاقية العاليـــة للبـــدو المصريين مذكورين من قبل الرحالين الذيـــن زاروا مصر بعد منتكازا . (زار منتكازا الشرق عام 1600). ويخيل الي ان الطرطور لديهم قد اقيم مقامه الكلوته المسماة بالطربوش الذي كما سبق ان قلنا آنفا ، فى معرض حديثنا عن هذا الاكليل ، كان يلبس سابقا من قبل الفرسان البدو ، ايام كان هذا الرحالة الايطالـي موجودا فى مصر .

ونحن نعلم ان البداة المصريين ، وهم رجـــال غلاظ الاكباد قساة القلوب محرومون من الحضـــارة ، كانوا يعانون ما يعانون من فظائع الازدراء والاستعـلاء من جانب سكان مصر المتمدنين المزعومين . اذن فلن يبدو على شيء من الغرابة نظر سكان المدن الى هـــذا الطرطور الهائل الذي يضعه البدو على رؤوسهم نظرة مضحكة مستخفة ، لواقع انهم كانوا يضعون دائما على راس المجرم ، او على راس العدو المقهور ، طرطورا ويطوفون به على هذه الشاكلة الوحشية فى الشوارع والدروب . والحقيقة اننا نقرا فى تاريـــخ مصـــر للنويري (مخ 2 ، ص 99) : « وابو ركوة على جمل . وعلى راسه طرطور . وطيف به على هذه الصفة وخلفه قرد يصفعه . ثم صلب وضربت عنقه . وجهزت راسه الى البلاد . وفى موضع آخـر (مخ 2 ، ص 108) : فحلقوا ذقنه . والبسوه طرطورا . وسمروه . وطافوا به المدينة السلطانية (1) .

---

(1) ابو ركوة امير من البيت الاموي فى الاندلس . وقد حاول ان يخلع خليفة مصر الحاكم بأمر الله عن العرش ولكن خانه اتباعه وسلموه . راجع حول الموضوع فيما تراجعه هامر بركستال فى كتابـــه (قاعة الرسم لاعظم سلاطين الاسلام ، ج 3 ، ص 345 ــ 346) :
« Hammer-Purgstall, Gemäldesaal groszer Mos-limischer Herrscher » :
وان فعل سمر : فى الصيغة الثانيـــة : يعنـي تثبيت مجرم بالمسامير على صليب وصلبه . ولما كان هذا الفعل كثير الذيوع لدى المؤرخين ومفسرا اسواء تفسير فى القاموس ، فمن المحتم على ان ادخل بصدد هذا الموضوع فى بعض التفصيلات . فانكلمة سمارة تعني القطعة المعروفة من احد المعادن. فكلمة مسمار تشير الى هذا الجسم المعدني . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ دى كايانكـــوس ص 194) : ثم صرفه واعطاه اموالا طائلة وفي جملة ما اعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها . كل ذلك من الذهب الخالص . وقال له : اذا نزلت من البحر فانعل فرسك بها . وفى تاريخ مصـــر للنويري (مخ 7 ، ص 154) : عشرة مسامير من الذهب . وفى كتاب ابن بطوطة : مسمار فضة . وفى موضع آخر : مسامير الفضة . ومن هذه كلمة مسمار تعني القطعة المعروفة من احد المعادن . للنويري (مخ 2 ، ص 479) : اخرج فسمر على خشبة . وبعد ذلك (ص 482) يقول المؤرخ عـــن الشخص نفسه انزل شنشول عن خشبته. ونجد فى تاريخ مصر للمؤلف نفسه (مخ 19 ، ص 138) : بات فى ليلة الاثنين على خشبة التسمير . (وسأتحدث تاليا عن كلمة خشبة وجمعها خشب وعن مختلف مدلولاتها . راجع فى كلمة طاقية التعليق (3) . ولكن ليس من الضروري اضافة كلمتي على خشبة او ــــ

وسانشر بهذه المناسبة نصا لابن اياس ممتعـا للغاية من عدة وجوه . فنحن نقرا فى تاريخ مصـر (مخ 637 ، ص 16 وما جاء بعدها ، حوادث عام 787) لهذا المؤرخ من الحوادث ان السلطان رسم بابطال ما كان يعمل يوم النوروز . وهو اول يـوم من السنـة القبطية . ومما كان يعمل بالديار المصرية ذلك اليوم انه كان يجتمع فى ذلك اليوم السواد الاعظم من العوام وغيرهم من الاسافل . ويركبون منهم شخصا خليعـا على حمار وهو عريان وعلى راسه طرطـور خـوص فيسمونه امير النوروز ، ويكون ذلك قوى الطبـاع فيتوجه الى بيوت الإكابر واعيان الناس ويقـف على الابواب ومعه السواد الاعظم من الاسافل فيكتب على صاحب تلك الدار الوصولات بالجمل الثقال وكل من امتنع من العطا بهدلوه وسبوه ولو انه اكبـر من فى القاهرة . ولا يزالوا مرسمين على بابه حتى ياخذوا منه ما قرروه عليه وياخذوا منه ذلك القدر غصبا وكـان منهم طائفة يقفون فى الطرقات ويتراشقون بالمـاء المنجس او بالخمر ويتراجمون فى وجوههم بالبيـض ويتصافعون بالاخفاف على رقابهم ويتراجمون بعمائمهم حتى قيل فى المعنى :

(الطويـل)

بداري رجال للجنون ترجلت

عمائمهم عن هامهم والطيالس

فللراح ما زرت عليه جيوبها (حبوبها)

وللماء ما دارت عليه القلانس

مساحب من حر الزقاق على القفا

وصفع بانطاع حبي ريالس (كذا) .

وكانوا يقطعون الطريق على الناس ويمنعونهم من الخروج فى ذلك اليوم الى الاسواق . وتغلق فى ذلك اليوم الدكاكين وتتعطل الناس عن البيع والشـرى . وكل من ظفروا به فى الطريق بهدلوه ولو كان من اعيان الناس او من الامراء فيرشونـه بالمـاء المتنجـس ويرجمونه بالبيض حتى يفدي نفسه منهم بشيء حتى يخلص من ايديهم فيحصل للناس فى ذلك غاية الضرر ويتعطل عن اسبابهم . وكانوا يتجاهرون ذلك اليـوم بشرب الخمر وكثرة الفسوق فى اماكن المفترجات حتى يخرجوا فى اليوم عن الحد . وربما كان يقتل فى ذلك اليوم جماعة مما يعربدوا على بعضهم فى السكر والعياقة . وكان هذا الامر ماشي بمصر على القاعـدة القديمة من الدولة الماضية ولا تنكر ذلك من ذلـك (فى الدول الماضية ولا ينكر ذلك) وكان فى ذلـك اليوم يحمل الى اكابر مصر من الاقباط والمباشريـن اصناف الفواكه وغيره من جميع الاصناف . وكان يوم النوروز من اجل المواسم بمصر . فلما تسلطن الظاهر برقوق امر بابطال ما كان يعمل فى ذلك اليوم وارسل الحجاب مع والي القاهرة ومعهم المماليك السلطانية . فطافوا بأماكن المفترجات وقبضوا على من وجدوه من العياق من يفعل ذلك وضربوه بالمقارع . وربما قطعوا ايدي جماعة منهم واشهروهم . واشهـروا النـداء بالتهديد على من يفعل ذلك بالشنـق والتوسيـط . فرجعوا الناس عن ذلك من يومئذ وانكفوا عما كانـوا يفعلونه فى ذلك اليوم فى اماكن المفترجات ونحو ذلك

— على خشب للتعبير عن تسمير احد على صليب . فان فعل سمر يكفي للاعراب عن الفكرة ، فكرة هـذا النوع من التعذيب المسمى تسميرا . فنحن نجد فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 170) : فطولع السلطان فى امرهم وامر بتسميـر الخمسـة فسمروا تحت القلعة . وشفع بعض الامراء فى اطلاق المراة . واطلقت وفكت المسامير فماتت بعد ايام . وفى موضع آخر (ص 186) امر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود . وفى مجلد آخرمن نفس الكتاب (مخ 2 ، ص 108) : سمروه وطافوا بـه المدينـة .

وهذه الواقعة ذكرها المقريزي من حوادث سنة سبع وثمانين وسبعمائة (1) .

وليس هناك ادنى ريب فى ان ابن اياس يلمع هنا الى كتاب السلوك للمقريزي ، وهو السفر الذي خلت منه مكتبة ليدن واأسفاه !

ولعل اناسا سيتناولونني باللوم على نشري وترجمتي للنص بتمامه : ولكن يخيل الي ان من الغرابة كل الغرابة العثور فى الشرق على عيد يشابه، مهما كانت المشابهة ضئيلة ، عيد مجانين العصر الوسيط والكرنفال ، بحيث استطيع ان اقرر نشر بضع فقرات فقط من هذا النص ... لذلك كان لا مناص لي من نشر النص بأكمله . وسأحملكم مرة اخرى على ملاحظة ان احتفالا مثل هذا يقام فى بعض اقطار الشرق ، فى مطلع شهر رمضان . راجع وصف احد هذه الاحتفالات فى كتاب تيفنو ، ص 287 ، 279، حكاية رحلة الى المشرق :

« Relation d'un voyage fait au Levant » :

واعتقد ان المعنى هو الطرطور فى النص التالي لتيفنو فى كتابه المذكور ، ص 69 ، الذي وصف الزينة فى حلب (2) بالعبارات التالية : « ان اجمل ما فى هذه الزينات هو رؤية مسيرة اصحاب الحرف . فقد بدات هذه المسيرة بمرور الاساكفة الذين كانوا يمشون بنظام . وقد انطلقت المسيرة باديء ذي بدء يتقدمها

تعليق (1) .

*) راجع حول كلمة خليع فليشر فى كتابه السالف ص 95 .

*) راجع كذلك لين الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 377

*) ان فعل بهدل يعني اهان . راجع الف ليلة وليلة، 7 هابخت ، ج 6 ، ص 143 ، وقويميس الكلمات المضاف الى المجلد السابع من هذا الكتاب .ونحن نقرا فى موضع آخر من كتاب ابن اياس (ص 386) ثم قال السلطان) ايش اعظم ما تبهدوا به الناس عندكم . قال نرميهم بثيابهم فى الماء . وارى ضرورة احلال كلمة تبهدلوا محل كلمة تبهدوا ، وتوجد كلمة بهدلة فى نص آخر من كتاب المؤلف المذكور . فنحن نقرا فيه (ص 452) . وقد حصل للقاصد من العوام غاية البهدلة من السب والرجم وغير ذلك.

*) يجب اضافة التصريف السادس من فعل رش الى القاموس . وكذلك التصريف السادس من فعل صفع .

*) لقد حذفت البيت الثالث لانني اعترف صراحة اني لا افهم شيئا منه مطلقا ، والمخطوطة كثيرة الاخطاء فى هذا الموضع .

*) لا وجود لكلمة مفترجات في القاموس . وفى نص آخر من مخطوطة ابن اياس (ص 296) توجد هذه الكلمة مكتوبة مشكلة على هذه الصورة مفترجات . ونقرا فيه : وكان يحب التنزه والمفترجات (العاهرات) . ونجد فى موضع آخر (ص 74) « ان احدا لا يخرج الى المفترجات قاطبة (منع ذلك السلطان) . وبعد ذلك (ص 297) : وقد تقدم ما كان يقع له فى المفترجات . واخيرا (ص 415) : « وهو كلام ملحن مطول . وصاروا يغنون به فى اماكن المفترجات» . ويجب علي ان احملكم على ملاحظة انني لم اجد هذه الكلمة لدى اى مؤلف آخر ، وان المؤلفين الاوربيين ، الذين يذكرون فى معظم الاحيان الاسم الذي كانت تحمله المومسات فى زمانهم فى الشرق لا يسمونهن ابدا مفترجات .

*) لا وجود لفعل شهر بهذا المعنى فى القاموس ، الا فى التصريف الثاني . ولكن التصريف الرابع يعبر احيانا عن نفس الفكرة . فنحن نقرا فى موضع آخر من كتاب ابن اياس (مخ ، ص 66) : سمرهم واشهرهم فى القاهرة . وبعد ذلك (ص 180) :
اشهرهم فى القاهرة على جمال . وفى موضع آخر (ص 416) : ضربه المقارع واشهره فى القاهرة . وفى مجموعة القطع المختارة الخاصة بالدروز (لدى دى ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ، ص 90 من النص) : اشهارك بالقاهرة المقدسة وبشوارع مصر وازقتها .

*) راجع حول العذاب الفظيع المسمى بالتوسيط سيلفيستر دى ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 468 وكذلك كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1، ق 1 ، ص 72) . وعلاوة على ذلك بمقدوركم مراجعة اتيين دى كتبنبير وغيره .

(2) راجع حول كلمة « زينة) كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 29) .

رهط من الصبيان الذين كانت رؤوسهم مغطاة بطراطير ورقية مدببة على هيئة قوالب السكر (1) Pains de sucre . وما يزال الدراويش يلبسون الطراطير . اذ يقول لين بصراحة في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 369 ، ج 2 ، ص 190) ان بعض الدراويش يلبسون الطراطير او الطاقيات العالية المعززة قممها بقنازع من قطع الجوخ المختلفة الالوان، والتي عادة لها شكل قوالب السكر . وانني اقرا في رحلة ستوكوف الى المشرق ، ص 433 ، وهو يتحدث عن دراويش القاهرة :

« كان واضعا على راسه طاقية معمولة على هيئة قالب سكر مغطاة كلها بآلاف الريشات الصغيرة من مختلف الألوان » . وفي حكاية كوبان Coppin (درع اوروبا ، ص 131 : (Le Bouclier de l'Europe « يلبس الدراويش طاقية مشغولة على هيئة قالب سكر » . وفي يوميات اسفار دي مونكوني ، ج 1 ، ص 167 : « انهم يضعون على رؤوسهم طاقية فخمة من اللباد الوردي المعمول على هيئة قالب السكر ، وكانت احداهما تشابه كل المشابهة تاج الاسقف او البرطل او الطابية ، وتحف بها نقوش على صورة ازهار خضراء زاهية اخاذة ، وقد وجدت احدى الطاقيات الملفوفة عليها لفافة بيضاء كتلك التي تكور بها العمامة». انظر للمقارنة الصورة المرقمة 19 ، الملصقة في الصفحة 346 من الجزء الاول ، وتمعن كذلك في الشكل الموجود في كتاب بوكوك ، رحلة الى الشرق ، ج 1 اللوحة 58 .

ولعل من المحتمل الراجح ان دراويش سوريا يلبسون كذلك الطاقيات العالية المسماة بالطراطير ، وهذا مؤيد بشهادة روجيه فكتابه (الارض المقدسة ، ص 245 La Terre Sainte, p. 245) يقول : « انهم يعتاضون عن العمامة بالطاقية البيضاء المشغولة من اللباد الذي يصل سمكه احيانا الى عقدة وارتفاعه الى قدم » . ويقول دارفيو D'Arvieux كذلك في كتابه (مذكرات ، ج 6 ، ص 465) وهو يتحدث عن دراويش حلب : « ان ما يميزهم عن سواهم هو طاقية من الصوف الابيض ، مفرطة في الطول ومدببة كل المدببة » .

والطرطور يلبسه كذلك الفرسان الاتراك الذين يطلق عليهم كلمة دلي Delis (راجع بركهارت ، الامثال العربية ، الرقم 149 ، حول مثل : جندي ما قبل شيع طرطوره) .

اما عن طرطور اتراك مدينة الجزائر فبوسعكم مراجعة الوصف الدقيق الذي دبجته براعة ديكو دى هيدو في كتابه ، خطط مدينة الجزائر : ص 20 ، مج 3 و 4) .

وهذا المؤلف يكتب الكلمة على هذا الشكل : تورتورا : Tortora .

الطلس

يذهب القاموس ،ط كلكتا ، ص 772) الى ان الطلس هو (الطيسان الاسود) (2) .

الطيلسان ـ الطيلسان

ان التفاصيل التي اوردتها حول كلمة طرحة تجيز لي الايجاز في معرض التحدث عن الطيلسان .

يقول لين (الف ليلة وليلة ـ ج 2 ـ ص 512) عن الطيلسان ما يلي : « لم تتح لي الفرصة ابدا لفحص الطيلسان وعلى ذلك فليس بمقدوري ان اصفه وصفا دقيقا . ولكنني اعتقد انه نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الراس والكتفين . او يلقى احيانا على الكتفين فقط . وهو خاص بالفقراء او بأساتذة الفقه والشريعة (3) . وهذه التفاصيل صحيحة ودقيقة ـ وبوسعكم الاقتناع بالرجوع الى مقالتي عن الطرحة .

وقديما كان الطيلسان لا يلبس الا من قبل علماء الشريعة ـ ومن هنا جاء التعبير الوارد في كتاب ابن حبيب (مخ 425 ـ ص 383) : اهل السيف والطيلسان ـ ولكننا راينا آنفا ان الطرحة قد ارتداها ايضا كبراء مصر ـ ابتداء من عام 676 فانقطعت عن كونها لا تلبس الا من قبل القضاة واولئك الذين لم يكونوا يمارسون الا سلطة روحية وقضائية.

---

(1) قالب السكر ما نسميه نحن (كلة الشكر !) .

(2) لعل المؤلف اراد ان يكتب (الطيلسان) فخط (الطيسان) . (المترجم) .

(3) ويضيف قائلا : « انني ميال للظن بأن الطيلسان شبيه بأوشحتنا وقلانسنا الاكاديمية ـ ليس من ناحية المظهر فحسب ـ وانما من جهة الاصل .

وكذلك شأن الطيلسان . فنحن نقرا مثلا فى تاريخ مصر لابن أياس (مخ 367 ـ ص 41 ـ 42) « فلما وقعت عينه على الملك الظاهر جرى وقبل يده وقال للظاهر برقوق : « انت استاذنا كلنا ونحن مماليكك قاطبة » . ثم ان برقوق قام ولبس عمامته ولف عليها طيلسانا كبيرا » .

ونقرا فى نص للسيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 308) « ان الطيلسان المقور كان يعطى كلباس تشريف (خلعة) لامير الجيوش » .

وفى رحلة محمود بن جبير (مح 320 ـ ص 46) نجد ان الخطيب فى مكة كان يرتدي الطيلسان من الكتان الرقيق (وعليه طيلسان شرب رقيق) . ويذهب ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كايانكوس ، ص 64) الى ان الطيلسان كان اسود اللون (عليه طيلسان اسود) .

وفى الاندلس كان الطيلسان معروفا على وجه الاجمال .. كان معروفا وشائع الاستعمال بصورة عامة بين الكبراء ولدى عامة الشعب ـ ولكنه كان يرتدى فوق الكتفين ـ ولم يكن يضعه على الراس الا شيوخ المشايخ (المقري ـ او بالاحرى ابن سعيد ـ لدي فريتاك ـ طرائف عربية ونحوية وتاريخية ـ ص 148) . ولا ريب انهذا الخمار هو الطيلسان الذى نرى الشيخ العجوز يرتديه وسط اللوحة 65 من كتاب Cavanah Murphy الرائع : « الآثار العربية فى اسبانيا :

« The Arabian Antiquities of Spain »

ونقع فى كتاب ريحان الالباب (مخ دي كايانكوس) على النص الذى يبعث على التأمل والملاحظة : « ثم مات هشام ـ ويقال بل قتله المعتضد ـ ومشى فى جنازته دون طيلسان راجلا مشي الحجاب » .

ويتحدث حاجي خليفة (ط فلوكل ـ ج 1 ـ ص 162) عن كتاب معنون : « الاحاديث الحسان فى فضل الطيلسان » . وهناك نسختان من هذا الكراس فى مكتبة الاسكوريال .

الطاق

يذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1307) الى أن الطاق هو الطيلسان او بالاحرى الطيلسان الاخضر (ضرب من الثياب والطيلسان او الاخضر) .

الطاقية وجمعها الطواقي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وتعني فى اللغة العربية كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة . ولعلها من أصل فارسي ـ ولكنني يجب ان احملكم على ملاحظة ان الكلمه لا تشير فى فارس الى كلوتة صغيرة ـ ولكنها تومىء على ما يبدو الى نوع عصابة توضع على الراس .

يقول مير خوند Mirkhond (ص 66 ـ تاريخ السلاجقة) فى معرض حديثه عن السلطان السلجوقي الب ارسلان « وطاقية » نيزبن سرمي نهاد كوبندكه از سر طاقيه تانهايت لحيه ، او دو كز در نظر بيننده آمدي» . اما خوندمير Khondemir (حبيب السير ، ج 2 ، مخ فارسية 296 ، ص 204) فيقرر نفس الواقعة بهذا الكلمات : « وطاقيه طولاني (اقرا نيز) بر سر ميكذاشت ـ جنانجه بيننده از بدايت طاقيه تانهايت لحيه دو كزمي بيناداشت » (1) . وهذا النص الأخير يجب ان يترجم على هذه الصورة « كان يلبس فى راسه طاقية طويلة ـ بحيث ان من يرى هذا الانسان يلمح ذراعين من الطاقية ـ انطلاقا من موضع عقد هذه حتى اللحية » . والجدير بالملاحظة ان مير خوند وخوندمير يعدان الطاقية من بين الصفات الحسنة ـ بل من بين الصفات الاخلاقية العالية للسلطان . ومع ذلك فانني اعتقد ان ابن بطوطة (الرحلة مخ دي كايانكوس ـ ص 82) حين يقول ـ فى مقاله عن اصفهان « وطلبت منه ان يلبسني طاقية من راسه » كان الموضوع فى هذا النص موضوع عرقية او كلوتة ـ ذلك ان هذا على الدوام هو معنى هذه الكلمة لدى الكتاب العرب . فنحن نقرأ فى وصف مصر للمقريزي (ج 2، مخ 372 ، ص 358) النص التالي ـ العظيم الاهمية « سوق البخانقيين هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتي ذكرها

---

(1) يجب اضافة فعل بينداشتن الى المعاجم الفارسية .

ان شاء الله تعالى عند ذكر القياسر . وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة فانه عمل فى بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه . ويسلك فى هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها . وهي معمورة الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطواقي التى يلبسها الصبيان والبنات . وبظاهر هذا السوق ايضا فى القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها . وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقي فى الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ويمرون كذلك فى الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الراس عارا وفضيحة . ونوعوا هذه الطواقي ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان . وكانت اولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها (مدور مسطح) . فحدث فى ايام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو الثلثي ذراع واعلاها مدور مقبب بالغواقي بتبطين الطاقية بالورق والكثير فيما بين البطانة المباشرة للراس والوجه الظاهر للناس . وجعلوا من اسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يصير دائما بجبهة الرجل واعلا عنقه . وهم على استعمال هذا الزي الى اليوم . وهو من اسمج ما عانوه . وتشبه بالرجال فى لبس ذلك النساء لمعنيين احدهما انه فشا فى اهل الدولة محبة الذكران فقصد نسائهم التشبه بالذكران لتستملن قلوب رجالهن . فاقتدى بفعلهن فى ذلك عامة نساء البلد . وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفقر والفاقة . فاضطر حال نساء اهل مصر الى ترك ما ادركنا فيه النساء من لبس الذهب والجواهر بل ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقي وبالغن فى عملهن من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها . ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ امور الناس فى عاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم » .

ولعل مؤلف رحلة فان خيستلا (ص 48) يتحدث عن الطاقية ــ وكان زار مصر عام 1481 ــ اي بعد وفاة المقريزي باربعين سنة ــ فعبر عن خواطره فى معرض الكلام عن المماليك بالكلمات التالية : « ثمة ناس يضعون على رؤوسهم البيريهات ــ اي الطواقي المستديرة العالية . وهذه الطواقي ضيقة من الاسفل وعريضة من الاعلى ــ والجزء الواطيء منها مصنوع من المخمل ومن نسيج آخر ــ اما الجزء الاعلى فمشغول من الصوف الاخضر الرديء».

فاذا لم اكن متوهما ــ فان بيير مارتير السفير الفرنسي لدى قنصوة الغوري عام 1501 يتحدث فى كتابه (سفارة بابلية ــ ص 401) عن الطاقية ايضا . واليكم كلماته : « ان المماليك الذين هم فى خدمة السلطان يلبسون طواقي من الصوف ــ وهي ثقيلة الوزن وقاسية الملمس ــ وتتألف من لونين مختلطين ــ اللون الاول الاخضر فى الاسفل ــ واللون الثاني الاسود فى الاعلى » .

وبالرغم من انطباق هذه الاوصاف بعض الانطباق على أوصاف المقريزي ــ فانني ارى من المحتم علي ان اعترف بأن التفاصيل ليست هي نفسها بالضبط (ولكن ما لنا لا نفترض ان طاقية المماليك كانت عرضة لتحويرات اقتضتها الطرز المستحدثة ؟ الم يخبرنا المقريزي نفسه ان طاقية المماليك قبل حكم الملك الناصر فرج كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الطاقية التى يلبسها هؤلاء المماليك فى عهده) .

وفى ايامنا هذه تشير كلمة طاقية فى مصر الى نفس ما تشير اليه العرقية ــ اي الى كلوتة صغيرة من القطن تلي الراس تماما ــ كما يقول لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) . ويرتديها افراد الجنسين تحت الطربوش (المرجع السالف ــ ص 58) الذي حوله تلف قطعة من القماش ــ وعلى هذه الصورة تتشكل العمامة . ويكتب ج فيسكيه (رحلة الى الشرق ، ص 182) الكلمة هكذا Takie ــ وهي فى نظر الرحالة « عرقية صغيرة من القطن المنقوش الذي يكون عادة مزركشا ومطرزا بنقوش غاية فى الابداع والنفاسة » . بل يذهب بركهارت فى كتابه عن الامثال المصرية المحدثة (الامثال العربية ــ رقم 101) الى القول بأن هذه الكلمة تشير الى عرقية او كلوتة بيضاء مصنوعة من القطن الناعم المطرز الحواشي عادة ــ وهي تلي الراس مباشرة وتلبس تحت الطربوش الاحمر » . ويتحدث بوكوك كذلك فى كتابه (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328) عن الكلوتة الصغيرة البيضاء المعمولة من الكتان التي تستعمل لتغطية الدماغ او تلبس تحت الطربوش . وبهذا المعنى كانت هذه الكلمة شائعة الاستعمال فى زمان كتابة الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ فى هذا الكتاب (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 172) : « فنظروا

شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس . (اي لم يكن راسه مغطى بالطاقية الحمراء ـ ولا بقطعة القماش المسماة عمامة) ولم يكن يلبس سروالا ».

وترسم طبعة هابيخت (ج 2 ـ ص 63) هنا كلمة قبع ـ وهي لفظة تشير بأحكام ودقة الى نفس الشيء ـ كما سنرى مصداق ذلك حين نتحدث عن هذه الكلمة .

وفى الفترة التى زار خلالها داندينى سورية ـ اي عام 1599 ـ كانت كلمة طاقية تشير فى هذا القطر الى المادة التى يسمونها اليوم فيه بالطربوش . فنحن نقرأ فى (الرحلة من جبل لبنان ـ ص 44) ان سكان طرابلس يضعون على رؤوسهم عرقية يسمونها طاقية ـ وهي معمولة من الجوخ او من الحرير المشوب بالقطن » . وبعد ذلك مباشرة يتحدث الرحالة عن الشاش . ويوغل حتى يبلغ (ص 48) فيقول عن النساء : « انهن يضعن على رؤوسهن طاقية من الجوخ او من الحرير الذى يكون عادة احمر او ازرق ـ وهن يملأن طاقياتهن بتطاريز ذهبية وفضية . ومنهن من يلبسن الطواقي المصنوعة من الذهب والفضة خالصين » .

وما تزال كلمة طاقية حتى يومنا هذا تشير لدى البدو الى نفس العمارة التى تشير اليها كلمة طربوش ـ ذلك لاننا نقرأ فى كتاب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ـ ص 27) ان بعض الشيوخ الاثرياء من بين البدو « يلبسون احيانا عرقيات حمراء او طاقيات تسمى فى سورية طرابيش » . وما يماثل فى سورية الطاقية المصرية هو العرقية ـ وتدعى لدى البدو معرقة .

وقد راينا آنفا ـ من نص المقريزي الذي نشرته ـ ان جمع هذه الكلمة هو طواقي (طواق) . وهذا الجمع موجود كذلك فى نص آخر للمقريزي (راجع كلمة حياصة) ـ وفى نص من تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 52) حيث نقع على كلمتي « طواقي الاولياء » . « Les tâkîyahs des Saints »

وتشبه كلمة طاقية كل الشبه الكلمة الفرنسية توك Toque والكلمة الاسبانية توكا Toca , ولكن يتحتم علي أن احملكم مع ذلك على ملاحظة ان القدامى من المؤلفين الاسبان والفرنسيين يسمون توكا وتوك العمامة بقضها وقضيضها ـ وانهم لا ينطقون هذا الاسم على الكلوتة . فنحن نقرأ ذلك مثلا فى كتاب اسباني ـ مكتوب بالحروف العربية (منشور من قبل دي ساسي فى صحيفة العلماء ـ عام 5 ـ 16 جرمينال ـ رقم 7) : « من تراهم لابسي الطواقي البيضاء هم اتراك ـ اما مرتدو الطواقي الصفراء فهم يهود يتاجرون مع وجهاء الاتراك » .

ويقول برتراندون دي لابروكيير فى كتابه (رحلة عبر البحار ـ ص 504) وقد زار الشرق فى 1432 ـ 1433 انه اشترى من دمشق توكا كاملا « Une toque accomplie » وهذه الطاقية فسرها دوسي الكبير تفسيرا فى غاية الصحة بأنها « العمامة المثلى » .

— * —

تعليقات على نص المقريزي

* شارع القصبة ـ ما يزال هذا الشارع حتى اليوم هو الشارع الرئيسي فى القاهرة . ويمتد من باب زويلة حتى باب النصر .

* تشير كلمة خشب بصورة عامة الى المادة المعروفة . فنحن نقرأ فى كتاب القرطاس (مخ 17 ـ ص 81) : واذا بطاق فى الدار عليه شباك خشب . ولكن كلمة خشبة وجمعها خشب او خشبات تستعمل فى معان عديدة . فهي تشير :

1 ـ الى جذع شجره . فنحن نقرأ فى شرح الشاذلي على رسالة الفقه المالكي لابن ابى زيد (مخ 1193 ـ ص 526) : خشبة ينشرها فيجدها معفونة . وفى رحلة ابن بطوطة (مخ . ص 268) : اتوا الينا فى قوارب صفار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة .

2 ـ الى وتد . اذ يقول ابن بطوطة (الرحالة ـ ص 91) فى معرض الحديث عن جسر الزوارق فى مدينة الحلة : « ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها سلاسل حديد مربوطة فى كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل » . وفى موضع آخر (ص 132) : « واخبرنا الناس ان المعدية أسفل من ذلك الموضع . فتوجهنا اليها وهي اربع خشابات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجل من العدوة الاخرى ويركب عليها الناس وتجار الدواب سباحة وكذلك فعلنا » . (راجع حول كلمة معدية (كاترمير ـ

تاريخ السلاطين المماليك – ج 2 – ق 1 – ص 156) . وبعد ذلك (ص 274) : « لها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة عليه » . (راجع ايضا ابن بطوطة – ص 270 حول كلمة الاخشاب) .

3 – الى عارضة . اذ يترجم بيدرو دى الكالا (مفردات اسبانية عربية) خشبة (وجمعها اخشاب) بكلمات فيكابارا ايديفيسيو Viga para edificio . فنحن نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ص 477) : انتهب الزاهرة حتى قلعت الأبواب والأخشاب .

4 – الى شجرة العصر . راجع الكالا حول كلمات: فيكا دى لاكار : « Viga de lagar » .

5 – الى خشبة الصلب – الى الصليب . فنحن نقرأ فى تاريخ مصر للمقري . مخ دى غوتا – ص 528: « ويبلغ من سرقته انه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد امر بصلبه على ممر اهل البادية لينظروا اليه . فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته».

وفى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 1 – ص 202) : « نصب للنصراني خشبة واوقفه تحتها . وجاء المشاعلي رمى فى رقبة النصراني الحبل واراد ان يعلقه » .

6 – الى لوحة . فنحن نقرا فى الحماسة (ط فريتاك – ص 365) « والمخرش اسم لما يخرش به خشبة كان او غيرها » . ونقرأ لدى ابن هيجان (راجع الذخيرة لابن بسام – مخ غوتا – ص 4) : « خشبة من القنطرة » . ويقول ابن جبير (الرحالة – مخ 320 – ص 194) فى معرض الحديث عن ميناء مسينا فى صقلية : « ومرساها اعجب مراسي البلاد البحرية لان المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسكه وتنصب منها الى البر خشبة يتصرف عليها والحمال يصعد بحمله وذلك لافراط عمق البحر فيها » .

ويقول ابن بطوطة (مخ – ص 238) واصفا حادثة غرق سفينة – عن امراة : « كانت قد التزمت خشبة فى مؤخر الكنك » . ومن هنا فان كلمة خشب فى صيغة الجمع تعني الواحا تؤخذ بمعنى :

7 – الروافع – كما نرى فى هذا النص لابن بطوطة (مخ – ص 10) : « ولها قنطرة خشب ترسو المراكب عندها . فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة » . (والحديث عن مدينة اشمون الرومان) .

8– تشير كلمة خشبة الى باب . فنحن نقرا لدى ابن بطوطة (ص 262) : « ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب » . ونقرأ لدى ابن هيجان (السالف – ص 4) وهو يتحدث عن قصور فخمة شيدت فى فالنسيا : « واتسع الحدس فى عظيم ذلك الانفاق . فمنهم من قدرت نفقته على منزلة مائة الف دينار واقل منها وفوقها حسب تناهيهم فى سروها من نضار الخشب » .

9 – واخيرا فان كلمة خشبة تشير كذلك الى غرفة خشبية صغيرة . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ – ص 244) : « ولا سجن عندهم بتلك الجزائر. انما يحتبس ارباب الجرائم فى بيوت خشب هي معدة لامتعة التجار . ويجعل احدهم فى خشبة كما يفعل عندنا بأسارى الروم » .

* يشير الزيق بصورة عامة الى كل حافة وحاشية فى الثياب – وليس الى ما يذهب اليه القاموس فى هذا الشأن فقط .

* لا يذكر القاموس الا كلمتى ابن مقرض . ولكن الكلمة مكتوبة فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 – ص 22) على هذا المنوال : (قرظ). اذ نقرا فيه : «وكان يبعث اليه بعض اصحابه فى الشتاء بفروة قرظ يلبسها » .

* راجع حول كلمة قندس بمعنى حاشية تعليق كاترمير فى كتابه (تعليقات ومقتبسات – ج13 – ص 217) اذ لم يغفل العالم الجليل ان يورد نص المقريزي هذا .

* يقص علينا المؤرخون العرب والفرس – ان الامين بن هرون الرشيد – حين انغمس فى اعمال الفسوق والفجور التي يتهم بها معاصريه من المصريين (وهو اتهام ايده تأييدا تاما الرحالون الاوربيون المعاصرون) البست ام هذا الامير المسماة زبيدة اجمل الجواري لباس الغلمان لتحول بين ابنها وبين سلوكه الشائن الشاذ . ومنذ ذلك الحين اطلق اسم الغلامية فى مقاصير حريم الخلفاء على امثال هؤلاء الجواري .

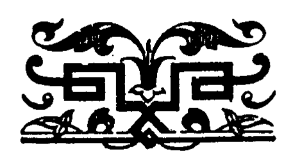
العبـــــروق

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا فى كتاب هوست (اخبار من مراكش وفاس ، ص 119) : « لا يجوز للنساء المتزوجـات اظهار شعورهن ، لذلك فهن يحطنها بخمار من الحرير، اسمه عبروق Abruk تنساب اطرافه على الظهر ، ويسوى من الامام كما يسوى الشد (العمامـــة) » .

ويكتب كرابر دى همسو هذه الكلمة (مرآة جغرافية واحصائية لامبراطورية مراكش ، ص 81) على هـــذه الصورة (عبروق) .

واليكم ما يقوله : « ان نساء مراكـــش يحطـــن رؤوسهن بعصابة او عصابتين من الذهب والفضـــة المخططين وتسمى هذه الزينة بالعبروق ، وتعقد فى العبروق عقدة بارتفاع الرقبة ، اما اطـــراف هـــذه العصائب المتداخلة فى ضفائر الشعر فتتدلى حتـــى الحـــزام » .



اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل الأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد العاشر

الجزء الثالث

يصدرها

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

جامعة الدول العربية :

الرباط (المملكة المغربية)

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمة الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الاعلام « بغداد »

العبــاءة ، العبـــاة ، العبايــة

تشير هذه الكلمة الى نوع ملحفــة قصيــرة ومفتوحة من الجهة الامامية ، وهي لا اكمام لها ولكن تستحدث فيها تقويرات لامرار الذراعين . والعــبــاءة هي الثوب الخاص بالبدو في جميع الاوقات على وجه التقريب . ولنشرع بسورية . يقول داندينى في معرض حديثه عن سكان طرابلس سورية (رحلة من جبــل لبنان ، ص 45 ، 46) : انهم يلبســون فوق الجبــة سترة فوقانية تدعــى سبـــان (Spain او العبا (1) Dandini, voyage du Mont Liban ويسمى (سبان) حين يكون الجوخ من الصــــوف الرقيق ، وحين يكون متقن الصنع ونظيفا كتلــك الاردية المستعملة في ايطاليا . لانهم في ذلك القطر لا يملكون البراعة التى نملكها نحن والعباءة منسوجــة نسيجا اغلظ ، وهي من الصوف المبروم المخطــط الموزع على سطور بيضاء وسوداء . ونحن نقرأ لدى روجيه (الارض المقدسة ، ص 205) Roger, la Terre Sainte « ان الجنود البسطاء او الفلاحين ، من بين البدو ، يلبسون عباءة هـــي رداء مفتوح جهته الامامية مرقطة بالابيــض والاســـود وبالالوان الاخرى » . وبعد ذلك (ص 426) : « ان رجال الدين (المارونيين) لا يرتدون القمصان مطلقا ولا ما يماثلها مما نسميه (القانسون او سراويــلات الرهبان cannessens) ولكنهم يلبسون رداءيــن يسمونهما (عبلا abla) ، ولهما لون داخن ، وهما منسوجان من شعر المعزى ، مع تبع اسود من الصوف الرديء . وينبغي ولا ريب احلال كلمة عبا abba محل كلمة عبلا abla في هذا النص . ويشرح دارفيو الموضوع في كتابــه (رحلــة مــن فلسطين الى الامير الكبير ، ص 208) (2) علــى هذه الصورة D'Arvieux, voyage dans la Palestine vers le Grand Emir وعندهم أيضا عباءات مــن الجوخ الاحمر والاخضر أو من الالوان الاخرى مقصبة بالذهب والفضة من جهة الاكتاف ومطرزة بازهــار والعرى والازرار من الجهة الامامية . وتؤلف هــــذه العباءات بتخييط لفقين من الجوخ بكل ما فيه مــــن سعة ، كما لو كانوا يريدون ان يعملوا منه كيسا ثم يشقون المقدم ليوضع على الاكتاف ، بعد تقويـــر الموضع الذي يدور حول الرقبة ، ويدعون فتحتين في الزوايا لامرار الذراعين وهذا الثوب معمول بصورة خاصة ليلبس لدى ركوب الخيل » . وبعد ذلــــك (ص 210 ، 211) يقول المؤلف نفسه متحدثا عن السيدات لدى البدو ، « ان ثيابهن الداخلية هــــي عباءات من الاطلس او من القطيفة كاردية الرجال ، وهي تصنع أحيانا من الاسلاك الذهبية (الزركش) الدقيقة المحوكة مع خيوط أخرى ، وهكذا تتكون منها الثياب الفوقانية » . وفي موضع آخر (ص 212)

---

1) يجب علي ان اعترف بأنني اجهل كيفية كتابــة هذه الكلمة سواء بالعربية أو بالتركية .

2) ان عبارات دارفيو ونيبور التي نجدها في هذه المقالة ، قد سبق أن أشار اليها كاترمير في كتابــه (تاريخ السلاطين المماليك، ج 1، ق 2 ص 73)

يقول دارفيو فى كلامه عن عوام الرجال : « ان كسوة احدهم هي عباءة من البركان المخطط المرقط بالابيض والاسود » .

وترتدي عوام النساء كذلك عباءة فوق القميص. (المرجع السابق ، ص 213) .

والعباءة التي كان يرتديها الرحالة نفسه كانت « مشغولة من نوع من انواع البركان المرقط بالابيض والاسود ، مع ازهار صغيرة منسوجة من الذهب » . (المصدر السابق ، ص 4) . ويتحدث بركهارت كذلك فى كتابه ملاحظات حول الوهابيين ، ص 27
(Burckhardt, Notices on the Bedouinsand Wahabys
عن الكساء المسمى عباءة ، ويؤكد انها ثوب غليظ مخطط بخيوط بيضاء ودكناء » . ويضيف قائلا : « ان عباءات بغداد هي انفس العباء . — ولكنني لم اشهد قط عباءات سوداء لدى قبيلة عنزة ، ولكنها كثيرة الوجود لدى شيوخ اهل الشمال . وكانت فى بعض الاحيان موشاة بالذهب وقد يصل سعرها حينئذ الى عشرة جنيهات استرلينية » .

ويقول فون ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ص 21) (Von Richter, wallafahrten in Morgenlande متحدثا عن بدو سورية : « تتشابه عباء الجنسين لديهم » . ويعتبر الرحالة العربي الاندلسي ابن جبير (الرحلة ، خ : 32 ، ص 73) العباءات من بين ملابس سكان جيرة العرب على وجه التخصيص. ويترر نيبور فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية ، ص 261) Niebuhr, Beschrijving van Arabie ما يلي : « فى الصقع الغربي من جزيرة العرب لم اجد من يلبس الكساء الفوقاني المسمى عباءة abba اللهم الا التجار اثناء السفر. ولكن فى الصقع الشرقي منها ، لاسيما فى ولاية الاحساء Lachsa تؤلف العباءة اللباس الاعتيادي للرجال والنساء على حد سواء » . واذ يتحدث نيبور عن هذا القطر (ص 322) يصف العباءة على هذه الشاكلة : « ان ما يدعي عباءة هو ثوب فوقاني فضفاض لا اكمام له — ونستطيع تصور هذا اللباس بسهولة باستحداث فتحة فى اعلى كيس حنطة لامرار الراس ، وباحداث فتحتين اخريين على الجانبين لايلاج الذراعين ، واخيرا بشق الكيس من اعلى الى اسفل . ولقد رايت فى الزبير او البصرة القديمة خياطا اعمى يكسب قوته من مهنته ، دون أن يكون قد أبصر النور . اذن فعمل العباءة لا يحتاج الى فن خطير » . وعن هذا اللباس نفسه يتحدث علي بيك فى (الاسفار ، ج 2 ، ص 108) حين يقول : « ان العربي البدوي يرتدي عادة فوق ثوبه كساء فضفاضا لا اكمام له ، وهو مشكل من نسيج من الصوف الغليظ ، أو من الجوخ الرقيق ، وجانبا هذا الكساء متساويان ويكونان عادة مرقطين باللون الادكن مرة وباللون الابيض اخرى ، وكل خط من هذه الخطوط يبلغ عرضه قدما واحدة » . وهذا اللباس شائع الاستعمال فى الاقطار الشرقية . وانني لا اتردد فى حسبان الكساء الذي تحدث عنه راوولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 190)
Rauwolf, Aigentliche beschreibung der Raysz
حين يقول عن البدو الذين اعتقد انهم بنو سعيد : « انهم يرتدون عادة اكسية صغيرة من قماش غليظ ، وهي مفتوحة للغاية من الجهة الامامية ، ومحرومة من الاكمام وطويلة الى حد كبير بحيث تبلغ الركب. وقد لبست هذا الرداء بنفسي اثناء السفر وكان مخططا بخطوط بيضاء وسوداء » . ونحن نقرأ فى كتاب اوليفييه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس . ج 3 ، ص 221) ان رجال اورفه » يرتدون اثناء
Olivier, Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse
السفر عباءات شاملة السواد او ذات خطوط طولية بيضاء وسوداء ، واسعة او ضيقة تشبه كثيرا من ناحية الشكل حلة القداس الخارجية للقسس الكاثوليك» . (وبعد ذلك، ص 222) : «تعمل العباءات من الصوف أو من الصوف وشعر المعزي . والعباءة الساذجة منها تباع بعشرة قروش او باثنى عشر قرشا اسبانيا . اما النوع النفيس فيصل سعر العباءة منه الى خمسين قرشا » . واذ يتحدث بكنكهام (رحلات فى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 343) فانه يسطر الكلمات التالية :
Buckingham (Travels in Mesopotamia)
« ان الناس هنا من أي طبقة كانوا يلبسون العباءة المحوكة من الصوف الثقيل فوق ثيابهم الفوقانية » . ويقول فريزر (رحلات فى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ . ص 86) فى معرض حديثه عن الاكراد:
(Fraser, Travels in Koordistan, Mesopotamia)
« انهم يلبسون فوق ثيابهم جميعها ما يشبه الملحفة وهي العباءة المصنوعة من وبر البعير ذات اللون الابيض أو الاسود أو ذات الخطوط البيضاء والدكناء والسوداء ، وهي مزررة من جهة الصدر وترفرف من الخلف بصورة اخاذة تستحق التصوير » . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 228) يقول الرحالة نفسه عن

عرب بغداد ، البدو منهم والحضر : « انهم يلبسون عباءة او شملة ذات هيئة في منتهى الغرابة . فهذه العباءة واسعة وبغير كمين ، ولكنها مزودة بثقوب لامرار الذراعين ، وهي مصنوعة من الصوف المغزول ومحبوكة حبكا جيدا وفيها خطوط عمودية دكناء وبيضاء ، ولكنها تكون احيانا سوداء وبيضاء . وهذا الكساء هو اللباس الوطني وهو الرداء العربي باستحقاق وجدارة » . ويذكر بكنكهام كذلك في كتابه (رحلات في بلاد ما بين النهرين ، ج 2 ، ص 195) :
« العباءة او الرداء الواسع الصوفي « الذي راى الاعراب البدو يرتدونه في بغداد » . وترتدي النساء البغداديات ايضا هذا الكساء . (فريزر الموجع السابق ، ج 1 ، ص 287) راجع كذلك ج 1 ، ص 340 ، ج 2 ، ص 67 و 76) . ونحن نجد هذا الرداء المسمى عباءة في مصر ايضا ، ولكن على وجه التخصيص لدى بدو هذا القطر . فاننا نقرأ في الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 419) :
(Mille et une Nuits ; éd. Macnaghten)
« فقال البدوي للتاجر : وما يصلح لهذه الكسورة (العاهرة) من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها » . وجاء في كتاب كوبان (درع أوروبا ، ص 325 :
Coppin, Le Bouclier de l'Europe
« اما الاغنياء من البدو فلهم فوق ذلك عباءة تشابه ما ندعوه لدينا كازاك casaque او فيست veste وتكون سوداء » . وورد في هذا الكتاب (يوميات رحلات مونكوني ، ج 1 ، ص 313
Journal des voyages de Monsieur de Monconys
« هجم بدوي على عباءتي ليسلبني اياها » . ونطلع في رحلة بيترو دلا فاله ، ج 1 ص 670)
Pietro Della Valle
« ان البدو يرتدون احيانا فوق قمصانهم رداءا فوقانيا من الصوف الغليظ ، ولا شيء سوى ذلك. وهذا الرداء مشقوق تماما من الجهة الامامية ولا اكمام له . ويسميه العرب العباءة ، وهم يلبسون هذه العباءة ، وخصوصا اولئك الذين يريدون ان يظهروا بمظهر الاناقة والوجاهة وهي مزررة من طرف الصدر على هيئة الفيرايوليو Ferauolo (3) ونساء البدو يرتدين العباء ايضا ، ولكن عباءهن كثيفة وضيقة (المرجع السابق ، ص 739) . ويذكر ستيفنس في كتابه (حوادث السفر في مصر ، الخ ، ج 1 ، ص 225) :
(Stephens, Incidents of Travel in Egypte
« عباءة من وبر الجمل الاسود التي كان يرتديها احد تجار القاهرة . ولكن العباية التي تلبس الآن في مصر لم تعد العباءة القديمة للجزيرة العربية وسورية والجزيرة والعراق العربي ، فقد تلقت كمين . وهي تتدلى حتى القدمين . ومع ذلك فان النسيج المصنوعة منه قد ظل هو نفسه ، وان الرجال الموسرين يلبسون العباءة حين اشتداد البرد ، وحتى ايامنا هذه بقي هذا الكساء يعمل من الصوف الاسود اللون . ويرتدي الفقراء العباءة ايضا اثناء هجوم القر . ولكن القماش المصنوعة منه العباءة اغلظ . واحيانا بدلا ان تكون سوداء تكون مرقطة بخطوط عريضة دكناء وبيضاء او زرقاء وبيضاء ، ولكن هذه الحالة شذوذ في القاعدة الاصلية ، فان الخطوط بصورة عامة تكون دكناء وبيضاء ، كما هي في الاقطار الاخرى . (انظر لين المصريون المحدثون ، ج 1 ، 41 ، 45 ، والصورة اليمنى ، ص 44) . Lane, Modern Egyptians
وكلمة عباءة غير مجهولة في بلاد البربر ، فهي تشير الى بر كان غليظ ثقيل . (راجع القبطان ليون . رحلات الى افريقيا الشمالية ، ص 39 ،
Le capitaine Lyon, Travels in Northern Africa
وانظر هورنمان ، ص 85 ، في كتابه حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ص 85
Hornemann, tagebuch seiner Reise von Caire nach Murzuck
وسأحلكم ايضا على ملاحظة انطبقة الدراويش في بغداد ترتدي العباءة البيضاء (فريزر ، رحلات في كردستان ، الخ . ج 1 ، ص 302) .
(Fraser, Travels in Koordistan, etc., tome, pag. 302)

المعجر

يبدو ان هذه الكلمة تشير الى نوع من تيجان الراس وعماراته . فنحن نقرأ للفتح بن خاقان (في كتابي : تاريخ بني عباد ، ص 45
(Historia Abbadidarum
« ... ولها بالتداعي تلفع واعتجار »
ومعنى الجملة ان تلك البنايات قد تلفعت بانقاضها تلفعا تاما ، كما تتلفع المراة من قدميها الى راسها بعباءتها وعمارتها » .

---

3) كساء يستعمل في نابولي . (راجع كلمة فرجية)

العـــــرقيـــــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير في مصر كما يرى لين (المصريـــون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) الى نفس الشيء الــذي تشير اليه كلمة طاقية ، اي تدل على كلوتة من القطن تمس الراس مسا مباشرا . وهي توضــع تحــت الطربوش الذي يلف بعد ذلك بالعمامة . وعلى هــذه الصورة تتشكل العمامة . ويرى بركهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين ، ص 27) ان كلمة عرقيـــة (ويكتبها هذا الرحال اركيه arkye) تشيــر في سورية الى ما تشير اليه الكلوتة . ويرى كانيـــس (النحو ، ص 12) ان كلمة عرقية تشير الى طاقية صغيرة من الكتان (birreta de lienzo) . ولكن هذه الكلمة كانت تشير في العصور الاقدم في سورية الى نوع آخر من تيجان الراس مختلف كل الاختلاف . فنحن نقرا في كتاب روجيه (الارض المقدسة ، ص 257) : « انها لابسة في راسها تاج اسقف (قلنسوة ، برطلا) من الفضة يسمونه عرقية ، وهو مصنوع على هيئة قالب سكر » . وفي موضع آخر (ص 204) : « ان عرائس الامراء البدو يضعن على رؤوسهن تاجا من الفضة معمولا على هيئة قالب سكر ، وهن يحطنه بخمار حريري اسود مطرز باللآليء ومرصع بالاحجار الكريمـــة » .

المعـــــرقـــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير ، حسب تقرير بركهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين ، ص 27) الى شبه كاوتـــة يلبسها البدو ، وهي نفس العرقية السورية ، ولكــن المعرقة nearaka (هكذا يكتبها بركهـــارت) معمولة من وبر الجمل . ويقول فريزر كذلك (رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهريــن الــخ ، ج 1 ، ص 328) ان معظم عرب بغداد يلبسون تحت الكوفية كلوتة تشبه شعرية غالية (a welsh wig) perruque gauloise (4) مشغولة من وبر البعير (5)

العـــــري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير ، حسب راي لين الى (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 44) «الى قميص طويل واسع ، او تدل على ثــوب مــن الكتــان الازرق او مــن القطن من نفس اللون ، وهو مفتوح من العنق الى الحزام وله كمان كبيران » . ويلبس فقراء الناس هذا الثوب . ولابد ان كلمات ويتمان Wittman في كتابــه « اسفار في تركيا الآسيوية وسورية ومصــر ، ص 373) تشير الى هذا اللباس وتنطبق عليه ، اذ يقول: « ينحصر لباس الرجال المنسوبين الى الطبقة الدنيا من العرب في قميص من القطن الازرق » . وكذلــك كلمات تيرنر Turner في كتابه « يوميات سفرة في المشرق .

« Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt, page 373 »

فهو يقول : « يلبس عوام الرجال عمامـــة وقميصا من القطن الازرق ، وهو الزي الكامل للشعب الذي لا يرتدي تبانا ولا سروالا ولا حذاء ولا جوربا ». وترتدي نساء مصر كذلك هذا النوع من الدراريع ، ولكن دراريعهن ليست لها سعة ونضفضة اخواتهــا التي يرتديها الرجال ، وهي تتدلى حتى الاقدام : اما دراريع الرجال ، فهي على نقيض ذلك ، اذ لا تصل الا الى منتصف السيقان (لين ، المصدر القيم السالف ص 44 مع الصورة ، ص 63 ، 64 ، مع الشكل ، تيرنر ، المصدر النفيس السابق ، ص 396) .

وانني اجهل الزمان الذي دخلت خلاله كلمة عرى في اللغة العربية واستعملت في مصر ، ولكن اللباس الذي يحمل اليوم هذا الاسم كان شائع الاستعمــال منذ عدة قرون . ففي حكاية شويكر Schweigger (الكتاب الجديد للاسفار من المانيا الى القسطنطينية واورشليم ، ص 288)

وهو الرحالة الاوروبي الذي زار مصر عــام 1577 ، نقرا : « لا يرتدي المصريون — رجـــالا ونساء — الا قميصا ابيض او زرق ، له كمان واسعان يبلغ عرضهما ذراعين تقريبا ، شانهم شان العرب

---

4) يقال شعرية وجمة وشعر اصطناعي او شعر معار مقابل كلمة perruque الفرنسية . وكلمـــة gauloise صفة لهــذه الجمة . وبلاد الغــال ، كما لا يخفى ، هي فرنسا . فكلمة غالي : فرنسي ، وغالية : فرنسية (المترجم) .

5) هذه المعرقة الوبرية تسمى في الموصل طاكية (المترجم) .

البداة » . انظر الشكل (A) الفلاح المصري ، والشكل (B) ابن الشعب . اما عن دراعة المراة فانظر ص 272 مع الشكل . (ونقرأ فى قصة وايلد Wild كتاب (وصف جديد لرحلة اسير مسيحي ، ص 204) .

راجع حول بدو مصر الازرق : جاك فورمبسر Jacques Wormbser فى كتابه (وصف قيام برحلة ذابا وايابا و ص 223

وكذلك جان هيلفريش Jean Hellfrich فى كتابه : « تقرير مختصر واقعي عن رجلات ، ص 379 و 387 و 397)

وكوبان Coppin فى كتابه (درع اوروبا ، ص 324 و 325).

وفاله ، فى كتابه (رحلة ، ص 818 و 739 ، ج 1 (Viaggi)

العصبة ، العصابة (6)

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 128) كلمة عصابة بالعمامة . ومن الممكن ان هذه الكلمة كانت تعني فى العهود الغابرة شبه عمامة مقارنة مع فريتاك ، الامثال العربية ، ج 1 ، ص 333) ، ولكن فى ايامنا هذه لم تعد الحالة قائمة . ويقرر لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 67) ، « ان العصبة تشير الى طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون ، لها حاشية حمراء وصفراء ، وهي تبطن بصورة منحرفة ، ثم يلف بهذا الراس ، وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة منها » .

وهذه العمرة لا ترتدي هذا اليوم الا من قبل النساء وحدهن . فنحن نقرأ فى كتاب ابن اياس (تاريخ مصر مخ 367 ، ص 398 ، حوادث سنة 840) : وكانت الغاسلة اذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة فى ايزار حتى يعلم انها غاسلة » . لان السلطان كان قد حرم على النساء الخروج من بيوتهن » ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 369 (: على رؤوسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجوهر (7) . وفى موضع آخر (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 101) : « تعصبت امه بعصائب الحزن » . واخيرا نقع فى نص آخر ، سبق لفريتاك ان ذكره ، فى حديث عن عصبة هائلة ، ومعنى ذلك ، فى ملتي واعتقادي ، ان الموضوع هو موضوع عصبة يتدلى طرفاها من جانب واحد (ط هابيخت ، ج 2 ، ص 146 ، او ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 208 ، ترجمة لين ، ج 1 ، ص 338)

والكلمة مكتوبة فى كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 119) على هذه الصورة : عزابة Azéba : وهي فى مراكش تشير الى شبه عمرة راس مزينة باللآلىء وقطع النقود الذهبية من صنف الدوكات . وقد فرغنا منذ برهة من معرفة ان هذا

---

6) لقد توهم فريتاك فى كتابة الكلمة عصبة ، وان شهادة صريحة قاطعة من رجل مثل لين لا تدع مجالا للشك بأن كلمة عصبة هي الصحيحة النطق .
اما كلمة عصابة وجمعها عصائب فتشير كذلك الى الراية (راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك، ج 1 ، ق 1 ص 135 ، 182 ، 227 ، 228).وبعد ذلك (ص 250) يقول المستشرق الجليل بكل ما طبع عليه من صراحة ، انه اخطأ فى ترجمة عصابة الى (بيرق Drapeau) راية ، فى نصين للمقريزي ، فى موضوع النساء . ويجب علي بدوري ان احملكم على ملاحظة ان سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 2 ص 268) قد اخطأ فى ترجمته لاحد نصوص السيوطي كلمتي العصائب السلطانية بالطرابيش الملكية ، فينبغي احلال الرايات الملكية فى هذا المحل .
وحين كانت ترد كلمة طاقية فى احد نصوص المقريزي ، والمراد بها عصابة الطاقية ، كنت اترجم العصابة بسنام الطاقية ، وقد اردت بذلك ان ادلل بهذه الكلمة على الجزء العالي من التاج . وهكذا سرت فى الترجمة على هذا المنوال ، لانني كنت قرات فى نص من كتاب للبلاغة والفصاحة لابن الأثير، المثل السائر ... المترجم) وقد ذكره كاترمير (كتابه القيم ، ص 250) عصائب كامثال الأسنمة ، فاعتقدت من باب التوسع ان بوسعنا خلع اسم عصابة على اشياء اخرى مماثلة ، من ناحية الشكل، سنام البعير .

7) راجع حول كلمة فص تعليقه لكاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 2 ، ق 1 ، ص 270 وما تلاها) . وفى كتاب تاريخ اليمن ، لدى روجرز ، يدور البحث عن خنجر مفصص .

الترف كان موجودا كذلك فى مصر . وتلبس العصبة فوق العبروق .

ويكتبها كرابر فى كتابه (المـرآة ، ص 81) : Azzaba

ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ص 17) فى معرض حديثه عن (البجاة) فى مدينة عيذاب : « وهم سود الالوان يلتحفون ملاحف صفر ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة منها اصبعا » . وبعد ذلك (ص 258) يقول الرحالة نفسه ، وهو يتحدث عن الجزيرة المسماة البرهنكار، القريبة من جاوه : « واتى الينا سلطانهم راكبا على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود المعز ، وقد جعل الوبر الى خارج ، وفوق راسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات ، وفى يده حربة من القصب » .

العصـــــا

يذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1917) الى ان العصا هي الخمار للمراة . ولكن يتحتم على هذه الكلمة أن تشير الى ضرب من الخمار على هيئة شبكة يشبكها البدو على الاكتاف ، ذلـك لاننـا نقـرأ فى (مقتطفات من قصة عنترة : ص 24) .

« لبس حوائج (8) خليقات مختلفـات وشبـك العصا على اكتافه » .

المعقـــب

تشير هذه الكلمة الى تشير اليه الكلمة السالفة اي انها تعنى خمار امراة (القاموس ؛ ط كلكتا ، ص 130) .

العقـال

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرأ فى احد كتب بركهارت، (ملاحظـات على البدو الوهابيين ، ص 27) : « ان أبناء عنزة ، يحيطون عمرتهم المسماة كوفية بحبل مصنوع مـن وبر البعير ويدعى بالعقال ـــ بدلا من العمامة . ويقول فريزر كذلك فى (اسفار فى كردستان وبلاد مـا بـين النهرين الخ ، ج 1 ص 228) بعد ان تحدث عـن كوفية عرب بغداد : « انهم يشدون ، حول قمـة الراس المغطاة بهذه الصورة ، شبه وسيدة مصنوعة من وبر البعير البني اللون (A wisp of brown camels hair) المبروم جزئيا » .

(قارن بهذا الكلام كذلـك الجـزء الاول ، الصفحة 340) .

العقم ، العقم ، العقمة ، العقمة

تشير هذه الكلمات ـــ حسب مذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1666) الى المرط الاحمـر ، او بالاحرى تدل على كل ثوب احمر (المرط الاحمر او كل ثوب احمر) . راجع كلمة مرط .

الملقـــة

اننا نقرأ فى القاموس (ط كلكتا ، ص 1316) ان العلقة هي : « اول ثوب يتخذ للصبي » . اذن فهي قميص ، ذلك لان اطفال البدو لا يرتدون الا قميصـا حين لا يكونون عراة كل العرى ، وهذا ما يحدث فى كثير من الاحيان ، ويجزم ملشيور جزما قاطعا فى كتابه (وصف دقيق للحج ، ص 261) فيقول ، « لا يلبس صبيان البدو ، البالغون من العمر خمس او ســت سنوات سوى القمصان ، وعلى رؤوسهم الطرطور » . ويقول راوولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 155) :

« لا يرتدي ابن الامير البدوي البالغ من العمر سنتين الا قميصا صغيرا من القطن » .

ونحن نقرأ فى قصة وابلد (قصة جديدة لرحلة أسير مسيحي ، ص 220) « ان بعض صبيان البدو عراة وبعضهم يلبسون القمص » .

ونجد فى قصة تيرنر (مذكرات جولة فى المشرق، ج 2 ، ص 480) : « ان اطفال البدو عراة فى معظم الحالات ، فاذا لم يكونوا عراة فملابسهم القمصـان

---

8) لكلمة حوائج هذا المعنى غالبا فى كتاب الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ مثلا فى هذا السفر (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 178) : امر بشيل الحوائج . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 192) : نظر عمامتـه وحوائجه . ويترجم مويت Mouette فى نهاية كتابه « تاريخ غزوات مولاي .... كلمة Vestement بكلمة Lenhaoiche الحوائج

القطنية الغليظة البيضاء او الزرقاء اللون — فقط » ويضيف القاموس — (او قميص بلا كمين) . (او ثوب يجاب ولا يخاط جانباه تلبسه الجارية . وهو الـ ـــي الحجزة . او الثوب النفيس » .

العمـــامـــة

لهذه الكلمة مدلولان ، المدلول الاول يشير الى العمامة بقضها وقضيضها : اي الكلوتة ، او الكلوتات، مع قطعة القماش الملونة حولها (وهذه العمامة بتمامها تدعى كذلك عمة (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108 . ابن سعيد ، المذكور لدى فريتاك) ، (طرائف عربية وقواعد وتاريخ ، ص 147) . (9) .

والمدلول الثاني يعين قطعة القماش وحدها ، وهي التي تلف عدة لفات حول الطاقية (الكلوتة) او الطاقيات ، الطراقي . ولو شئنا جمع التفاصيل المتيسرة حول العمامة لملأت سفرا باكمله . لذلك سنقتصر هنا على ايراد المعلومات الرئيسية ، موجهين نظر القارىء الراغب بالمزيد من التفصيلات الواسعة الى البحث النفيس الذي كتبه فيكسيه في كتابه (رحلة الى الشرق وما تلا ، ص 183) فهو بلا منازع خير من كتب عن العمامة . ولكننا سنحرص كل الحرص في هذا المقال على الالماع الى استعمال العمامة .

العمامة في العادة بيضاء اللون ، معمولة من الشاش الموصلي . ولكنها تعمل كذلك من اقمشة اخرى ومن الوان متفرقة . فهي تؤلف مثلا من الحرير الأسود المرصع بالذهب ، او من الكشمير ، او من الصوف الاحمر او الابيض ، الخ .

وكان سعيد بن العاص بن امية يتميز بين العرب القدامى بجمال عمامته (الميداني ، الامثال العربية ، ج 1 ، ص 333) ، (النويري ، نهاية الارب . مخ 273 ، ص 137) . وكان الرسول يعتم بعمامة كانت معروفة باسم السحاب (le nuage) وقد اورثها او تنازل عنها لعلي (عيون الأثر ، مخ 340 ، ص 189). ولعل ابن جبير في كلامه عن (عمامة شرب رقيق سحابي اللون قد علا كعبتها على راسه كأنها سحابة مركومة وهي مصنحة بالذهب) قد اشار الى هذه العمامة البيضاء للرسول . (الرحلة ، مخ 320 ، ص 83) . وذلك اثناء حديثه عن امير مكة .

وكانت العمامة في الاندلس والمغرب لا تلبس الا في الحالات النادرة . (ابن سعيد ، النص السابق) ومما لا ريب فيه ان الجيش لم يتخذ هذا الاكليل ، ذلك لاننا نقرأ لدى النويري (تاريخ الاندلس ، مخ 2 ص 474) : « ثم عزم على الغزاة وتقدم اليه هشام ان يتعمم هو وسائر الجند . ففعل وعقد الويته وخرجوا في العمائم . وكانوا بها في اقبح زي لمخالفة العادة »

وكان الفقهاء في الاندلس يلبسون العمامة بصورة عامـــــــة .

وفضلا عن ذلك فان عمامة القضاة اضخم كثيرا من عمامة العرب الآخرين ، ومن هذا الوضع كان يسمى واحدهم (بالمتعمم او المعتم او صاحب عمامة او رب العمامة) (10) . راجع حول هذا الموضوع ملاحظة ممتعة للغاية لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج ، ق 1 ، ص 245 ، 246) .

ويحرص جميع المسلمين ، ولا سيما رجال الشريعة منهم ، على حصر شرفهم في عمائمهم . وعادة اسبال طرف من قطعة القماش عريقة في التاريخ . وما تزال موجودة في ايامنا هذه . وهذا الطرف يحمل اسم عذبة او ذؤابة (11) ، وهو امر شائع الى حد ان

---

9) ان سليفستر دي ساسي ، في حديثه في صحيفة العلماء عن كتاب فريتاك ، يرى وجوب احلال كلمة عمامة محل كلمة عمة في هذا النص. ولكن كلمة عمة موجودة في مخطوطة دي غويا (ص 45) ، وهي صحيحة على العموم ، ومؤيدة بشهادة دي شابرول.

10) ان عادة رجال الشريعة بالتميز باكليل ضخم او عال موجودة في الغرب . فانني اطالع في مخطوطة هولندية من مخطوطات مكتبة هامبورك ، وهي تعالج لعبة الشطرنج ، ومسجلة برقم 49 وصفحة 47 ، ما يلي : « تقرر ان يتألف مجلس الملك من رجلين من الشيوخ ، يلبس كل منهما قبعة عالية»

11) لا وجود لكلمة ذوابة بهذا المعنى في القاموس. ولكن المقري او بالاحرى ابن سعيد (لدى فريتاك ، طرائف عربية نحوية تاريخية ، ص 148) والسيوطي (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 267) يستعملونها بهذا المعنى . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 138) : « اتى شيخ على راسه عمامة لها ذوابة عليه ثياب بيض وعمامته كبيرة لها ذوابة وهي مائلة الى جانب » .

الشعراء استعمل تعبير (كل ميال عمامة) : اي كل عربي . (راجع بيت هذا الشاعر في (طرائف عربية ، كوزكارتن ، ص 76) . (والعمامة البغدادية) كان لها عذبتان . (راجع كاترمير ، كتابه النفيس ، ج 1 ، ق 1 ، ص 133) .

ويلبس الشرفاء واحفاد الرسول في يومنا هذا العمامة الخضراء . وكانوا قديما يعلقون قطعة خضراء من القماش في العمامة ، وفي عام 773 امر سلطان مصر وسورية ، الملك الاشرف شعبان ، هؤلاء بربط قطعة من القماش خضراء بعمائمهم . (ابن حبيب ، درة الاسلاك ، مخ 425 ، ص 578 ، 579 ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 346).

وتصر مختلف الاشياء في العمامة ، والشرقيون يستعملونها استعمالهم لجيوبهم . فنحن نقرا في كتاب ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 429) : « تغير خاطر السلطان على القاضي عبد الباسط ونقله من المكان الذي كان بالحوش الى برج من ابراج القلعة . فلما استقر به دخل عليه الوالي وقال له : « ان السلطان رسم بنزع ثيابك فعراه ثياب بدنه حتى اخذ عمامته من على راسه وتركه وهو عريان ودخل باثوابه بين يدي السلطان. وكان قد وشي به عند السلطان ان معه شيئا من السحر . فلما فتشوا عمامته وجدوا فيها قطعة من اديم ووجدوا اوراقا فيها ادعية جليلة وخواتم فضة لا غير . فبعث السلطان يساله عن تلك القطعة الاديم ما هي . فقال : « هذه من نعل النبي صلى الله عليه وسلم . فباسها السلطان ووضعها على عينيه واعاد اليه ثيابه ونقله الى المكان الذي كان به اولا » .

ونجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 313) : « فاخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته » . وكثيرا ما توضع حافظة النقود في العمامة ، ولهذه العلة يحرص اللصوص في الشرق على اختطاف عمائم السابلة فوق كل حرص . راجع كتاب الف ليلة ، مكناكتن ، ج 1 ص 201 ، وتعليق لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص ، 420).

ولما كانت عمامة تشير الى قطعة من القماش فارعة الطول يلفها المتعممون حول الراس ، فلن يبدو امرا مستغربا ان تستعمل العمامة .

1 — لتكتيف سجين او اسير . فنحن نقرا في (قصة من قتله الشجن ، لدى كوزكارتن ، طرائف عربية ، ص 69) : « ربط السجين بعمامته » . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 190) : « اهدموه وكتفوه بعمامته وجروه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له » .

2 — لشد الانسان نفسه فوق شيئي توقيا من السقوط ، او لغرض آخر . فنحن نقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : « فكنت اشد بعمامة نفسي فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف .

3 — لخنق الانسان نفسه او لخنق سواه . فنحن نجد في رحلة ابن بطوطة (مخ ، ص 157) : « فدخل الى بيته وربط عمامته بسقف البيت واراد ان يخنق نفسه » . وفي كتاب القرطاس (مخ 17 ، ص 99) : « فجعلوا عمامته في عنقه وشنقوه بها » . ونقرا في في الكتاب المعنون (حكاية اقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص 4) : « ان احد الانارقة يعتقد انه لا سبيل الى قهره عندما يكون معتما بالعمامة ، ولكن هذه العمامة تكون احيانا مصدر شؤم له . فالحقيقة ان الانسان يستطيع ان يخنق بطرف عمامة من هذه العمائم التي تحيط بعنق الضحية باقل من الوقت الذي يستغرقه سحب الحبل المشؤوم لخنقها بالحبل الذي يرسله اليها الباشا » . واعتقد ان تعبير (عمامته في عنقه) نجم من استعمال العمامة في كثير من الاحيان لخنق احد الرجال (المقريزي) ، لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ، ص 31 من النص). وهذا يعني : ان الرجل دان وخضع واطاع . ذلك لانني ارى ان الناس كانوا يعبرون بلبس العمامة حول العنق عن اعترافهم للسلطان بالسلطة المطلقة بالتصرف في محياهم ومماتهم . راجع في موضع آخر كلمة منديل . واستعانة بهذه التفصيلات سيكون بوسعنا ان ندرك بسهولة ، حسب عقيدتي ، نصوص المؤلفين العرب ، التي لا تستعمل العمامة استعمالها الاعتيادي . وبوسعي كذلك ان اضيف اننا نقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ ، ص 238) : « وجعلوا العمائم في اعناق خيلهم » . وهي عادة اهل الهند اذا ارادوا الموت .

ويجب الحذر من التفكير بسبق استعمال النساء للعمامة . فان هذا الاكليل خاص بالرجال وحدهم ، وفي الشرق ينحت شكل عمامة على شاهدة القبر ، في حالة ضم هذا الجدث رفات شخص من جنس الذكور . وبهذه الوسيلة يمكننا بسهولة تمييز قبور الرجال من قبور النساء ، ذلك لان اضرحة النساء

ينحت لها اكليل امراة . (راجع كوبان ، درع اوروبا ، ص 284) وانظر كذلك (حكاية اقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص 37) .

المعـــرونـــــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن يبدو انها تشير الى نوع اكليــل كانـــت تستعمله نساء الاندلس . ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) هـــذه العبـــارة Velo o toca de muger بكلمـــة عمرونـــة وجمعها عمارن . وتوجد كلمات Toca de muger عمرونة امراة مفسرة على نفس الشاكلة — ونحـــن نقرا حول كلمة Xativa toca de alli « Xativa » . عمرونة شطيبية .

الغطـــايــــة (12)

تشير هـــذه الكلمة الـــى الكلمة الفرنسيـــــة Une tournure لا تورنير — وهي الغلالـــــة . (القاموس) .

الغفـــــارة

يبدو ان هذه الكلمة كانت تشير قديما الى نوع طاقية من طواقي المراة . ويقول الواحدي في (شرح ديوان المتنبي — مخ 542 — ص 33) مفسرا هـــذا البيت (البسيط) :

نعـــج محاجـــره دعـــج نواظـــره
حمر غفائـــره ســـود غدائـــره

« الغفائر جمع غفارة وهي خرقة تكون علـــى راس المراة توقى بها الخمار من الدهن . وقد تكون اسما للمقنعة التي تغطي بها الراس — وان جعلنـــا الغفائر المقانع فانما جعلها حمرا لانهن شواب . كمـــا قال حمر « الحلى والمطايا والجلابيب » . وانما جعلنا الخرق فهي حمر لكثرة استعمالهن الطيب من المسك والزعفران » . (راجع مدخل كتابي هذا — ص 7) — ويقول الشاعر كذلك — في معرض حديثه عـــن الغيد الاماليد :

من الجـــاذر في زي الاعاريـــــب
حمر الحلى والمطايا والجلاليـــب ؟

ولكن على النقيض من ذلك اذا عنينا بكلمة غفائر قطع قماش فينبغي افتراض ان الشاعر يصور لنـــا هذه الجآذر حمراوات لان النساء اللواتي يتحـــدث عنهن يفرطن في استعمال العطور كالمسك والزعفران»

واعتقد ان الواحدي يأخذ كلمة مقنعة بمعنـــى الطرحة التي توضع على راس او العصبة او المنديل. وكانت هذه المقنعة نوعا من الاكليل اوسع من قطعة القماش او الخرقة التي يتحدث عنها ايضا . وهـــــذا المعنى الاخير هو الذي تبناه ابن جنى في شرحه لقول المتنبـــــي (مخ 126 — ص 103) — ويضيف هـــذا الشارح قائلا : « وقوله : حمر غفائره — يشير الى انهن شواب لان الحمر من لباس الشواب او يريد به انهن ملطخا (كذا) بالطيب (13) ولكن هذه الكلمـــة كانت تشير كذلك في الاندلس الى طاقية — كلوتة — يلبسها الرجال — وذلك ما ينبغي اضافته الىالقاموس وان المقري او بالاحرى ابن سعيد (لدى فريتاك — طرائف عربية نحوية تاريخية — ص 147 — 148 ، بعـــد ان سبـــق له ان قـــال ان عـــرب الاندلـــس لم يكونوا يلبسون عادة العمامة — وان هذا الاكليل كان بصورة خاصة نادر الاستعمال في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة — يضيف الى ذلك قائلا — بعد ان تحدث عن الطيلسان : « وغفائر الصوف كثيرا مـــا يلبسونها حمرا وخضرا . والصفر مخصوصة باليهود وعلى ذلك فان المراكشي (المعجب — مخ ليدن — وهذا النصرقد نشر بعناية مونك في الصحيفة الآسيوية — س 3 — ج 14 — ص 40 — تموز 1842) يقول — في معرض حديثه عن اليهود — انهم كانوا يلبسون « بدلا من العمائم كلوتات على اشنع صورة كانهـــا البراديع تبلغ الى تحت آذانهم » .

واعتقد ان هذا النص لا يدع مجالا للشك في انكلمة غفارة تعني لدى ابن سعيد كلوتة بالذات — وافترض ان الاندلسيين قد خلعوا كلمة غفارة على الطاقية التي يسمونها هذا اليوم في المغرب شاشية . والشاشية ايضا مصنوعة من الصوف الاحمر — وتلبس عادة بدون عمامة .

وتوجد كلمة غفارة بمعنى كلوتة في النـــــص التالي لابن بسام (الذخيرة — مخ دي غوتـــا — ر 266 — ص 6) حيث نقرا : « ولابن طاهر عـــدة

---

12) الغطاية ما تغطت به المراة من حشو الثيـــاب تحت ثيابها — كالغلالة ونحوها (المعجم الوسيط) .
13) اعتقد وجوب قول ملطخات او متلطخات . اذ يقول ابن بطوطة (ص 241) ويتلطخون بالغاليـــة المجلوبة من مقدشو . وفي موضع آخر (ص 246) تلطخوا بالصندل .

نوادر احر من الجمر وادمع من الصخر . ارسل اليـه ابن عمار وقت القبض عليه ــ وهو معتقل بين يديه ــ يعرض له خلعة يتسربلها ــ ويشير اليه بكرامة هل يقبلها . فقال لرسوله : « لا اختار من خلعه اعزه الله الا فروة طويلة وغفارة جبيلة ــ فعرفها ابن عمـار واعترف بها على رؤوس اشهاده وبحضرة من وجوه قواده واجناده » . قال : « نعم انما يعرض بزيي يوم تصدته وبهيئتي حين انشدته ــ فسبحان من يعطي ويمنع ويرفع من يشاء ويضع » .

بغية ادراك هذا النص ــ ينبغي علينا ان نعلم ان الشاعر الاندلسي المشهور ابن عمار قد ولد من ابوين مغمورين ــ وانه تحت غائلة الفقر والادقاع طاف الاندلس بأسرها فى مطلع شبابه ــ منشـــدا اشعاره على الكبراء والامراء . وبعد ان تألق نجمه حتى وصل الى منصب الوزارة بفضل حاميه المعتمد ملك اشبيلية ــ شن الحرب ــ بامر هذا الامير ــ على ابن طاهر ــ ملك مرسيه فقهره ووضعه فى السجن . وان النص الذي فرغت من ايراده يكمـل ما اردت افهامكم اياه .

ونقرأ لابن حيان (لدى ابن بسام ــ الذخيرة ــ مخ دي غوتا ــ ص 232) : « ومما وقع التعجـب منهم انه اخذ من البياض المقتولين من اهل طليطلة فى تلك الوتعة الف غفارة من لبوس اهل الرفاهية ايام المباهاة » ويقول مثل هذا ابن بسام (لدى المقريزي ــ تاريخ الاندلس ــ مخ دى غوتا ــ ص 618) : وكان من جملة ما غنمه الفرنج من اهلها لما خرجـوا اليهم فى ثياب الترفه الف غفارة .

ونستخلص من هذه النصوص ان محاربـي طليطلة لم يشكوا قط فى ان النصر سيكون حليفهم ــ لذلك ارتدوا اجمل ثيابهم واعتمروا بأجمل غفائرهم ــ بدلا من ستر رؤوسـهم بالاقنعة .

وفى المغرب ايضا كانت تشير كلمة غفـارة فى القديم الى الكلوتة التي توضع تحت العمامة ــ ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين المعنون بالحلل الموشية (مخ 24 ــ ص 9) يعد من بين الهدايـا المهداة من قبل الامير يوسف بن تاشفين الى عمـه أبي بكر بن عمر مائة عمامة مقصورة واربعمائة مـن السوسي ومائة غفارة (14) .

الغفارة وجمعها الغفافيـر

لاجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن فى قائمة الاسماء العربية التي انشأهـا بريتنباك Breitenbach فى كتابه (وصف رحلة وزيارة ــ ص 115
(Beschreibung der Reyse und Wallfahrt, fol. 115 vo
وهو الرحالة الذي زار الشرق فى عام 1483 ــ فسر كلمة غفارة Goffara بكلمة Mantel (Manteau) كساء . والواقع اننا نقرأ فى تاريخ النويري (تاريخ مصر ــ مخ 22 ــ ص 161) . لم يبق احد الا ناله منه مكروه من الضرب والنهب (15) واخذ المـال وارتفع شأنه عند الآمر باحكام الله الى ان كان يستعمل له ملابس مخصوصة به بدمياط وتنيس (16) مـن الصوف الابيض المنسوج بالذهب . فكان يلبسهـا ويلبس من فوقها الغفافير الديباج .

ويقص علينا النويري فى موضع آخر (مخ ــ 2 ــ ص 96 مخ 2 ــ ص 188) قصة اسر وحبـس القديس لويس الذي يسميه المؤرخ ــ ملك الفرنـج

---

14) ان سوس Sous او سوسه Sousah ــ اسم مدينة واقعة على ساحل البحر ــ فى ولاية تونس . وفى هذه الولاية تصنع حسب قـول الادريسي (الجغرافية ــ ج 1 ــ ص 297) بعض العمائم التي اطلق عليها اسم عمائم سوسه ويؤكد البكري فى كتاب (ملاحظات ومقتبسات ــ ج 7 ــ ص 488) وليون الافريقي (لدى راموسيو ــ الابحار والارتحال ــ ج 1 ص 28) ان شطرا مـن سكان سوسه هم حاكة ونساجون ــ ويخبرنا شو فى كتابه (الرحلات ــ ج 1 ــ ص 173 . . . الخ . .) وقوع السوق الرئيسية للملكة فى هذه المدينة ــ وهي السوق المختصة بصناعة الكتان .

15) ان كلمة نهب ولا وجود لها فى القاموس . ومع ذلك فهي شائعة الورود . راجع دي ساسي طرائف عربية ــ ج 1 ــ ص 37 من النص . وانظر كذلك كوزكارتـن ــ طرائـف عربيـة ــ ص 80 ــ والمراكشي ــ المعجب ــ مخ 546 ــ ص 136.

16) كانت تنيس من اغنى المدن المزدهـرة بمصانعها فى مصر . (راجع كاترمير ــ مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر ــ ج 1 ــ ص 308 ــ 330) وهذه المدينة الكبيرة التي كانت تبلة اعجاب الشرق والغرب لم يبق فى ربوعها ديار هذا اليوم !

ريدا فرانس (ملك فرنسا باللغتين الفرنسية والايطالية (17) .

Le roi des Francs, re da Francia

ويضيف الى ذلك قائلا ان السلطان حين كتب الى حاكم دمشق (بعث مع الكتاب غفارة ريدا فرانس الى الامير جمال الدين فلبسها وهي اسقلاط écarlate احمر تحته سنجاب وفيها شكل بكلة ذهب (18) .

ويبدو ان مؤرخين عرب آخرين — لم نعثر على كتبهم فى مكتبة ليدن — يستعملون نفس الكلمة بهذا الصدد . واننى لا اجهل ان كاردون Cardonne فى نشره لكتاب جوانفيل Joinville — حياة القديس لويس Vie de Saint Louis قد ترجم الكلمة بكلمة Bonnet طاقية الواردة فى نصوص المقريزي (ص 542) وابي المحاسن (ص 549) والاسحاقي (ص 555) — ولكن اذا كانت مخطوطات هؤلاء المؤلفين تذكر كذلك كلمة غفارة — فهي ليست غفارة — كما يحتمل ان يكون قد توهمها كاردون — ولكن غفارة وهذا ما يبرهن عليه كل البرهنة وزن قصيدة أوردها النويري (كتابه القيم) التي مطلعها .

(الخفيف) ان غفارة الفرنس التي (الابيات)

ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا — ص 240 — مج 2) ان الغفارة Gaffara او الغفارة Goffara هي ثوب واسع — معمول من الجوخ الماون وهو مزرر بازرار من ناحية الكتفين .

الغلالة

يرى القاموس ان هذه الكلمة تشير الى ما نسميه الغطاية une tournure ولكن يبدو انها تعنى كذلك نوع ثوب للمراة . فاننا نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 3 — ص 161) ان امراة البست عشاقها ثياب بنات جنسها — وتواصل القصة سيرها على هذا المنوال : فقالت له : « يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على راسك حتى نحضر بالمأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك » فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع . (والكلام يجري مع القاضي) . وبعد ذلك بقليل (نفس المرجع) قالت له: «اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة» فخلع ما كان عليه والبسته غلالة زرقاء وطرطورا أحمر . (والكلام هنا دائر مع العاشق الثالث الوزير) .

والنص الرائع التالي موجود فى تاريخ مصر للنويري (مخ — 2 — ص 86 — حوادث سنة 643): بعث الملك الصالح اسماعيل الى الامير الصاحب معين الدين بن الشيخ سجادة وابريقا وعكازا . وقال : « اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك» (19) فبعث اليه الصاحب جنكا (20) وزمرا وغلالة حرير اصفر واحمر. وقال: «اما ما ارسلت به الي فهو يصلح لي . وقد ارسلت بما يصلح لك (21) » .

وهناك بيتان وردا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 1 — ص 167) حول كلمة غلالة — هذا نصهما :

اقبلت فى غلالة زرقاء
لا زوردية كلون السماء
فتاملت فى الغلالة منها
قمر الصيف فى ليالي الشتاء

ويبدو ان الغلالة كانت صفراء على الدوام فى العهود القديمة — ومن هناك استعمال الشعراء تعبير غلالة نور . وهذا التعبير موجود فى المختارات الادبية المعنوية (يتيمة الدهر — مخ 502 — ص 652) . انظر كذلك (تاريخ بني عباد — ص 40 —

17) يبدو ان النويري يعتبر هذه الكلمات الايطالية Re da Francia كأنها الاسم الخاص لملك فرنسا . ويخيل الى ان معظم الشرقيين قد تعلموا اسماء الصليبيين من الايطاليين — ذلك لاننا نجد لديهم جميعا على وجه التقريب النطق الايطالي.

18) المخطوطة ب تذكر مكلة . وانا اعتقد ان بكلة هي الكلمة الحقيقية وان كلة اسم وحدة من الكلمة الفارسية كل = وردة . وعلى كل حال فانني لا اتقدم بهذا الافتراض الا على وجه التخمين والحدس

19) يعني : ترهب . قايس هذا بنص ابن بطوطة حول كلمة مرقعة — ص 189 — سيلفستر دي ساسي — طرائف عربية — ج 3 — ص 268 .

20) انظر صورة الآلة المسماة بالجنك فى كتاب لين (الف ليلة وليلة — ج 1 — ص 228) وقايس ذلك بكتاب (المصريون المحدثون — ج 2 — ص 86) حول الزمر .

21) معنى ذلك : انهمك بالامور التي تنهمك بها القينة المغنية .

وشرح هذه العبارة ص 87 و 88) . وهناك بيت أورده ابن خاقان في (قلائد العقيان — مخ 206 — ص 364) جاء على هذه الصورة (الكامل) :

لما تهلل في الظلام جبينها
لبس الظلام بها غلالة نور

ونحن واقعون على بيت آخر — رواه ابن بسام في (الذخيرة — مخ دي غوتا — ص 211) نقرا فيه (المنسرح) :

والشمس قد عصفرت غلائلها
والأرض — تندي — ثيابه الخضر

فهنا نرى ان موضوع هذا النص هو اشعة الشمس التي يصفها العرب بالصفرة . ويصف احد الشعراء ثوب حسناء يافعة (لدى الفتح بن خاقان — مخ بطرسبورغ — ص 52) فيسميه غلالة نرجس .

ويظهر ان الغلالة كانت ثوبا مفرطا في الشفوف والخفة . ومن هناك جاءنا ان ابن بدرون (شرح قصيدة ابن عبدون — مخ ، حين وصف القبة التي رفع عمادها احد امراء طليطلة وسط غدير — وزاد حسنها حسنا بانبثاق نافورة اصطاعية وكان ماؤها يحيط بالقبة من كل جهاتها — قد استعمل تعبير : فكانت القبة في غلالة من ماء .

ومن هناك ايضا اشرقت التعابير — امثال : وقد طرزت غلالة خده (ابن خاقان — المطمح — مخ — ص 81) حيث يدور الكلام عن زغب خفيف قد كسا خدي ساق في ريعان صباه . وهناك شاعر آخر (لدى ابن بسام — مخ — ص 228) عبر عن احاسيسه بهذه الكلمات (البسيط) .

ابقى الشباب عليه من غلائله
ما اثرت فيه من لين غلالته

واعتقد انني مستطيع تحليل هذا البيت على هذه الشاكلة : « ليدم هذا الثوب الرقيق الذي كست به الشبيبة هذه الكاعب الخسانة ! فما احلاها وهي كاسية بهذا الثوب الرقيق — وما ارق بشرتها واشفها ! » . واعتقد انني واجد الغلالة في مدينة الجزائر — اذ يكتب دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر — ص 27 — مج 2 — 3) هذه الكلمة على هذه الصورة gonila او goleyla والمؤلف اذ يتحدث عن زي نساء مدينة الجزائر يؤكد انهن يلبسن فوق القميص الثاني عند اشتداد البرد ثوبا (sayo) من الجوخ او من القطن المندوف (o de colchas) شبيه بثوب ازواجهن — وهن يسميين هذا الثوب gonila واخريات يسمينه goleyla اما النساء التركيات والمرتديات فيلبسن عادة فوق قمصهن ثوبا مسبلا الى اوساط سيقانهن — وهو معمول اما من الجوخ الرقيق الملون واما من (اسقلاط — ارجوان بلنسيه écarlate) او من الاطلس او القطيفة والمخمل او من الدمقس . وهذه الاقمشة الثلاثة الاخيرة تكون ملونة على الدوام . وهذا الثوب له ياقة مفرطة في التقور بحيث انها مفتوحة حتى الصدر . وبارتفاع الصدر توجد بعض الازرار الذهبية او الفضية الكبيرة — وهي مصنوعة صنعا متقنا — والنساء يسمين هذا الثوب نفس تسمية النساء المغربيات له اي : gonila ويتحتم على ان احملكم على ملاحظة ان الغلالة اذا كانت تلبس بصورة خاصة من قبل النساء في مصر — كما يؤيد ذلك النصوص الواردة آنفا — فان الحالة لم تكن هي نفسها في بغداد وفي مدينة الجزائر وفي اسبانيا . فان النويري يقول (تاريخ العباسيين — مخ 2 — ص 169) في معرض كلامه عن احد الخلفاء : « وهو في الحمام فهرب في غلالة (قميص) » . ويقول ابن اللبانة (لدى المقري — مخ دي غوتا — ص 550) وهو يتحدث عن المعتمد : « فبرز من قصره — عليه غلالة ترف على جسده » . وهناك مؤرخون آخرون يروون عين الحادث — ويستعملون هنا كلمة قميص (chemise) والمعتمد نفسه يسمي هكذا اللباس الذي كان مرتديه ذلك اليوم (22) . ويعرب دييكو دي هيدو (ص 8 — مج 2) عن هذا الموضوع في حديثه عن رجال مدينة الجزائر فيقول : « انهم يرتدون حين استفحال شوكة البرد قميصا او ثوبا (un sayo) من الجوخ الملون يسبل الى ما تحت الركب — وهذا الثوب يشبه التنباز الصغير la petite soutane وهم يسمونه gonela او goleila ولكنهم يهجرونه في الصيف .

---

22) لابد ان البيت المشار اليه هو :
وبرزت ليس سوى القميـ
ـص على الحشا شيئي دفوع

الــغـمــــــرة

يذهب القاموس (ط كلكتا — ص 620) الى ان الغمرة هي : « ثوب اسود تلبسه العبيد والاماء ».

الغنبـــــاز

ان فريتاك هو اول من تقبل هذه الكلمــــة في القاموس العربي — ولكنني اعتقد انه غلط في كتابة غنبار بحرف الراء بدلا من حرف الزاي . فاننا واجدون في تاريخ الاندلس للمقري (مخ دي غوتا — ص 624) النص التالي : « ولما تولى النصارى على ميورقة — في التاريخ المتقدم — ثار بجزيرة منورقة القريبة منها — الجواد العادل العالم ابو عثمان سعيد بن حكـــم التريشي — وكان وليها من قبل الوالي ابي يحيـــى المقتول . وتصالح مع النصارى على ضريبة معاومة واشترط ان لا يدخل جزيرته احد من النصـــارى — وضبطها احسن ضبط » . قال ابو الحسن على بــن سعيد : « اخبرني احد من اجتمع به انه لقي منه برا حبب اليه الاقامة في تلك الجزيرة المنقطعة . وذكر انه ركب معه فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد اثرت في عنقه . فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه :

حمالة السيف توهي جيد حاملهـــا
لا سيما يوم اســـراع وانجـــاز
وخير ما استعمل الانســـان يومئــذ
لحسم علتهـــا لبـــاس غنبـــاز

والغنباز عند اهل المغرب صنف ، من الملبوس غليظ يستر العنق . واعتقد ان كلمة غنباز هي نفس الكلمة التيكتبها(D. Germano de Silesia, pag. 276) بهذا الرسم : « غمباز من جلد « والتي فسرها بهذه الكلمات :

. « Colletto sorte di veste. Amictorium ex pellibus

وهذه الكلمة موجودة ايضا في الشرق — وهي تشير كذلك — الى نوع كساء — ولكن هذا النـــوع يختلف عن النوع الذي كان يحمل في الغرب اســـم غنباز .

ويفســـــر (D. Germano de Silesia, pa. 227) غنباز وجمعه غنبازاء وغنابيز بقمصلة من الصوف .

ويذكر ريشتر (رحلة الى الشرق الاوسط — ص 133) من بين الملابس التي اشتراها في بيروت — للولوج الى قلب سورية : « انطاريا — يسمى هنـــا قمبازا Kombas اي ثوبا طويلا مصنوعا من شبه الحرير المموج » .

ويقول بعد ذلك (ص 206) : « ارتديت قمبازا مهلهلا » . ونجد اخيرا الكلمة نفسها كذلك — ص 213. ويرتكب بركهارت — أو ربما ناشره — نفس الغلطة التي ارتكبها فريتاك — لانه يكتب الحرف الاخير (ر) بدلا من (ز) . واليكم ما يقوله (بملاحظات على البدو والوها بيين — ص 26) « يلبس الرجال في الصيف قميصا من القطن الغليظ — هذا القميص الذي يضع الاغنياء فوقه كمبارا Kombar — او ثوبا طويلا — كذلك الثوب الذي يلبسه سكان المدن التركيــــة — المصنوع من الحرير والقطن . ومع ذلك فان معظمهم لا يرتـــدون الكمبـــار Le kombar ولا يلبسون فوق قمصانهم الا كساء من الصوف » . ويكتب نابييــــه (ذكريات من سورية — ج 1 — ص 144) الكلمة هكذا : خمبيز Khumbaiz ويفسر هذه الكلمة بكلمة بليس Pelisse الفروة التي ترتديها نساء بيروت .

ولا ريب ان كانيس (النحو — ص 171) ينظر نفس النظرة الى هذه الكلمة حين يرسم لفظة تنبـــاز — والقنباز لديه لباس طويل يصل الى منتصف الساق.

ويبدو ان كلمة غنباز كانت تشير في الاندلـــس ايضا الى نوع ثوب — فان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم : Jubon vestido nuevo بكلمة غنباز وجمعه غنابيز . (فهل تعني nuevo هذه — لديه هنا — جديدا ؟ أم شيئا ادخل حديثا ؟)

الــغـــــدام

يذهب القاموس الى ان هذه الكلمة تشير الى العمامة : Le turban .

الفــــروج

يعرض لنا البخاري (الصحيح — ج 2 — مخ 356 — ص 167) فصلا عنوانه « باب القباء وفروج حرير » . ويقول حول كلمة فروج « هو القبـــاء — ويقال هو الذي له شق في خلفه » .

يبدو اذن ان الناس في عصر البخاري لم يكونوا يعلمون على وجه الدقة والضبط ماهية الفروج . وايا كانت الحالة فان الحديث التالي مروي في الصحيح عن عقبة بن عامر . قال عامر : « اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروج حرير فلبسه . ثم انصـــرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له » . ثم قال : « لا هذا للمتقين » . تابعه عبد الله بن يوسف عن الليث . وقال غيره « فروج حرير » .

الفرجيــة وجمعها الفراجــي

يصف لين(الفليلة وليلة، ج1، ص324،النص الانكليزي هذا اللباس على هذه الصورة : « الفرجية ثــوب فضفاض هفهاف ، يعمل اليوم من الجوخ عادة ، وله كمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلا أطراف الاصابع، وهذان الكمان بغير تفريج البتة . ويلبس هذا الثوب افراد طبقة العلماء خاصة » . ونقرا فى تاريخ مصــر للنويري (مخ ، 2 ، ص 49) ان الملك الناصر داود، لدى وجوده فى بغداد ، تلقى من بين الثياب التي تؤلف الخلعة (فرجية مموج) (23) اي فرجية من مادة ما يسمى بالفرنسية (الزملوط — وبر البعير) (24) . وفى موضع آخر (مخ 2 ، ص 32) : يدور الكلام حول فرجية زرقاء مسنجبة مقندزة . وفى مسالك الابصار لدى كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ، ص 216) يجري الحديث كذلك عن الفرجيات المسنجبة المقندسة ، التي يلبسها سواد الشعب فى الهند .

ونقرا لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ورقة 349 ، حوادث سنة 827) : « جدد للمشائخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجي سنجاب . وهو اول ما فعل بهم كذلك » . وفى موضع آخر (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 267) : « واما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج » . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت ج 2 ، ص 34) ، من نص مذكور فى معجم فريتاك : « فقصد نحو تربة ابيه وشق بين المقابر وارخــى فرجيته وكانت فوقانية بحاجات معطبة مقصبة منسوجة بطراز ذهب مكتوب عليها هذه الابيات من الشعر». وفى طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 161) نقرا هنا ببساطة : « وارخى ذيل فرجيته من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبا عليها هذه الابيات » . وقد حملت صفتي منسوجة ومعطبة على الثوب نفسه وليس على الازرار ، لاننا نقرا بعد ذلك بقليل ، فى نفس القصة (ط مكناكتــن ، ج 1 ، ص 165) : « الفرجيــة المنسوجة بالذهب Feridsji Fe . ويتحدث بوكــوك (ص 327 ، ج 1 ، وصف الشرق) عن هذا الثوب، ويكتب الكلمة Feridsji فريجية ، ويضيف ان هذا اللباس معمول ، حسب الموسم ، من الجــوخ (الزملوط Camelot المموج ، او الحرير (25) .

---

23) لا مندوحة من اضافة كلمة مموج الى القاموس ، بوصفها تشير الى كلمة الزملوط Camelot . والمموج هو بالضبــط لباس اللاتــين Vestis undulata, vestis cymatilis ويفسر (D. Germano de Silesia (موج من الجوخ) Ciambellotto drappo vestis undulata (ولكيلا تنكروا بوجوب احلال موج محل مموج، ارى لزاما على ان انبه الى ان مخطوطة (ب) للنويري مذكور فيها مموج) . ونقرا فى قصة كوترفيك (الرحلة ، ص 485) :
« وبالاضافة الى الحريريات والصوفيات ، فان عندهم البسة من الاقمشة المتموجة (الزملوط) وهي تعمل فى انقرة وغلاطية ، وذلك من شعر الماعز ، ومن هناك توزع على العالم » .
ونقرا فى نص آخر من تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 116) : « وهو بفلطاق اطلس معدني بسنجاب مقتدرة » . وفى موضع آخر (مخ 2 ، ص 28) : « خلعة من خزانة السلطان كاملة مسنجبة مقتدرة » . وانني لا اتردد فى احلال مقندزة محل مقتدرة ومقتدرة الواردتين فى هاتين المخوطتين ، ذلك لان كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ، ص 216 . راجع كذلك ص 271) قد برهن فى تعليقة قيمة ، على ان المقندز او المقندس يعني انــه مؤلف من فراء القسطور Le castor وهو مشتق من كلمة قندز او قندس وهو القســطور . والخلاصة انني ترجمت النص الاول للنويري .

24) ورد فى كتاب (شمس العرب تسطع علــى الغرب) للدكتورة زيغريد هونكه : ترجمة فاروق بيضون — كمال دسوقــي ان كلمة Zamlott الالمانية هــي زملوط العربية (قماش من وبر الجمل . وهي تقابل كلمة Camelot الفرنسية الواردة فى تعليق دوزي والمقابلة لكلمــة مموج . فهل المموج يا ترى هو (قماش من وبر الجمل . ؟) المترجم .

25) لا ادري ، هل ينبغي ان اترجم (مقصب) بــ Broché d'or أم بــ : Orné de pierreries . ويظهر ان لين من الراي الاول ، ذلك لاننا حينما نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 567) : بعد ان زوقوا حيطانها بالقمــاش المقصب ، يترجمها هذا العالم (الف ليلة وليلة و ج 1 ص 536) : Stuffs interwoven with gold وحين نقرا فى موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكناكتن، ج 2 ، ص 222) : اخذت الستر وطرزتــه بالحرير الملون وزركشته بالقصب . فان لين يترجم ذلك بــ : Ornamented it with the gold and silverthread

= اما انا فاوثر ان اترجم (مقصـــب) بـــ : (Orné de pierreries) فان كلمة (قصـــب)
تشير الى الاحجار الكريمة ، وفى بعض النصوص ، مثلا فى هذا النص الذي نقراه ، نكون حيـــال
تكرار للكلام بصورة محسوسة ، اذا ترجمنا (مقصب) بـــ : Broché d'or .
وانني أعلم بان هناك من يعترض علي بأن كلمة زركش فى نص الف ليلة وليلة الاخيـــر تعنـــــي
Brocher d'or ولكنني سأحمله علـــى ملاحظة ان كلمة زركش فى الكتاب الذي اذكـــره لا
تعني احيانا الا : Orner magnifiquement زين بصورة رائعة . فنحن نقرأ فيه (ج 2 ، ص 46)
زركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة . (راجـــع حول كلمة رف وجمعها رفـــوف : فليشـــــر
De glossis Habichtianis, pag. 91 وعلاوة على ذلك ، فنحن نطالع فى تاريخ مصر للنويري
(مخ 19 ب ، ص 25) : « ان خلع طرد وحش خلع طرد وحش مقصب » . وبعد ذلك (مخ 19 ب،
ص 30) : « خلع الاثنين طرد وحش مقصب بذهب » . ويدور الحديث فى تاريخ مصر لابن ايلس
(مخ 367 ، ص 377) عن : « نحو من ثمانين شقة اطلس مقصب . وفى كتاب (الف ليلة وليلة،
7 مكناكتن ، ج 1 ص 208) تسأل امراة : « هل عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طرش » . ولمـــا
كانت كلمة طرش لا تهبنا هنا اي معنى ، فينبغي احلال كلمة بطرز (احتمالا) محلها . ولانني اتيحـــت
لي فرصة التحدث عن كلمة مقصب ، سأتحدث ايضا هنا عن كلمة قصبة ، وجمعها قصبات .
نطالع فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 576) : « وفى رقبته طوق من الذهـــب
الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد » . فيعترف لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ص 607 ، الطبعـــة
الانكليزية) بجهله معنى كلمة قصبات ومع ذلك يخمن انها تعني : (خرزات اسطوانية الاستطالـــــة
(Oblong cylindrical beads) . واعتقد ان هذا التخمين فاخر بالنسبة لهذا النص ، ولكن الكلمـــة
نفسـها تعني تنزعة ، على الهيئة التي ذكرها لين ، لانني اقرا فى كتاب النويري (تاريخ مصر ،
مخ 2 ، ص 116) : (شـاش تساعي مقعر (؟) بقصبات زركش (شاش مبروم تسع مرات حول
الراس ... » . ويقول برين (رحلات ، ص 218 الخ ..) فى حديثه عن عمامة عرب القاهرة : « خمار
من الحرير الاسود ، المنسوج مخططا بالذهب ،المزركش معظمه بقنازع من نفس الحرير » . (انظر
الصورة المرقمة 90) .
ان كلمة تربة مفسرة فى القاموس بالكلمتـــين اللاتينيتين : ضريح ، مقام ، مرقد : Tumulus,
sepulchrum وهذا التفسير يعوزه بعض الدقة.فان كلمة تربة تشير فى مصر وفى بلاد البربر الـــى :
1 — نوع ضريح كبير ، أو با حرى الى هيكل مشيد على جدث ، او معبد ، او قبة ، فنحن نقرا
فى تقرير توشر دي نورنبرك (وصف الرحلات ، ص 268) : « وبعد ان اكتفينا بما راينا ، توجهنا
الى مسجد صغير Muschkea غاية فى الروعة ، وهي تسمى كذلك تربة Turby : اذ هكذا
يسمى ضريح أمير دوادار Amirey Dyoderij . ولكـــن هـــذا الدوادار هو الذي امر ببناء هـــــذا
المسجد الصغير البالغ الفخامة والبهاء الذي يمكن ان يكتب فوقه كتابات كثيرة » . ونقرا فى تقرير
هيلفريتش (تقرير مختصر واقعي عن رحلات، ص 390) : « ينبغي ان نعلم ان السـادة الكبـــار
يبنون لانفسـهم خارج المدينة دورا كبيرة او كنائس ، فى الاماكن التي يشاؤون ان يدفنوا فيها بعـــد
مهلكهم ، ويوقفون على هذه المشيدات بعض الدخول (الاوقاف (Gewisz eynkommen
تكون وسيلة لتعيش جمهرة من الفقراء . وهم يسمون هذه الانواع من الاضرحة تربا Turbe » .
ونقع على كلمة تربة بهذا المعنى كثيرا لدى المؤلفين العرب فى مصر . ففي الكتاب المعنـــــــون
(حكاية اقامة عشر سنوات فى طرابلس الغرب) ص ، 37) مسخت كلمة تربة الى تربر Turbar .
ويقول مؤلف هذا الكتاب انها بناية تشبه المسجد ، وهي تضم قبور أعضاء الاسرة الملكية . وساجعلكم
تلاحظون ، بصور عابرة ، ان الحرف النهائي Y فى هذا التقرير الانكليزي ، وهو يقابل الحرف(ة)
فى نهايات الكلمات العربية ، قد حرف الـــى الحــــــرف R بصورة متصلة على وجه التقريب
وهكذا بدلا من Skiffeh سقيفة) فاننا نقرا كلمة (Skiffer سقيفر ، وبدلا من Nubah
، نوبـــــه Nubar . نوبـــر ، وبـــدلا مـــن Teskerah (تذكرة) تذكرر Teskerar (ص 42) ،
وبدلا من Aisheh (عائشة) ، Aisher عايشر (ص 69) .
وهذه الترب يستفاد منها كخانات وفنادق ، لاننا نقرا فى موضع آخر من كتاب هيلفريـــش (ص

والظاهر ان الفرجيات المصنوعة فى مصر قد اكتسبت شهرة طبقت الآفاق ، فلقد كانت تحمل الى الاقطار النائية . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 246) فى معرض كلامه عن وزير الجزائر الملديفية : « وعليه فرجية مصرية من المرعز » (26) .

ويعرب ديبكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، ص 2 ، مج 3) عن أفكاره فى معرض وصف ازياء اتراك مدينة الجزائر على هذه الشاكلة : « انهم على العموم يلبسون بدل الازار رداء آخر من الجوخ الملون ، وهو ارجواني اللون عادة (اشكرلاط ، اسقلاط ، écarlate) او من جوخ لندن ، Drap المعمول على طراز مدينة البندقية ، الذي ينزل حتى القدمين . وهو واسع فضفاض مفتوح من الامام . وهذا اللباس لا ياقة له ، ويسمى الفرجية Ferja له كمان واسعان أكثر من سعة كمي اليلك والخفتان Cafetan و Jalaco tajetan ذلك لانهما يغطيان الذراعين ، ويلبس أصحاب السمت والوقار وحسن الصيت ، هذا الرداء فوق الخفتان ، فى كل المواسم ، اما الآخرون جميعا فيرتدونه اذا عضهم البرد بنابه ، ذلك لان هؤلاء يطرحونه بصورة عامة على الكتف اليسرى مطويا اربع طيات ، اذا كلكل عليهم الحر او اعتدل مزاج الهواء ، والرحالون (مثلا فى بلادنا) يلبسونه مع المعاطف ، وعلى هذه الشاكلة يسدرج هؤلاء الناس فى المدينة » .

ويتحدث دابر كذلك فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 240) عن فرجية Ferezsya احد سفراء ملك مراكش ، الذين تدموا الى امستردام عام 1659 ، ولكن يذهب هذا المؤلف الى ان هذه الفرجية كساء كماه تصيران .

والفراجة فى القسطنطينية (ذلك لانها تكتب على هذه الصورة : فراجه) لا تختلف عن الفراجية المصرية. وبوسعكم رؤية وصفها لدى بيترو دلا فاله فى كتابه (الرحلة ، ج 1 ، ص 190) ، وفى كتاب تيفنو (قصة رحلة الى المشرق ، ص 56) وفى رحلة كورني دي بروي (ص 131 ، الخ) . ولكن هذا الرداء يرتدي كذلك فى هذه المدينة من قبل النساء لدى بروزهن من دورهن (تيفنو ، ص 106 ودي برين ، ص 132) . وهذه الحالة غير موجودة ، حسب عقيدتي ، لا فى مصر ولا فى المغرب .

وقد تسللت كلمة فراجة التركية الى اللغة اليونانية الحديثة : فيرتسيس . (ويخيل الي ان الكلمة الايطالية Ferrainolo ليست الا التصغير الايطالي للكلمة التركية فراجة ، وان الكلمة الاسبانية Herreruelo مشتقة من هذه الكلمة الايطالية .

الفرملة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر النقيب ليون فى (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) ان كلمة فرملة ــ وهو يكتبها Farmela تشير فى طرابلس الغرب الى: «صديري له شرائط واسعة من الذهب ، وهو مفتوح من الجهة الامامية ومزود بالازرار ، ولكنه محروم من العرى » . وهذا الصدار يلبس فوق سترة اخرى تسمى الصدرية . (راجع كلمة صديرية) .

الفرودية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58 ، 59) يعرف الفرودية ، وهو يصف زي سيدات القاهرة بانها : « تنحصر بطاقية أو طربوش أو طرحة

---

386) : « هذه الدار اسمها لدى المغاربة (خان) ، وحولها بيوت عديدة يقطنها المغاربة والتجار وبجوارها كذلك بيوت تجارية (Kauffhâuser) حيث يقيم التجار الاجانب الوافدون مع القوافل ، وهي تحمل اسم تربة . وقد اشاد قواعدها كبراء القوم الذين بنوها ايذكرهم الناس بعد هلاكهم . وفى هذه البنايات يحصل كثير من الفقراء على قوتهم » .

2 ــ تشير هذه الكلمة الى مقبرة . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 75) : « جاء الى قبر فى وسط التربة » . وفى رحلة نيبور (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 206) نرى تفسير كلمتي « تربة اليهود » : « قبور اليهود » .

26) توجد كلمة مرعز ايضا فى كتاب ابن بطوطة ، مشيرة الى نوع من النسيج (ص 129 ، 140 ، 213) ويبدو انه نسيج من الصوف ، لاننا نقرأ فى موضع آخر ، لدى المؤلف نفسه (ص 99) فى مقاله عن بلدة ماردين : « وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها ، من الصوف المعروف بالمرعز » .

مربعة تسمى فرودية معمولة من الشاش الموصلي المطبوع او المنقوش او من الكريشة . وهي تشد شدا وثيقا حول الراس ، ومجموع هذه العمرة يدعى ربطة (27) وكان اثنان او اكثرمن هذه المناديل شائع الاستعمال بصورة عامة ، منذ عهد ليس ببعيد، وذلك لتكوين عمامة سيدة ، وما تبرح هذه الزينة الراسية تستعمل في بعض الاحايين لهذا الغرض ، ولكن في هذه الحالة تكون هذه المناديل مسواة بشكل يؤلف منه اكليل للراس عال مسطح بحيث انه يختلف كثيرا عن عمامة الرجال .

الفــــروق

لابد ان تشير هذه الكلمة ــ التي عبثا انقب عنها في جميع المعاجم العربية والفارسية ــ الى نوع عمرة راس ، ذلك لان ابن بطوطة (الرحلــــة ، مخ دي كايانكوس ، ص 191) يقول ، في وصف مدينــــة : Dehli « ويمشي بين يديه ايضا النقباء وهــــم ثلاثمائة وعلى راس كل واحد منهم فروق ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب » . والآن يتحتم علينا ان نعلم ما اذا كانت هذه الكلمة مغربية أم فارسية ، ومعنى ذلك ما اذا كان ابن بطوطة يود الاشارة الى ان هــؤلاء الناس كانوا يلبسون عمرة ام طاقية ، واسم ذلك في المغرب فروق . أم ان اهل Dehli يسمون هذا الشيء بهذا الاسم . وبما انني لم اصادف كلمة فروق في مكان آخر ، فليس بمقدوري ان اجزم براي حول هذا الموضوع .

الفـــــس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نعلم ان الاتراك في القسطنطينية يسمون الطاقية التي يلبسونها تحت العمامة (فس) ، وهذه العرقية تستعير اسمها من مدينة فـــاس Fez وبوسعنا مقارنة الوصف المفصل الذي دبجه نيسكيه في كتابه (رحلة في الشرق ، ص 183 ــ باللوحة) ــ واذا آمنا بما يقوله نيبور في كتابه : (رحلة الــى بلاد العرب ، ص 59) فان الفس يحمل نفس الاسم في بلاد الغرب . (ويكتب الرحالة هذه الكلمة : Fâs) ولكن نيبور يعلمنا ان العرب يلبسون عشرة او خمسة عشرة من هذه الفيوس (الطاقيات) مرة واحدة ، بعضها مصنوع من نسيج الكتان ، وبعضها مشغول من الجوخ الكثاف الموشى بالقطن ، والتحتاني منهـا مطرز بالذهب احيانا . (ولم أجد هذه الخاصية في مكان آخر) . ومعظم هذه الفيوس مكتوب عليه هذه الجملة : لا اله الا الله محمد رسول الله . أو آية من آيات القرآن الكريم . ويؤكد المقيد سكوت في كتابه (يوميات اقامة في مخيم الامير عبد القادر الجزائري المسمى « اسم الله » ، ص 5 ، 6) ان الطاقيـــة أو العراقية الحمراء المسمـــاة بالفيـــس Fez تلبسها عساكر امبراطورية مراكش عن بكرة ابيها .

الفشطـــــان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن يقول ابن بطوطة (الرحلة ــ مخ ديكايانكوس ص 59) ــ في معرض حديثه عن شيخ مكــــة : « وكنت اراه حين ذلك لابسا جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالفشطان . كان يلبسها في بعض الاوقات » . فهل يا ترى يمكن ان تكون كلمة فشطان هي الكلمة التركية فستان ؟ انني لا اجرؤ على الجزم ــ ذلك لان هذا الثوب لا يلبسه الا النساء (راجــع معجم منينسكي Meninski ووصف مصر ــ ج 18 ــ ص 112) ومن جهة اخرى ارى من باب العجائب الوقوع على كلمات تركية تستعمل في مكة في القرن الرابع عشر الميلادي ــ اي على وجه التقريب قبل غزو العثمانيين لهذا القطر بقرنين .

الفشطــــــول

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وكانت عمرة راس تحمل هذا الاسم في اسبانيا ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) ــ قـــــال : Velo assi فشطول ــ وجمعه فشاطل ، بعد ان فسر كلمات : (Velo o toca de muger) بـــ (عمرونة) .

---

27) لا وجود لكلمة ربطة في القاموس . ويقــول الكونت دي شابرول كذلك (وصف مصر ، ج 8 ، ص 113) ان الربطة تشير الى جماع عمرة الراس. وكلمة ربطة تشير ايضا الى حزمة وطرد . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 177) : فامر التاجر العبد ان ياتيه بربطة الحرير من صدر الدكان . فأتاه بها واخرج منها عدة قناعات .

الفنجـــــان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بوصفها تشير الى شبه عمرة : عصابة Coiffure ويقول كوبان في كتابه (درع أوروبا — ص 220) وهو يصـف زي سيدات القاهرة : « يعتمر راس المراة في القاهـرة بقبعة من الكارتون يبلغ ارتفاعها قدما واحدة وهـي مطلية بطلاء ذهبي او مرسومة حسب طبقة الاشخاص — وتكون أحيانا مغطاة باوراق من الفضة — ويخرج من ارتفاع الراس تحت القبعة جزء من منديل ينساب حتى الجبهة مخفيا كل شعرها الامامي » (انظر ايضا المرجع السابق — ص 248) .

وانني أعترف بعدم وقوعي في موضع آخر على كلمة فنجان — لا عند مؤلف عربي ولا لدى رحالـة اوروبي . ومع ذلك فان كوبان هو جوابة دقيق الاحكام جدير بكل ثقة واحترام . وهو بالرغم من ضآلة شهرته محل للركون اليه اكثر مما يستحق الافاقون المحدثون الذين يتمتعون بشهرة واسعة . وفضلا عن ذلك فليس مما لا يحتمل وقوعه ان تخلع كلمة فنجان على نوع من انواع الطاقيات . والفنجان هو كأس القهوة (لاحـظ صورة الفنجان لدى لين) (المصريون المحدثون — ج 1 — ص 205) الذي لو قلبناه راسا على عقـب لشابه بعض المشابهة من ناحية الشكل القبعـة Couvre-chef التي يصفها كوبان . وان ما اعرضه هنا مؤيد — كما يخيل الى — بالنص التالي لدارفيـو d'Arvieux في كتابه (رحلة من فلسطين صـوب الامير الأعظم — ص 211 .

Voyage dans la Palestine vers le Grand Emir, pag. 211)

« ان زينة رؤوس نساء البدو هي طاقية مـن الذهب او من الفضة — مشكلة على هيئة قصعـة صغيـرة écuelle او قدح gobelet ») .

لا اقول ان دارفيو يتحدث عن الفنجان — اذ من المحتمل كثيرا انه يتكلم عن العرقية ليس غيرها . ولكن حين يقارن رحالة اوروبي نوعا من العمرة Coiffure بقـدح Gobelet افلا يحتمل كل الاحتمـال ان يكون العرب قد طبقوا اسم كأس على عمرة مماثلة !

الفوطة ومصغرها الفويطة (28)

كان سليفستر دي ساسي (طرائف عربيـة . ج 1 ، ص 195) قد تحدث بكثير من الاسهاب عن الفوطة ، وكذلك فعل فريتاك .

---

28) انني اثبت هنا مختلف المدلولات التي وجدت ان كلمة فوطة تدل عليها . وهي لا وجود لها في القاموس. وكذلك مختلف انواع الالبسة التي تشير اليها هذه الكلمة ، الموجودة في النص . فكلمة فوطة تشير

1 — الى منشفة . يقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاپانكوس ، ص 191) في معرض حديثه عن ملـك Dehli : « فان كان عيد الاضحى اتى السلطان بجمل ، فنحره برمح ، يسمونه النيزة بكسر النون وفتح الزاي بعد ان يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم . وفي موضع آخر (مخ ، ص 146) يقول الرحالة نفسه ، متحدثا عن بلغار الفولغا : « وياتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير » . ونقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 578) : « سفرة مغطاة بفوطة من الحرير » . وكان العبيد يرتدون عادة فوطة ، على اوساطهم حين يتناول السيد طعامه . (راجع الف ليلة وليلة ، ط هابيخت ، ج 3 ، ص 300) . وفي ايامنا هذه يستعمل كل احد فوطة او منشفة (Napkin) أثناء تناوله الطعام . راجع لين (المصريـون المحدثون ج 1 ص 212 وفي مصر يستعملون اليوم هذا المثل : « فوطة بحواشي وما تحته شي » الذي يترجمه بركهارت (الامثال العربية ، رقـم 482) على هذه الشاكلة : « منشفة لها حواش جميلة ولا شيء تحتها » . ويضيف بركهـارت : « هذا المثل يعني : كثرة صخب وقلة عمل ، اسمع جعجعة ولا ارى طحنا : (Puff without reality) . [illegible] هم التي يقدمونها الى علية القوم فوق لوحة او طبق ويغطونها بفوطة أو منديل، مطرز اجمل تطريز».

2 — وتشير كلمة فوطة 2 — الى شرشف، شف.فنحن نقرا في الرحلة الى فلسطين صوب الامير الاعظم (ص 18) لمؤلفها دارفيو : « وهناك شرشف عظيم من النيل والكتان المرتط بـازرق وابيـض يسمونه فوطة ، وهو يستعمل كشرشف تحتاني » . ونقرا كذلك في تاريخ ابي الحسن الماجـن ، الموجود في طبعة هابخت لكتاب الف ليلة وليلة (ج 4 ، ص 171) ان هـذا الرجـل تظاهـر بالموت فامر زوجته ان تغطيه بالفوطة الحريرية (فانشرى على فوطة حرير) .

اذن فقد كان القدماء يغطون موتاهم بالفوطة ، اي على ما ارى بشرشف . ونستخلص من تعليقة لين

وكلمة فوطة ، الهندية الاصل ، كانت تستعمل على راي الشراح والمعجميين العرب ، للاشارة مبدئيا الى نوع من البز مجلوب من الهند . ولكن بعد ذلك طبقت الكلمة على انواع مختلفة من الملابس كانت بلا ريب مصنوعة فى الاصل من هذا البز . فهي تشير اذن الى :

1 — نوع من السروايل ، او بالاحرى الى شقة من البز بحيث ان الاعراب الذين لا يلبسون السراويل المعهودة يستعملونها لستر عوراتهم وافخاذهم ، ومعنى ذلك مئزر un pagne فنحن نقرأ فى نص من (مقامات الحريري ، ص 254) ، وقد سلف لساسي ان ذكره : « واستثفر بفويطة » ، ومعنى ذلك على راي الشارح ، لبس فويطة او فوطة صغيرة لف بها وركيه ، وشد طرفها فى وسطه ، بجعلها تمر بين وركيه . يقول ابن بطوطة (الرحلة ، مذ دي كايانكوس ، 106) فى معرض كلامه عن سكان (مقدشو) Magadoxo « وكسوتهم فوطة خز يشدها الانسان فى وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونه » .

ويقول المؤلف نفسه فى موضع آخر ، متحدثا عن ملك (هنور) Hinaur فى الهند : « ويشد فى وسطه فوطة . ويقرر شوفي كتابه (رحلات خلال بلاد البربر والشرق ، ص 324 ، ج 1) وقد ذكره دي ساسي ، ان النساء فى بلاد البربر يخلعن سراويلهن حين يكن فى بيوتهن ، ويشددن حول افخاذهن شقة من البز ، تحمل فى بلاد البربر وفى المشرق اسم فوطة.

وكانت تصنع هذه الفوط من مختلف انواع البز، ذلك لانني اقرا فى كتاب ابن بطوطة (مذ ، ص 259) حول سومطرة : « واخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن والاخرى حرير وكتان ... فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم » . وفى الكتاب المعنون عيني اكبرى (عيون الاخبار ؟) (مخطوطة فارسية 1398) ان البز المسمى فوطة يعتبر من الزركش Lesbrocarte والظاهر ان الفوط اليمانية كانت مشهورة . فعلى الاقل نحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 36) : « قامت الجارية على مهل واخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها » . ويبدو ان هذا الكساء كثير الاستعمال فى بلاد العرب الاصلية ، اذ طالما تحدث عنه الرحالون ، ولا اتردد عن الاعتقاد بأن نيبور فى كتابه (وصف الجزيرة العربية ، ص 60) يعني ، بكل ما يستطيع ان يعني ، الفوطة حين يذكر « شقة البز المشدودة حول الفخذين ، المتدلية حتى الركبتين ، التي يرتديها العرب على العموم . وهي الفوطة ايضا التي يتحدث عنها بركهارت (اسفار فى بلاد العرب . ج 1 ، ص 336) ، حين يقول : « لا يلبس الرجال من سواد الشعب عادة فى الصيف الا قميصا ، وحول الفخذين شقة من المشوش الاصفر المشغول فى الهند ، أو من الكتان الارقط المخطط المصري ، بدلا من السراويل » .

ويبدو ان كلمة فوطة تستعمل ايضا للاشارة الى 2 — نوع من العمامة ، الى شقة بز تلف الراس لفا . ولا اتذكر انني وقعت على هذه الكلمة بهذا المعنى الا عند المقريزي (لدى سيلفستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ص 65 من النص) الذي يخبرنا ان الحاكم بأمر الله كان يلبس اثناء جولاته على جواده ، نعلين فى قدميه (وفوطة على راسه) .

وتشير كلمة فوطة الى 3 — شقة بز توضع على الظهر للتوقي من الشمس . يقول ابن بطوطة (مذ ، ص 109) فى معرض حديثه عن مدينة ظفار (وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ، ص 108: « ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون الفوط فى أوساطهم عوض السراويل واكثرهم يشد فوطة فى وسطه ويجعل فوق ظهره اخرى من شدة الحر » .

وختاما فان كلمة فوطة تشير الى 4 — المئزر الذي يشد حول الوسط لدى الدخول الى الحمام . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مذ ، ص 92) واصفا حمامات بغداد الفخمة : « وكل داخل يعطي ثلاثا من الفوط ، احداها يتزر بها عند دخوله ، والاخرى يتزر بها عند خروجه ، والاخرى ينشف بها الماء عن جسده . ويسمى دلاموترى De la Motraye فى كتابه (الاسفار ، ج 1 ، ص 7) هذا المئزر (او الميدعة tablier (باسمها التركي Esthimale اي الشتمال) ، ويقول انه معمل من تيل القطن الازرق او الاسمر .

(ج 2 ، ص 378 ، 17) حول هذا النص ان هذه العادة لم تعد سائدة هذا اليوم .

3 — ومن كلمة فوطة استنبط فعل فوط. فنحن واجدون فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 46) : « فوطه فى وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب » .

الفـوقـانيـــة

نستخلص بالبديهة من احد نصوص تاريخ مصر للنويري نشرناه حول كلمة « بقيار » ، ومن نص آخر نحن علي وشك ايراده حول كلمة « قبـــع » ، ان الفوقانية في العهود القديمة لم يكن يلبسها الا القضاة. ولكن بعد الغزو العثماني لمصر لم تبق الحالة بهذا الخصوص على ما كانت عليه . واعتقد ان كلمة فوقانية تشير الى شبه « فرجية » ، ذلك لاننا بدل الكلمات التي نقراها في طبعة هابيخـــت Habicht لكتاب الف ليلة وليلة (ج 2 ، ص 71) وهو النـص الذي اورده فريتـــاك Freytag قائلا : « وهذا شاشه على الكرسي (29) ونمشته (30) وفوقانية » نرى طبعة مكناكتن Macnaghten (ج 1 ، ص 178) تقول : « واخذ الشاش والطربوش واخـذ الفرجية » . وعلاوة على ذلك ، فاننا نطالع في موضع آخر من الكتاب نفسه (هابيخـت ، ج 1 ص 34) « وارخى فرجيته وكانت فوقانية » ولكن اذا كـان هناك فرق بين الفرجية والفوقانية ، وهذا ما لا يبدو لي متعذر الاحتمال ، فارى من المحتم علي ان اعترف بجهلي بماهية هذا الاختلاف . ولكن استنادا الى نص النويري الذي ستقراونه حول كلمة « قبع » ، ارى وجها للاحتمال بأن الفوقانية هي الجبة . وايا كانت الحقيقة ، فان الجبة لا تختلف كثيرا ، من ناحيـــة الشكل ، عن الفرجية .

القبع وجمعه الاقباع

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن في قائمة الكلمات العربية التي أوردهـــا بريتنباك ــ في كتابه (وصف رحلة وحج ــ ص 115) وهو الرحالة الذي زار الشرق سنة 1483 ــ فسرت كلمة كوبيت Cobeth بكلمة كاب Cappe (كلوتة ــ طاقية ــ عرقية) . والواقع ان الكلوتة هي التي تدعى اليوم في مصر طاقية او عرقية ــ وهـي التي توضع تحت الطاقية المسماة بالطربـــوش ــ الذي يحاط بعد ذلك بقطعة من البز ــ لتاليـف العمامة التامة على هذه الشاكلة . واذا وجدنـا في طبعة مكناكتن لالف ليلة وليلة (ج 1 ــ ص 172) هذه الجملة : « فنظروا شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس ــ فان طبعة هابيخت (ج 2 ــ ص 63) تورد في هذا الموضع : « وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل » . ونقرا في موضع آخر من نفس الكتاب (ط هـ ــ ج 2 ص 29) : « خيطها حرزا في قبعه تحت شاشية » . ومعنى ذلك خيطها في القبع الموجود تحت طاقيته او تبعه . وبعد ذلك (ط هـ ــ ج 2 ــ ص 60) : « بقي بقميص وقبع » . وبعد ذلك بقليل ــ في نفـــس القصة (ط هـ ــ ج 2 ــ ص 62) : « وهو على حالته بقبع خطاي ازرق وقميص الخ .. وكلمات : « قبع خطاي ازرق » تعني ولا ريب قبعا ازرق مصنوعا من بز خطاي ــ ومعنى ذلك من حرير الصين ــ لاننا نقرا كذلك لدى ميرخوند : تاريخ السلاجقة ــ ص 11 ــ Mirkhond (Historia Seldschukidarum

« واذ نفائس مملكت خطاي جامهاي كرانمايه بـــه او بخشيده » . « اهداه ثيابا ثمينة ــ منتقاة من افخـر ملابس مملكة خطاي » . : اي من مملكة الصين . والنص التالي موجود في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ــ ورقة 103) : « عرضت عليه الوزارة في الدولة المنصورية فاباها وتنصل منها كل التنصل . وبالغ في ردها كل المبالغة . وانتهى حاله في النصل منها . الى ان حضر الدركاه (31) بباب القلعة وقل طيلسانه وقلع عمامته وفوقانيته (32) وبقي بقبع ودلق . وهو قائم . فقام الامراء لقيامه وصاروا حوله حلقـــة . وهـــم لا يعرفون موجب فعله لذلك . ثم جاء نائب السلطنـة الامير حسام الدين طرنطاي وهو على هذه الصورة فقالم. وساله عن خبره ، فقال له : انا انما وصلت مــن بلدي بمثل هذا الملبوس الذي علي وانا اكتسبـــت

---

(29) ان كلمة كرسي كثيرة الوقوع ، بهذا المعنى في كتاب الف ليلة وليلة . وهي تشير هناك الى مقعد يستعمل بخاصة لوضع العمامة عليه ، اثناء الليل . وهذا الاثاث يسمى كذلك « كرسي العمامة » . ويصفه لين مفصلا في احدى تعليقاته الجميلة حول ترجمته الانكليزية لكتاب الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 325) ، وهو يتحدث عن كرسي العمامة كذلك في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 47) .

(30) راجع حول كلمة نمشة كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 172 .

(31) الدركاه بباب القلعة : او صحن للدار .

(32) لا معنى لكلمة قل هنا واعتقد ان الجملة تكون صحيحة لو قلنا وقلع طيلسانه وعمامته وفوقانيته . ولعل كلمة قل هي فل .

بصحبتكم وخدمة السلطان زيادة على ما جئت به وهو هذا الطليسان وهذه الجبة والعمامة . فان ضمنت لي على السلطان اعفائي من هذا الامر الذي طلبني بسببه وابقائي على ما انا عليه والا فلا ارجع الى لباسي هذا ابدا وارجع الى بلدي بهذه الحالة . فبكى الامراء وعظموه والبسه نائب السلطنة قماشة وضمن له صرف الوزارة عنه (33) .

وان جمع كلمة قبع — وهو اقباع — يوجد في مسالك الابصار (راجع كاترمير — تعليقات ومقتبسات — ج 8 — ص 215 ' وفي (وصف مصر للمقريزي — ج 2 — مخ 372 — ص 354) . وفي موضع آخر (ج 2 — مخ — ص 361) يتحدث المقريزي عن سوق الاقباعيين — ولكن في هذه البقعة لا يجود بأي تفصيل عن اللباس الذي فرغنا من الكلام عنه (34) .

القبقاب ، القبقاب

القبقاب ، او كما يلفظ عامة في مصر هذا اليوم ، القباب ، هو على راي لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 61 ، 62) السنبك sabot او المزلج patin الذي يعلو عادة عن الارض اربع او ثلاث عقد ، وهو مزركش في الاغلب الاعم ومرصع باصداف اللؤلؤ او الفضة ، الخ .

ويستعمله الرجال والنساء ، دائما وعلى حد سواء ، داخل الحمامات ، ولكن النساء لا يلبسنه في بيوتهن الا نادرا . وبعضهن لا يلبسنه الا لتفادي تجرير ذلاذل اثوابهن على الارض ، وبعضهن يستعملنه لاطالة قاماتهن ، أي لاظهار انهن طويلات القامات . ويقول بركهارت (الامثال العربية ، ر 143) راويا هذا المثل : بدال مشيك بقبقابك شيلي شراميطك من اكمابك (بدلا من المشي على القبقاب ارفعي اسمالك عن كعبيك) وتعني الشرموطة في مصر القاهرة ... والقباقيب هي عكاكيز échasses او بوابيج من الخشب mules de bois ولها من الارتفاع أربع أو خمس عقد ، فوقها تدب النساء في الحمامات ، وتدرج عليها نساء طبقة النبلاء في بيوتهن . ونساء الطبقات الراقية يزركشن قباقيبهن بمختلف التنازع الفضية ويطرزنها ويرصعنها بأصداف اللالىء » .

وبوسعكم رؤية كل هذا النوع الغريب من الاحذية في كتاب (بلون ، ملاحظات ، ص 24) (Belon, observations حيث احدى النساء تلبس مزلجين يعلوان عن الارض كثيرا » . ويقول كوبان في كتابه ، درع أوروبا ، ص 220 .

في معرض حديثه عن نساء القاهرة : « لهن مزالج تعلو ست او سبع عقد عن سطح الارض ، ولا يجود صنعها الا في ايطاليا » .

ونجد القباقيب كذلك في سورية . فان راوولف Rauwolf في كتابه (وصف حقيقي لرحلة ، ص Aigentlich beschreibung der Raysn) 50

يعبر عن ذلك بهذه الكلمات : « في البيوت والدروب يلبسون كذلك غالبا احذية من الخشب (holzschüch) . وهي تعلو عن الارض اكثر من خمسة عشر سنتيمترا ، وهي مقورة تقويرا عميقا من الباطن، في الوسط ، بين القطعتين الخشبيتين اللتين تمسان الارض ، وهي مطلية طلاء جميلا بعدة الوان . وتلبسها النساء كذلك » .

ونرى من كتاب كورني دي برين الرحلات ، ص Corneille de Bruyn Reizen 362

ان هذا الحذاء كانت تلبسه كذلك سيدات حلب . ويعطينا هذا الرحالة شكله (ص 189) . وما يزال مستعملا في هذه البلدة حتى أيامنا هذه ، لان ريشتر Richter في كتابه ، رحلة الشرق الاوسط ، ص (Wallfahrten im Morgenlande 263

يقول : « النساء في بيوتهن يدرجن فوق المزالج الانيقة المرصعة باصداف اللآلىء » (Stelzschuhen)

والقباقيب شائعة الاستعمال ايضا في بلاد العرب . فالاعراب يلبسونها غالبا في منازلهم ، كما ذكر ذلك نيبور Niebhur في كتابه ، وصف الجزيرة العربية،

(33) تشير كلمة قبع في المغرب الى قبعة البرنس أوالقبلار — كما يؤكد ذلكصراحة دابر (وصفحقيقيدقيق لاقاليم افريقيا الشمالية ، ص — 24 ، مجـ 2) ، فهو يكتبها برسم (كوب) Kob اما دييكو دي توريس فيرسمها في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 86) بشكل (كابان) Caban .اما عن كلمة قبعا الكادنية فلم استطع تقبلها في النص ، لانني حتى الآن لم اعثر عليها لدى مؤلف عربي ، وارتاب كل الارتياب في لباس العرب حقيقة لهذه العمرة . والكلمة الكلدانية تشير الى ما يشبه العمامة (راجع قاموس بكستورف Buxtorf اما القاموس (المحيط) فيفسر القبعة بالبرنس .

(34) ظهر لدى التحقيق ان الكلمة بالسريانية (قبعو) وبالكلدانية (قبعا) وبالعبرية (قوبع) — (المترجم)

ص 60 Beschrijving van Arabie
ويعطينا شكلها (اللوحة 2 ، A.B.C.) .

ولما كان لهذا النوع من الحذاء ارتفاع يبلغ عدة عقد، فلن يظهر بمظهر الغرابة للور Le Lore بشهادة مؤلف مسالك الابصار (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ص 331) كان يمشي على الحبل وهو لابس القبقاب ، فيشده المتفرجين ، ذلك لأن فن الرقص على الحبال في مصر وسورية لم يكن قد وصل بعد الى هذه الدرجة من الكمال العجيب التي بلغها في بلادنا .

ولم اقع على هذا الحذاء لا في المغرب ولا في الاقطار الشرقية . ومع ذلك فيبدو انه كان شائع الاستعمال في اسبانيا، ذلك لان بيدرو دي الكالا يترجم كلمات çanco de palo بكلمة قبقاب .

القبيلة — القبلار — القبلار — القبنور

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن في اللغة الاسبانية تعني كلمة Capilla التبع Capuchon . وقد تسللت الى لغة عرب اسبانيا — ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات عربية) يترجم Capilla de capa بـ : قبيلة — وجمعها قبابل . اي تبع المعطف . ومن Capilla تألفت Capillar أو Capellar معطف له تبع . ويفسر كوباروفياس (كنز اللغة القشتالية — مدريد — 1611) : بـ Capellar
La cubierta a la Morisca, que sacan en los juegos de cañas por librea, de marlota y capellar

ويبدو ان مغاربة اسبانيا كانوا يلبسون الـ capellar فوق المرلوطة marlota وان المؤلفين الاسبان يتحدثون كثيرا عن الـ Marlota y capellar التي كان يلبسها الفرسان العرب . (راجع اغاني الموريسكيين الشعبية — ص 60 — 130 — 131 — 147 — وانظر حروب غرناطة الاهلية — ص 162 — 175 — 200 — 237) . واذا آمنا بما يقوله شارح قديم للحروب الاهلية (ص 109) فان كلمة capellar تشير الى برنس صغير على الطريقة التركية يشد تحت الذراع اليمني . وفي كتاب (كنز اللغات الثلاث لفيكتور (جنيف 1609) كما في (كنز سيزار اودان (بروكسل 1625) نجد كلمة capellar مترجمة بكلمتي : معطف الجندرمة Manteau de gendarme.

وعلى الرغم من ذلك يظهر ان كلمة قبلار كانت تعني في لغة التخاطب العربية في اسبانيا التبع Capuchon وليس المعطف أو الازار — ذلك لان بيدرو دي الكالا يترجم بكلمة قبلار وجمعها قبلارات - capirote vestidura (capuchon)
ويظهر ان قبيلة كانت شائعة الاستعمال بمعنى المعطف القبعي manteau à capuchon
لان المؤلف المذكور يترجم cugulla con capilla بقبيلة وجمعها قبابل .

والامر في المغرب معكوس — فقبلار كانت تستعمل للدلالة على المعطف المقبع manteau à capuchon اذ يقول ديبكو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء — ص 86) عن سكان مراكش : « ان ملابس الرؤساء مشغولة من الحرير — وهم يسمونها capellares وهي شبه معاطف طويلة — ولها اقباع capussons او cabans . (راجع كلمة قبع) من الحرير او الصوف . ويقول مارمول (وصف افريقيا — ج 2 ص 102 — مج 2) ان العمال والرجال من سواد الشعب الآخرين — ولاسيما العساكر المشاة ورماة البنادق والقواسين الخيالة — يرتدون معاطف يسمونها capellares مصنوعة من الجوخ الازرق او من لون آخر فوق اللباس المحتمل أن يكون القفطان » . ونقرأ في بحث دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا — ص (240 — مج 2) عن زياء السفراء المراكشيين الذين وصلوا الى امستردام عام 1659 : « ان السفير محمد كان يرتدي جباءة قريبة الشبه بـ Chanijf (خنيف) السفير ابراهيم — ولكن كان له من الخلف تبع له تنزعة في نهايته (35) كما يمكن رؤية ذلك في الشكل المرفق . واسم هذا اللباس Bornouz (برنوس) أو Bornos (برنس) ولكنه كان مقفلا من الخلف تماما . ويضنع عادة من شعر الماعز — المرعز — مثلا — أو من صوف نعجة سوداء — واسمه بالعربية Kalmoouz او Sjaraba ويسمون الكبوشون Le capuchon Kob (القبع) ولكن قلما يستعملونه لتغطية رؤوسهم » .

ولم اعثر على كلمة Kabbenur تنبور في موضع آخر — واعتقد ان كلمة Kabba هي الكلمة الاسبانية Capa ولكنني لا استطيع تقديم اي تخمين حول المقطع الاخير nur .

(35 التنزعة Houppe - Flocon تسمى كذلك شرابة .

لو آمنا بما يقوله فريتاك Freytag لقرانا لدى الجوهري :
« Tunica virilis exterior. Persica ; Quae sub axilis per obliquum duplicatur »
وترجمة هذه العبارة : « لباس خارجي للرجال — فارسي الاصل — يطوى تحت الابط بصورة منحرفة » . ولكن لسوء الطالع لم يقل الجوهري كلمة واحدة من هذه الكلمات المزعومة (36) .

والرحالة الاوروبي الوحيد الذي اوضح لي ماهية قباء الاعراب هو روولف — الذي جاس خلال الشرق عام 1573 — فهو يقول واصفا زيه الذي اصطفاه لنفسه بغية السفر من حلب الى بغداد (وصف حقيقي للرحلات — ص 133) انه هو نفسه ورفاقه أوصوا لانفسهم بادىء الامر بعمل (اقبية Cabas) طويلة زرقاء (Blawe lange caban) كانت مقفلة من الامام بازرار ومقورة تمام التقوير في موضع الرقبة — وهي تشبه بعض الشبه ملابس الارمن (Der Armenier nit ungleich) فعسى أن يكون هذا الثوب هو نفس الثوب الذي تحدث عنه آنفا (ص 49) — في معرض وصفه لازياء سكان طرابلس » . انهم يحبون الملابس البديعة الالوان — اذا لم تكلفهم غاليا — وهذه الملابس مقبولة الطول ولها ازرار من الجهة الامامية » . وتحت هذا اللباس يلبسون الجبة . اذن فالقباء قد احتل مكانة فرجية ايامنا هذه . (ولا مشاحة ان كوتونيك حين يكتب في كتابه — رحلة — ص 487 — كلمة : Gaba يعني بها العباءة وليس القباء) . وعلى النقيض من ذلك هناك نصان من تاريخ اليمن يحملانا على التفكير بأن القباء هو القفطان نفسه . وعلى هذا فان القفطان يلبس تحت الجبة . فنحن نقرأ في هذا الكتاب (مخ 477 — ص 298) : « خلع على الامير — خلعة نبيلة (37) من أجل القفاطين القباء » . وفي موضع آخر : (ص 319) : « خلع على ابراهيم بن المطاهر قفطانا من القباء الصراصر » (38) . والعلة التي تجعل هذه النقطة وافية الغموض — هو انه — منذ اكثر من قرنين — لم يعد هذا اللباس يرتدى من قبل العرب . والمؤلفون القدامى لهذه الامة لا يصفون حاجة كانت معروفة من قبل العموم في زمانهم — والرحالة الاوروبيون لم يستطيعوا ان يصفوا الاشياء التي لم يعد لها وجود اثناء زياراتهم للاقطار العربية .

لقد كان القباء شائع الاستعمال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . فنحن واجدون في صحيح البخاري (ج 2 — مخ 356 — ص 167) بابا عنوانه: « باب القباب وفروج حرير » حيث نقرأ : « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبية ولم يعط مخرمة شيئا . فقال مخرمة : « يا بني انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فانطلقت معه . فقال : « ادخل فادعه » . فدعوته له . فخرج اليه وعليه قباء منها . فقال : « خبأت هذا لك » . قال : « فنظر اليه » فقال : « رضى مخرمة » ويقرر المقريزي (وصف مصر — ج 2 — مخ 372 — ص 350) — ان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانت ملابسهم ايام الدولة الجركسية هي : (اقبية اما بيض او مشهره احمر

---

36) صدق دوزي . لا وجود لكلمة قباء في قاموس الجوهري . (المترجم) .

37) ينبغي اضافة معنى كلمة Magnifique التي تعطي صفة نبيل احيانا ، الى القاموس . فنحن نقرأ في موضع آخر من تاريخ اليمن (مخ ، ص 303) : « أمر لهما بصلة نبيلة » . وكلمة نبيل كذلك تؤخذ بمعنى لطيف ورقيق وبمعنى البشاشة . فنحن نقرأ في كتاب المراكشي (المعجب ، مخ 541 ، ص 139) : « تلقاه لقاء نبيلا » .

38) كلمة صراصر التي لا وجود لها في القاموس تعني العظيم ، ولا يظهر انها تستعمل الا في معرض الحديث عن الجمال من النوع المسمى بختي . ويتحتم علي ان أعترف انني لم اعثر في موضع آخر على كلمة صرصور وجمعها صراصر، بمعنى، نبيل‌عظيم Magnifique الذي تعنيه دون شك هنا . ولكنني ساحملكم على ملاحظة ان كلمة عظيم التي لا وجود لها ايضا في القاموس ، الا بمعنى كبير، تعبر غالبا عن فكرة نبيل ، لطيف ، رائع ، فاخر . فنحن نقرأ في تاريخ اليمن (مخ ، ص 21) : خلع عليه خلعة عظيمة » . وفي موضع آخر (ص 61) : « دخل الامير عبد الله مدينة صنعاء في هيئة عظيمة » . وكذلك (المرجع السالف) : « عمل هنالك سماطا عظيما لم ير مثله » . واخيرا (ص 298): « فدخل مدينة صنعاء ذلك اليوم في هيئة عظيمة والزمر والطبل معه والاعلام » . ويقول المقريزي (لدى سيلفستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 43) : « كانت جنازية عظيمة » .

وازرق وهي ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم (39) . وبعد ذلك (ص 351) يعلمنا نفس المؤلف ان السلطان المنصور قلاوون ابطل لبس الكم الضيق : (ابطلوا لبس الكم الضيق) وان ابنة الملك الاشرف خليل اعطى لخاصكيته Khâssékis ولمماليكه « الاقبية الاطلس المعدني » (40) . Des kabâs de satin madini

وكانت الاقبية تعمل بصورة عامة من الاطلس كما يظهر . فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 م — ص 49) : « خلع عليه قباء اطلس وشربوش » . وبعد ذلك : « قباء اطلس اسود » . وفي موضع آخر (مخ 2 ن — ص 26 — حوادث عام 681) : « وقف بين يدي السلطان الف مملوك وخمس مائة مملوك عليهم الاقبية الاطلس الاحمر بالطرز والكلوتات الزركش » . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 2 — ص 159) : « وعلى ذلك قباء من الاطلس الاحمر » .

وكان القباء كذلك مفري في بعض الاحيان (المقريزي — وصف مصر — ج 2 — مخ 372 — ص 358 (41) . فنحن نقرأ في تاريخ مصر لابن اياس

---

39) ان مخطوطة (ب) ترسم الكلمة مشهرة ، وكلمة مشهر لا وجود لها في القاموس ، ولكنني اعتقد انها تشير الى الجزء الخارجي من الثوب .

40) راجع حول كلمة معدني (ص 83 ، موضوع : البغلطاق) .

41) كلمة (طرز) موجودة في تاريخ ابي الفداء (ج 5 ، ص 80) وفي نص لابن خلدون منشور من قبل سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 2 ، ص 118) . ولا وجود لها في القاموس . وقد بدل فيرس كلمة طرز في هذه النصوص الى كلمة طرر ، في احدى ملاحظاته على تاريخ اليمن لمؤلفه Rutgers (ص 135) وعلى الرغم من وجود كلمة طرز في قاموس Richardson بمعنى حاشية أو حواش مطرزة في ثوب من الاثواب ، فلا ينبغي معارضة شهادة قاموس برأي عالم ، مهما كان شهيرا ، ولكن بنصوص عديدة لمؤلفين كثيرين . وهاهم . وانني اقرأ في تاريخ مصر لابن اياس (مخ ، ص 129) : « جبة سوداء بطرز ذهب » . وبعد ذلك (ص 242) : ذهب » . وبعد ذلك (ص 242) : « جبة سوداء بطرز زركش » . وفي تاريخ الطولونيين للنويري (مخ 2 ك (2) ص 11) : « اسقط احمد دعوة الموفق وقلع اسمه من الطرز . فلما بلغ الموفق ذلك امر بلعن احمد بن طولون في المنابر في سائر الامصار » . وفي مخطوطة بخط المؤلف النويري (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 25) : « خلع الاطلس المعدني بطرز الزركش » . وفي موضع آخر : « فخلع على المشار اليه منهم اطلس معدنيا بطرز زركش » . واخيرا (ص 135) : « تشريف اطلس معدني بطرز زركش » . وفي كل نصوص هذه المخطوطات ترد كلمة طرز وليس كلمة طرر . وتعني كلمة طرز ايضا : « اقمشة زركش) فانني اقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 9) : « احضر الصندوق الى الديوان السلطاني وفتح واعتبر ما فيه من الذهب — حوائص ذهب وطرز زركش » . وفي موضع آخر (مخ 2 ، ص 110) : « ركبوا بالكلاوات الزركش والطرز الزركش » وفي تاريخ مصر لابن اياس (مخ ، ص 100) : « ووجد له عند شخص اسكاف بقج فيها طرز رزكش وحوائص ذهب وكنابيش ما يعلم لها عدة » وتوجد كلمة طروزات في نفس المفهوم لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 107) : « فرجية قدسي وتحتها من ثياب مصر وطروزاتها الحسان » . (وكلمة قدسي التي لا اعرف اصلها ومعناها موجودة في ثلاثة نصوص اخرى لابن بطوطة، بوصفها تشير الى نوع قماش . فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف (مخ ، ص 129) : « ثيابا من الملف، والمرعز والقدسي والكمخا » . وفي موضع آخر (ص 130) : « ثوب قدسي » . واخيرا (ص 159): «وكان عليه في ذلك الحين قباء قدسي اخضر . وعلى راسه شناشية مثله» . وكلمة طرازات لها نفس المعنى . فانني اقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ج 2 ، مخ 372 ، ص 351) : « كلفتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش » .

وسانشر بهذا الصدد نص المقريزي هذا بتمامه ، لانه من الاهمية في الذروة معرفة مختلف انواع الفراء المستعملة في مصر ، ايام حكم الدولة الجركسية : « ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق في ايام الملك الظاهر برقوق من انواع الفرو ما يجل اثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السمور والوشق والقاقم والسنجاب

(مخ 367 — ص 88) : « قباء حرير بنفسجي بفري بقاقم مطرز بطرز ذهب يلبغاوي عريض (نسبة للسلطان يلبوغا » (42) . وما كان هو قباء سلاري كان البغلطاق (راجع هذه الكلمة)

ويظهر ان القباء تلقى تسمية الاسلامي — لاننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ 19 ب — ص 135) : « ركب — في الموكب بالاقبية الاسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية » . ويذكر مؤلف مسالك الابصار والمقريزي كذلك (راجع : « ملاحظات ومقتبسات — ج 8 — ص 213 — 295) الاقبية الاسلامية — ويعني هذان المؤلفان ولا ريب الاقبية المفصلة على الطريقة العربية — تمييزا لها عن التتاريات Tatars (انظر المرجع السابق) — وعن السلاريات :

وغير ذلك .

وتسمى احيانا بالاقبية معاطف الفرسان النصارى وذلك من قبل المؤلفين العرب . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 388): « واذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء أزرق من اطلس — ومن فوقه رزدية ضيقة العيون » . ويقول المقري ، أو بالاحرى ابن سعيد لدى فريتاغ (طرائف عربية ، ص 147) ان اقبية عرب الاندلس كانت معمولة من الارجوان (الاسقلاط) وكانت تشبه اقبية المسيحيين . واذا لم نكن قد صورنا القباء العربي الا تصويرا يعتوره النقص ، فاننا على العكس من ذلك نعرف معرفة عجيبة صورة قباء الفرس . واليكم وصفه على لسان شاردان (الاسفار ، ص 67 ، 68) : ثوب يسمى Cabai ، واسع بشبه فستان المراة،

بعد ما كان ذلك في الدولة التركية من اعز الاشياء التي لا يستطيع احد لبسها . وقد اخبرني الطوشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مقبل الرومي الجنس المعروف بالشامي عتيق السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد قلاوون انه وجد في تركة بعض امراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكي ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه . ثم تبدلت الاصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الاجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام . ولا تكاد امراة من بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شيء كثير » .

42) لا وجود لكلمة سمور في القاموس العربي . ويفسر دي برين (الرحلات ، ص 132 ، الخ) كلمة سمور Samour بكلمة Zebline (Sabel) ويذهب المذهب نفسه تيفنو (قصة رحلة الى المشرق ، ص 56) : « وفي الشتاء يبطنون فراجيهم بالفرو الثمين ، واصحاب الاقتدار ينفقون عن ارادة وطواعية اربعمائة او خمسمائة ترش للحصول على بطانة سمور » . والكتاب العرب يرسمون هذه الكلمة طورا بـ (سمور) وتارة بـ (صمور) . فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 145) : « والسمور دون ذلك تساوي الفروة منه اربعمائة دينار فما دونها. ومن خاصة هذه الجلود انها لا يدخلها القمل .وامراء الصين وكبراؤها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا بفرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقيين » . وبعد ذلك (مخ ، ص 147) : « واجتمع لي من الخيل والثياب وفروات السنجاب والسمور جملة » . وفي موضع آخر (مخ ، ص 156) : « بعثت الي بفروة سمور » . وبعد ذلك (ص 160) : « اعطاني السلطان فروة سمور تساوي مائة دينار وطلبتها منه لاجل البرد » .

ونجد في نفح الطيب للمقري (مخ دي غوتا ، ص 77) : « مائة جلد سمور » . (كذا) . (انظر كذلك المرجع السالف ، ص 40) . والكلمة مرسومة بـ (صممور) في تاريخ ابن ایاس (مخ 367 ، ص 35 ، 48 ، 123 ، الخ) .

وكلمة وشق لا وجود لها في القاموس ايضا . وبتسميتي لها : Loup-cervier تابعت راى منينسكي Meninski وهي كثيرة الوقوع في كتاب ابن اياس .

وتشير كلمة قاقم بكل تاكيد الى ما يسمى L'hermine ذلك لاننا نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 145) : « والقاقم هو احسن انواع الفراء وتساوي الفروة منه ببلاد الهند الف دينار وصرفها ذنبها مائتان وخمسون وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبها طويل يتركونه في الفروة على حاله .

هذا هو الوصف للحيوان الذي نسمية Hermine هو غاية في الدقة .

ولكنه شديد الضيق من الاعلى ، يمر مرتين فوق البطن ، ويشد تحت الذراع : الشدة الاولى تحت الذراع اليسرى ، والشدة الثانية وهي شدة الفوق ، تحت الذراع اليمنى . وهذا الثوب مقور على الهيئة التي يراها عليه في الشكل الجانبي . وله كمان قصيران ولكن لما كان اطول مما ينبغي ، فانهما يثنيان الى اعلى الذراعين ويزرران حول المعصم . ويلبس الفرسان كذلك اقبية على النمط الجيورجي ، وهي لا تختلف عن الاقبية الاخرى الا بكونها مفتوحة من جهة البطن ولها ازرار وتياطين . وبالرغم من ان هذا الثوب ضيق حول الوسط ، فانه يربط في هذا الموضع بحزامين او ثلاثة احزمة فوقية ، مطوية طيتين ، عرضها اربع اصابع ، فاخرة نظيفة ، وهذه الحالة تجعل الثوب يبرز فوق البطن جيبا واسعا قويا ، حيث تصر الاشياء الثمينة فتكون في حرز حريز من جيوب اعالي سراويلاتنا . والوصف التالي ، الذي يقدمه تيفنو في (ذيل رحلة الى المشرق ، ص 173) مفصل تفصيلا اوفى : « انهم يلبسون فوق ملابسهم سترة يسمونها قباء Caba معمولة هاده من تيل القطن الناعم للغاية ، الملون باللون الاحمر والاصفر والاخضر او بلون آخر على هوى اللابس ، وهو ناعم الملمس حتى ليكاد يشبه الاطلس . وهذه السترة القطنية المزركشة تهبط حتى منتصف الساق . وهي مقورة كل التقوير من الامام ، وينساب الجانب الايمن على البطن تماما ، ويجري ليستقر تحت الابط بمعونة شرائط ، ويمتد الجانب الايسر فوقا حتى يتصل بالجانب الايمن بقياطين ، وينفرد قبطان واحد بعدم الارتباط بشيء البتة ، ولكنه يتعلق بالقياطين الاخرى. وهكذا تدع هذه الاشرطة البطن مستورا مضغوطا للغاية ، لان هذا اللباس يمس الجسم مباشرة حتى الوسط الذي هو غاية في الضيق ، ومن موضع الوسط ياخذ في الاتساع بحيث يبدو وكأنه ناقوس من الاسفل ، ويستدير كما لو كان هناك دائرة من حديد ، وهذا بفعل القطن المحصور فيه . وكما هذا الثوب عرضهما عرض الذراع تماما ، ولكنهما اطول من الذراع كثيرا ، ولذلك يطويان لئلا يفلت المعصم من هذا الطوق . وبعضهم يلبسون هذه الاقبية مقفلة بدون ازرار حول المعصم ، ولكن الذين ينشدون الراحة يضعون فيها ازرارا ، والكثيرون من الفرس والارمن يفضلون هذه السهولة التي تعلموها من الفرنج ، وهذه الحالة تقفل الكم تماما في موقع المعصم ، وتحول دون دخول الهواء . وتكون هذه الاقبية في العادة معمولة من التيل الملون بلون واحد فقط ، وفي حالات كثيرة يتخذها اصحاب المقامات العالية من الاطلس او الزربافتة Zerbart ، وهي زركش فارسي ، وبعضهم يختارها في الصيف من الاليجة Aledgia وليس من القطن » . ويقول تيفنو بعد ذلك (نفس المرجع ، ص 175) : « يجب ان يكون معك دائما خادم لعقد قياطين القباء : لذلك فان معظمهم لا يعقدون الا شريطا واحدا ويرسلون بقية الشرائط على رسلها . ولاجل ان تبقى الاقبية نظيفة على الدوام ، فانهم يتجردون منها حال استقرارهم في منازلهم ويبدلون كل يوم قباء ، وكل عشرة اشهر يرتدون مجددا احد هذه الاقبية التي سبق لهم ارتداؤها اذا ظنوه نظيفا ، لانهم لا يتذكرون رؤيتهم له . ويثمنون الانسان بنظافته وجمال ثيابه » . راجع ايضا تافرنييه (الاسفار ، ج 1 ، ص 629) الذي يكتب كلمة القباء هكذا : Cabaye . وانظر فريزر ، (رحلة الى خراسان ، ص 69) . وهو يرسم كلمة القباء هذا الرسم : Kabba .

ومن الاسم المفرد (قباي) الفارسية الف الهولنديون كلمتهم : Kabaai ، تلك الكلمة التي يستعملونها للاشارة الى رداء البيت : Robe de chambre .

القرطق

يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 330 ج : « لبس معروف معرب كرته». وعلى ذلك فان كلمة كرته او كرتة تشير في اللغة الفارسية ، طبقا لمذهب قاموس ريجاردسون Richardson الى « سترة قصيرة او قميص ، وهذه السترة تسبل على الكتفين وتنساب حتى وسط الجسم » . ويبدو ان الكلمة الفارسية كرتي لها نفس المعنى ، وان مصغر الكلمة كرتك يشير الى « قميص قصير يلي الجسم مباشرة ، وله كمان يصلان الى المرفقين » . وطالما تغنى الشعراء العرب بقراطق حبائبهم ومحظياتهم وجواريهم ، راجع مثلا بيتا اورده ابن خلكان ، ج 1 ، ص 364 . وعلاوة على ذلك فاننا نعلم ان الفرس كانوا يلفظون قديما الهاء النهائية بقوة اشد من لفظهم لها في ايامنا هذه ، وان العرب يقابلون هذا الحرف او هذا الصوت بقافهم .

القرق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير لدى عرب الاندلس الى صندل قاعدته الداخلية من الفلين ، وكلمة قرق تقابل كلمة

alcorque الاسبانية . وان صل هذه الكلمة غامض لدي ، والكلمات التي تستعمل في العربية لتعيين كلمة liège — فلين ، والتي ستقراونها ، لا وجود لها في القاموس . ويقول كوبروفياس Cobarruvias في كتابه (كنز مدريد ، ص 1611 (Tesoro, Madrid حول كلمة الكورنوك alcornoque (alcornoque, cortîche, cortîch, Alcala) :

ويطلق عليها اللاتين اسم suber وهي نوع من الاشجار الفلينية تشبه شجرة السنديان بمتانة عودها وصلابة خشبها وتشبه أيضا بثمارها واوراقها شجرة البلوط القرمزية الدائمة الخضرة ، وتختلف عنها بقلة اغصانها وبكثافة قشرتها ، التي غالبا ما تنسلخ عنها لتعاود الطبيعة اكساءها مجددا .

وكلمة aldorques كلمة عربية الاصل ، كانت تستعمل غالبا لوصف شخص بالعرى أو بسوء الهندام . نسبة الى ما اشرنا اليه حول انسلاخ تشرة الشجرة ، ليصنع من هذه القشرة نوع من النعال للنسوة الصغيرات ، وهو الموضوع الذي كتب عنه الدكتور لاكونا Laguna اشياء جميلة كثيرة ، في تعليقاته على Diosc. lib. I, cap. 121 ومن كلمة dorque جاءت كلمة corque

ومنها اشتقت الكلمة corcho « الفلين » في (نعال خشب الفلين المصنوع من شجرة الفلين) .

ودخلت اداة التعريف العربية (الـ) على كلمة corque لكي تصبح alcorque ، وهي ، كما سبق ان قلنا ، نوع من مداس للقدمين صنع نعله من خشب الفلين » . (ترجمة لويس رومانوس) .

المقرونــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير ، حسب مذهب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 28) الى نفس المادة التي تشير اليها كلمة شوبر ، اي الى الطرحة التي تضعها النساء البدويات على الرأس . وتختارها الكواعب النواهد حمراء ، وتصطفيها العجائز الفواني سوداء .

القشـــاب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويترجم دونباي (ص 82)

هذه الكلمة بـ : Indusium sine manicis ولعلها نفس الكلمة التي يكتبها هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115) — على هذه الصورة : Keséb (كزب) ، ويقول المؤلف ان هذا الكزب هو قميص من الصوف بلا كمين ، ويلبس بدلا من القفطان . انظر اللوحة 16 من الكتاب المذكور . ويتحدث لمبريير Lempriere في كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39) عن الكاشوف Le cashove الذي يرتديه الرجال والنساء من البدو في مراكش . ويقول هذا الرحالة عن هذا الكاشوف القشاب : « انه ثوب طويل غليظ محروم من الصباغ يشد حول الوسط . وتلبسه النساء بشكل يؤلفن منه كيسا فوق الظهر ، يحملن فيه اولادهن » . ولعل هذه الكلمة ليست عربية الاصل ، وسأحيلكم على ملاحظة ان كلمة Kusabo تعني لدى المندنكو Les Mandingos — أهل مالي — كساء أو معطفا .

راجع (قواعد لغة المندنكو ، ص 41 (Macbrair, Grammer of the Mandingo language

القفـــاص

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويترجم بيدرون دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) كلمة Guante بكلمة قفاص ، والجمع قفافيص ، ويترجم كلمات Calçado cosa de guantes بكلمتي : ملابس القفاص ، و Guante بكلمة قفاص. ويفسر كانيس Cañes كذلك في قاموسه ، ج 2 ، ص 204 (Diccionario) كلمة Guantes بكلمة قفز (كذا) . وقد جعلتنا الكلمة العربية نفسها نفكر في انها قفاز على هيئة شبكة ، قفاز مشبك . ذلك لأن كلمة قفص ، وهي الكلمة الموجودة في القاموس بمعنى Reticularis و Cavea avis تعني ، على سبيل

43) قال دوزي في كتابه (المستدرك على المعاجم العربية ، ج 2 ، ص 348) ما يلي : « لقد ظننت سابقا ان هذه الكلمة هي من لغة الماليين Les Mandingos ، وكنت متوهما ، ذلك لأن Macbrair يقول (3 — 297) ان هذا اللباس يحمل لدى هذا الشعب اسم دوريكي .

المثال ، سلة معمولة من اغصان النخلة (خـــوص السعف) المبروم برما شديدا (بركهارت ، الامثال العربية ، ر 310 ، لين ، الف ليلة وليلة ، ج 21 ص 210 ، النويري ، تاريخ مصر ، مخ 2 ص 33) وكلمة قفاز ، ولعلها نفس الكلمة ، تعني فزاعـــة Epouvantail معمولة من قطع الخشـــب الخفيفـــة (بركهارت ، ر 154) . والواقع ان بيدرو دي الكالا يفسر كلمتي مونابلا ارمادورا بكلمة قفاص ، وجمعها قفافيص . وتعني كلمة مانوبلا Manopla ، كمـا نعلم ، قفازا حديديا ، او جلديا .

القلصـــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي الكلمة الاسبانية كالزاس — التي تسللت الى لغة عرب الاندلس — ذلك لان بيدرو دي الكـالا (مفردات اسبانية عربية) يفسر كلمة كالســـاس Calças بكلمة قلصة — وجمعها قلصات — ويفسر كلمات : Calçada cosa de calças بكلمتي ملابس القلصات . ونحن نعلم ان كالـــزا calza تعنـــي ســـروالا — بنطلـــونـــا : Chausses, pantalon . وكلمة قلصات لها في مالطة نفس المعنى . (راجع فاسيلـي في كتابـــه تويميس مالطي — مج 1 — ص 40) .

القلنسوة — القلنسية

يقول لين (الف ليلة وليلة — ج 1 ص 323) الطبعة الانكليزية) هذه الحاجة موصوفة بصـــورة غامضة من قبل المعجميين العـــرب — بحيث انني لا استطيع الحصول على فكرة دقيقة محـــددة عـــن شكلها » .

هذه الكلمات من اعظم عارف باخلاق وعادات العرب — يجب دون ريب ان تسقط القلم من يدي — والا تمس من ذلك ان هذه الكلمة — حسب علمي — لم يذكرها اي رحالة اوروبي قدر له ان يزور الشرق في اية حقبة من الحقب — بالاضافة الى ان تنقيباتي الخاصة لدى المؤلفين العرب عادت تجر اذيال الفشل. ومع ذلك فيخيل الي بالرغم من انني لا اعـرض كل ما اعرض بوصفه واقعة ليس الى نكرانها من سبيل — ان هذه الكلمة تشير الى الطاقية التي توضع تحت العمامة (شقة البز) — وهي مرادفة لكلمة طربوش — الطربوش المستعمل في هذه الآونة . واليكم صورة كيفية وصولي الى هذه النتيجة .

قبل كل شيء — ساحملكم على ملاحظة عـدم وجود كلمة اخرى في اللغة العربية — حسب علمي — بمقدورها ان تعين الكلوتة (الطاقية — العرقية) التي تحاط بشقة من البز لتاليف او تكوير العمامة التامة على هذا المنوال . وعلى ذلك فهناك اسانيد كثيـرة تثبت ان العرب القدامى لم يكونوا يضعون الكلوتـة تحت العمامة . وفضلا عن ذلك — فان الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة × مخ دي كابانكوس — ص 152) يقول في وصفه لعاصمة الامبراطورية البيزنطيـة : « ودخلت مع الرومي الذى عينه الملك للركوب معي الى مانستار بشقه نهر وفيـه كنيسـة فيـها نحـو خمسمائة بكر عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة عليها قلانس اللبد ولهن جمال فائق وعليهن اثر العبادة » . وبعد ذلك (نفس المرجع) — يقول ابن بطوطـة في الباب المعنون ذكر الملك المترهب جرجيس (الملك (امبراطور) جورج المترهب) : « فاذا بهذا الملك ماشيا على قدميه وعليه المسوح وعلى راسه قلنسوة لبد ».

وارى من المحتمل كل الاحتمـال ان الرهبـان والراهبات في القسطنطينية كانوا يلبسون القلانس. ويقول الرحالة المذكـور ايضـا في مـادة قبشـاق Le Kiptchak حيث النسـاء ملكات (ورقة 141) : « وربما كان مع المراة منهن زوجها فيظن من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب الا فروة من جلود الغنم وفي راسه قلنسـوة تناسب ذلك يسمونها « الكلا ». ويترجم الزمخشري : « مقدمة الادب » « Zamakhschari (Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 62) »

« قلنسـوة بكلمة (كـلاه) » .

ونجد في موضع آخر لدى ابن بطوطـة (مخ. ص 83) : « نزع شاشيته عن راسه وهم يسمونها الكلا » . وكلمة (كلا) الفارسية الموجودة في هذه النصوص تشير الى الكلوتة Calotte او الطاقية او العرقيـة

القلنـــســـوة (44)

(راجع تعليقة لانكيس Langlès على رحلات شاردان : Voyages de Chardin وكلمة شاشيـة لها نفس المعنى .

(44) جاء في متن اللغـة : القلنسـوة والقلنسية والقلسوة والقلسية والقلساة . والقلنسانة من ملابس الراس . جمعها : قلانس . وقلانيس وقلنسى وقلنس وقلاسي وقلاس . تصغيرها : قليسية .

واخيرا فان المؤلفين العرب طالما ذكروا ان الاولياء او الرهبان فى الشرق يلبسون القلنسوة . وعلى ذلك فان عمرة هؤلاء الناس تنحصر غالبا فى طاقية بسيطة او كلوتة « Bonnet ou culotte »

يقول ابن بطوطة (الرحلة — مخ. ص 112) فى معرض حديثه عن قديس او ولي جبل (لمعان) : « وعليه مرقعة وقلنسوة لبد » . ويخبرنا النويري (تاريخ مصر — مخ. 2) — فى حوادث سنة 610 — عن موت ولي من اولياء الله الصالحين — فيقول : (ص 22) : « وكان لا يلبس غير الثوب الخام وقلنسوة من جلد الماعز » .

وهذه الادلة التى عرضتها الآن يمكن ان نضيف اليها ان المسلمين يلبسون غالبا طاقيتين او كلوتتين (طاقية وطربوشا الخ) — وان ابن بطوطة (مخ. ص 120 — 121) يقول — متحدثا عن الفتيان الاخية (راجع (لي — رحلة ابن بطوطة — ص 68 — 69) : « وعلى راسهم قلانس بيض من الصوف باعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها فى طول ذراع وعرض اصبعين . فاذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوة ووضعها بين يديه وتبقى على راسه قلنسوة اخرى من الزردخاني وسواه حسنة المنظر (45) .

(45) هذا ما تأخذه كلمة قطعة من معنى فى معظم الاحوال . (راجع النويري — تاريخ مصر — مخ. 19 ب — ص 24 ، والف ليلة وليلة — ط مكناكتن — ج 2 ص 46) . وكلمتا تقطيع وجمعها تقاطيع ومقتطع لهما نفس المعنى . ونقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 — ص 204) خمس تقاطيع سكندري (خمس قطع اقمشة اسكندرانية) . وفي الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 1 — ص 111): جاء بمقطع حرير ، جاء بشقة حرير .

وكلمة زردخاني موجودة كذلك فى نصوص اخرى لابن بطوطة — تحت رسم زردخانة . فهو يقول (مخ 219) — فى معرض كلامه عن بعيرين : وجعلت لهما جلتين من زردخانة مبطن بالكمخا . (وكلمة جلة تعني بردعة — اذ يقول ابن بطوطة فى موضع آخر (مخ. ص 149) : وفرسها مجلل بجلل حرير مزركش بالذهب) . راجع كذلك نص رحلة فى السودان لهذا المؤلف — مترجم فى الصحيفة الآسيوية — س 4 — ج 1 — ص 208 .

واعتقد انني واجد هذه الكلمة العربية فى اللغة الاسبانية — برسم Zarzahan . والواقع ان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمة Zarzahan بكلمة زردخان .
وبمعونة الكلمة الاسبانية ايضا نستطيع تفسير الكلمة العربية . ويرى كوبا روفياش حول كلمة çarçahan فى كتابه (كنز اللغة القشتالية ، مدريد 1610) ان كلمة Zarzahan او كلمة Zarzalian تعني نوعا من الحرير الفاخر — من صناعة المغاربة وهو شبيه بالتفتة (الحرير الرقيق) .
وما دامت قد أتيحت لي فرصة التحدث عن اسم قماش مفسر باللغة الاسبانية — فساقول كذلك بعض الكلمات عن كلمة عربية اخرى ليست مفسرة لنا باللغة الاسبانية فحسب — وانما هي مشتقة من هذه اللغة — وكانت قد ترجمت ترجمة سيئة .

هذه الكلمة هي كلمة تليس التى اعالجها . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ. ص 282) : يصلحون اسقيتهم ويملأونها بماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح . وهناك نصوص اخرى لابن بطوطة تبرهن ان ترجمة اصيلة لهذا النص سليمة لا غبار عليها . وهكذا يقول فى موضع آخر (مختصر. ص 95) : « طرحت هنالك اياما مستورة العورة بقطعة تليس » . ويضيف ابن بطوطة (مخ ص 80) العزاء والحداد بمناسبة وفاة ابن ملك ايذج : Idhadj فيقول : « فوجدت مشور دار السلطان ممتلئا رجالا وصبيانا من المماليك وابناء الملوك والوزراء والاجناد وقد لبسوا التلاليس وجلال الدواب وقد جعلوا فوق رؤوسهم التراب والتبن » .
ونستخلص من هذا النص ان كلمة تليس لابد انها تشير الى نوع من الاقمشة . والواقع ان دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي) يترجم كلمة تليس ب Taoes variegatus والكلمة العربية ليست سوى تحريف للكلمة الاسبانية terliz وهي بالفرنسية treillis وترجمتها الحرفية : نسيج

ويسمح للقلنسوة ان تميل احيانا الى جهة من الجهات ـ او الى الوراء ـ كما هي حالة الطربوش المستعمل حاليا فى سورية والمغرب. ونقرا فى كتاب ملتقى الابحر (مخ 1211 ـ ص 164) : « ويحل للنساء لبس الحرير ولا يحل للرجال الا قدر اربعة اصابع كالعلم . ويلاحظ على ذلك شارح مجمع الانهر (ط. القسطنطينية ـ ج 2 ـ ص 258) هذه الملاحظة : « وكذلك اذا كان فى طرف القلنسوة لا بأس به اذا كان قدر اربعة اصابع » . وبعد ذلك (ص 259) « وفى القنية تكره التكة المعملة من الابريسم وهو الصحيح وكذلك القلنسوة وإن كانت تحت العمامة». ومن كلمتي طرف القلنسوة فى الفقرة الاولى ينبغي ان نفهم ـ ان لم اكن متوهما ـ الطرف المرفرف من هذه الطاقية . ومن الكلمات الاخيرة فى الفقرة الثانية التى تعني فى مذهبي وان كانت القلنسوة مغطاة تماما بالعمامة ومحجوبة بها ـ يبدو انها تؤيد رايي فى ان كلمة قلنسوة لا تدل على شيء آخر غير الطاقية او الكلوتة او العرقية (القلنسوة) التى توضع تحت العمامة .

وكانت القلنسوة شائعة الاستعمال فى الاندلس ـ على الاقل أيام دولة بني أمية ـ ذلك لانني اقرا فى تاريخ الاندلس للنويري (مخ 2 ص 478) : واشار الحاجب بانتزاع قلنسوة شانشول عن راسه فانتزعت » . ولم اجد هذه الكلمة فى مفردات بيدرو دي الكالا . وما يسميه الاقباط اليوم قلاسوة او قلوسية ـ لا يمت مطلقا الى عمارة الراس بنسب ولكنها عصابة عرضها اربع عقد وطولها قدم ـ وهم يرسلونها تحت العمامة ـ وتتدلى على الظهر . (راجع لين ـ المصريون المحدثون ـ ج 2 ص 354) .

القميص

يلبس الشرقيون القميص فوق السروال ـ وليس تحت السروال ـ كما هي عادة الاوروبيين . وقميص الرجال فى مصر معمول من التيل البندقي (البندقي ـ الف ليلة وليلة ـ 7 هابشت ـ ج 2 ـ ص 62) ـ أو من الكتان ـ او من القطن ـ او من الشاش الموصلي ـ اومن الحرير ـ او من الحرير والقطن المخططين ـ ولكن هذه القمصان جميعا بيضاء لا تشوبها الوان اخرى (لين ـ المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 39) . اما قمصان النساء فمشغولة من الحرير (الف ليلة وليلة ـ ط. مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 874 ـ رحلات فنسان لبلان المشهورة ـ ج 2 ـ ص 139) :

« Les Voyages fameux du Sieur Vincent Le Blanc »

ومن القطن الرفيع الخيوط للغاية (منتكازا ـ قصة رحلة من اورشليم ـ ص 90

« Mantegaza, Relatione del Viaggo di Gierusalemme »

ومن الكتان ـ ومن الشاش الموصلي ـ ومن الحرير والقطن ـ واخيرا من الكريشة الملونة واحيانا السوداء (لين ج 1 ـ ص 56) . « اما قمصان الاغنياء فهي مزركشة الحواشي والفتحات عادة ومطرزة بالحرير تطريزا يدويا بالابرة » كما يقول كوبان Coppin فى كتابه (درع اوروبا ـ ج 1 ـ ص 200)

ونحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط. مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 600) : « قلعت اثوابها واتت فى قميص رفيع مطرز بطرز من الذهب » . وفى

الخيوط . وقد فرغنا من رؤية ان الكلمة العربية تليس تعني بساطا غليظا مختلف الالوان . واجد الكلمة الاسبانية terliz مستعملة بنفس المعنى فى الابيات التالية المنسوبة الى فيليب الرابع :

هل رايت فى نفس المكان — حيث كان التليس مطرزا
كالندى باشعة الشمس . — اضاعة الريف لونه الاخضر ؟

وفضلا عن ذلك فانني اذ اشتق كلمة تليس من كلمة terliz لا اخمن تخمينا اعرضه ـ وانما هي واقعة محسوسة : ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمات : Terliç texido a tres lizos بكلمة تليس وجمعها تلاليس .
وفى مصر الحالية يطلق اسم تليس على كيس اسود ـ او مرقط برقطات بيضاء وسوداء ـ وهو معمول من شعر الماعز الذى يستعمله القرويون لحمل قمحهم. الى السوق (راجع بركهارت ـ الامثال العربية ـ ص 68 ـ 97) ـ ومن هناك يطلق على مكيال حنطة .

موضع آخر (ج 1 — ص 828) : « وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات وراس الكمين مكتوب عليه هذه الابيات ». (لم يذكر المؤلف الابيات — المترجم) . والفقهاء يحللون للرجال ان تكون عرى وازرار قمصانهم من الحرير (مجمع الانهر — ط القسطنطينية — ج 1 — ص 259) .

اما عن هيئة القميص — فله كمان واسعان للغاية — يهبطان الى المعصم — ويتدلى القميص الى منتصف الساقين (كوبان ولين — راجع كتابيهما القيمين) .

ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان — ص 45 : (Voyage du mont Liban في وصف ازياء سكان طرابلس الشرق : « ان قمصانهم وكذلك ستراتهم — لا ياقة لها — وهي معمولة من القطن الابيض . وبعض القوم يلبسون قمصانا زرقاء ذات اكمام مفرطة في الاتساع — بحيث يرى الراؤون كل اذرعتهم عارية . ونهاية هذه القمصان غير مشقوقة مطلقا — وهي على الاقل تبدو مخيطة حتى النهاية بوصفها خارج السراويلات — ولهذا السبب يجعلونها واسعة فضفاضة » . ويقول دارفيو — مذكرات — ج 6 — ص 425 — 426 . D'Arvieux, Mémoires في معرض حديثه عن نساء حلب : « انهن يرتدين سراويلات طويلة مثل الرجال — ويلبسن فوقها قميصا طويلا عريضا من الشاش الموصلي المخطط المرقط — او من نسيج آخر — لا يختلف في شيء عن نسيج اقمشة قمصان الرجال » . ويظهر من كتاب (بيترو دلافاله — رحلة من تركيا — ص 750 — راجع ج 1 من فارس — ص 161) :

« ان قمصان النساء في بغداد كانت في العادة من الحرير الملون — وكانت لهم اكمام مفرطة في السعة والطول ».

ويقول اوليفييه — رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس — ج 4 — ص 327) :
« Olivier (Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse) »

في معرض وصفه لازياء نساء هذه العاصمة : « ان القميص الذى هو فوق السراويلات — مصنوع من الشاش الموصلي المطرز بالحرير الملون بلون الذهب — وهو مفتوح من امام — مثل قميص الاوروبيين ».

ويقول شاردان (الرحلات — ج — ص 70) « Chardin, Voyages » في كلامه عن النساء الفارسيات : « ان القميص المسمى Camis الذى ربما جاءت كلمة Chemise منه — مفتوح من الامام حتى سرة (البطن) » .

ويخبرنا هوست — اخبار من مراكش وفاس — ص 114 — 115) :
« Höst, Nachrichten von Marcks und Fes »

ان قميص المغاربة لهكمان مفتوحان — وكل كم من هذين الكمين يبلغ طوله احيانا خمس اذرع — ويعلقان غالبا فوق الظهر — بحيث ان الذراعين تظلان حينئذ مكشوفتين . وحول العنق يكون هذا القميص دائما وابدا مطرزا بالحرير الاصفر . وقمصان التيل التى يرتديها المغاربة قد اتى على ذكرها (دييكو دي توريس — قصة الشرفاء — ص 85 :
. (Relation des Chérifs

ودييكو دي هيدو — خطط مدينة الجزائر — ص 27 — 28 — مج 2 ، ومارمول — وصف افريقيا — ج 2 — ص 102 — مج 2)

واذا لم اكن متوهما — فان كلمة قميص هي الاسم الوحيد للباس الذكور في القرآن الكريم . وهذا الملبوس كان يلبسه محمد (ص) (عيون الاثر — مخ 340 — ص 188) — وكان يصنع من القطن .

ويظهر ان الشرقيين كانوا يعلقون اهمية كبرى على الا تكون اكمام القمصان مفرطة في الفضفضة والاتساع — ذلك لان ابن اياس (تاريخ مصر — مخ 367 — ص 74 — 75) يخبرنا في حوادث عام 793 : « وفي شوال نادى الامير كمشبغا نائب غيبة (السلطان) .. ان لا امراة تلبس قميصا باكمام . وكانوا قد افحشوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد ».

ويقص علينا السيوطي (حسن المحاضرة — مخ 113 ص 348) نفس الواقعة بالشكل التالي : « وفي سنة ثلاث وتسعين امر كمشبغا نائب الغيبة ان ... ومنع النساء من لبسان القمصان الواسعة الاكمام وشدد في ذلك » .

ويسمى La chemise de nuit (قميص الليل) — قميص النوم . راجع الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج 1 — ص 192) والشك الموجود في الترجمة الانجليزية — بعناية لين (ج 1 — ص 301) .

ونحن نعلم ان كلمة قميص قد تسللت الى اللغات الرومانية (46) .

القمطة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويفسر الكونت دي شابرول هذه الكلمة فى كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 113) ، على هذا المنوال : « قطعة من الشاش الموصلي تلف عدة لفات حول طربوش (النساء المصريات) : وهي تتالف من جزئين . والجزء الفوقاني منهما احمر او من لون صارخ فاضح : وجماع العمارة يشكل حول الراس شبه وسيدة ناتئة تزين باللآلىء وتزركش بالاحجار الكريمة .

القناع ، المقنع المقنعة

تشير كلمات قناع ومقنع ومقنعة الى : نوع من القماش (شال) يضعه الجنسان على الراس . (مقارنة مع عصابة وكوفية) . ونجد فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 168) بابا معنونا « باب التقنع » ، حيث نقرا ما يلي : « وقال ابن عباس : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عصبة دسماء » . وقال انس : « عصب النبي صلى الله عليه وسلم على راسه حاشية برد » .

وفى حكاية مروية فى الكتاب نفسه، عن عائشة، نقرا : فقال قائل لابي بكر : « هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا متقنعا فى ساعة لم يكن ياتينا فيها » .

وقد راينا آنفا ، فى نص من رحلة ابن جبير (حول كلمة خرقة) ان الاقنعة كانت تؤلف جزءا من ملابس البدو . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 143) فى مادته عن بلغار الفولغا : وعلى راس الوزيرة والحاجبة مقنعة حرير مزركشة الحواشي والجوهر ملبسا بهما (47) . وفى موضع آخر (ص 156) : تعرضت لي بالباب امراة عليها ثياب دنسة وعلى راسها مقنعة . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 820) : كان الغلام نائما (وكان على راسه مقنع مروزي ازرق . وفى موضع آخر (ج 3 ، ص 161) « البست اثانة عشاقها ملابس النساء . وقالت للعاشق الاول (القاضي) : يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على راسك حتى نحضر بالماكول والمشروب وبعد ذلك تقضى حاجتك » . فاخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع .

---

(46) يقول كتاب عيون الاثر : (قميصا صحاريا وآخر سحوليا) . وليس بمقدوري اقرار اي نوع من القماش كان يرد من مدينة صحار Zohâr ولكن كلمة سحولي تشير بالتاكيد الى قماش من القطن الابيض ـ ذلك لانني اقرا فى كتاب « مراصد الاطلاع » (مخ 295) : سحول بالضم وآخره لاسم قرية من اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية » .

(47) ان كلمتي ملبسا بهما موجودتان كثيرا فيما يقفو ، بعد الكلمات : « وبيد كل واحدة منهن (الجواري) عمود ذهب او فضة او يكون من عود ملبسا بهما » ، حيث تمثل معنى مضادا ، وحيث لا علة تدعو لاستعمال هذه التثنية . وعلى هذا فلا يمكن وقوع هذه التثنية ، فى النص برمته ، الا اللهم فى الجملة التى تدور حول الوزيرة والحاجبة . ولعل هاتين الكلمتين قد عثر عليهما احد النساخ فى هامش النسخة التى كان ينسخها فادرجها خطأ فى موضع لا يلائمها . وفضلا عن ذلك، فانني اعتقد ان كلمتي « ملبسا بهما » قد اضافهما ابن بطوطة ليشعر القارىء بان المقنعة كانت تستعمل لباسا للراس وعمرة لهؤلاء النساء ، وليست خمارا . وفى نص آخر يقول بوضوح « ان نساء بلغار الفولغا لا يلبسن الخمار » . والكلمة التى تعني مزينا مزركشا، التى يجب ان تسبق (والجوهر) ، وكذلك المسمى الآخر ، قد حذفهما النساخ .

والفرق بين القناع والمقنع كائن ، حسب مذهب المعاجم ، فى ان المقنع ليس له سعة القناع (48) .

وكلمة قناع (وربما كذلك كلمة مقنع وكلمة مقنعة) تشير كذلك الى : خمار وجه تستعمله النساء . ويصف لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ص 210) على هذه الشاكلة : « القناع قطعة من الشاش الموصلي له طول ذراع او اكثر ، وله اقل من ذلك للعرض ، ويوضع شطر منه فوق الراس ، تحت الازار ، ويتدلى سائره ، من الامام ، حتى الوسط ، وهو يعطي الوجه بتمامه . وطالما رايت نساء عربيات، ولاسيما نساء الوهابيين ، وهن واضعات اخمرة من هذا النوع ، وكانت تصنع من الشاش الموصلي الملون، وهي تخفي الملامح والقسمات جميعا، ولكنها مصنوعة صنعا مخاخلا لئلا تحول بين النساء وبين رؤيتهن مواقع اقدامهن فى الطرقات . وكان القناع يصنع احيانا من الحرير (مقارنة مع الف ليلة وليلة ، ط مكناكتن ، ج 3 ض 177) ويزركش بالذهب . فنحن نقرا فى الف ليلة وايلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 176) : قل له : « اعطني القناع الذى عندك مرسوما (49) بالذهب فان ما عنده فى دكانه احسن منه فاشتره يا ولدي بأعلى ثمن » .

وينبغي اضافة جمع قناع اقنعة الى القاموس ، وهو موجود فى نص ابن جبير ، الذى نشرته حول كلمة خرقة . ويقول (بيدرو دي الكالا ، مفردات اسبانية عربية) ايضا : (اقنعة ، قناع :
« Toca de muger o tocado » .

ونجد لدى مؤلف فارسي (ميرخوند ، تاريخ السلاجقة) مقنعة ، مستعملة كجمع مقنع . ونقرا فيه :

« جهت دختران سراي مقنعه وامتعه كه مناسب ايشان بود خريده »

« وقد اشتريت لنساء السراي مقانع واشياء اخرى تناسبهن » .

وكانت كلمة قناع مستعملة ايضا فى اسبانيا (مقارنة دوزي ، تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 61 ، س 6) . ومن هنا الف الاسبان كلمتهم الكينال Alquinal .

القـــوج

يبدو من نصي كتاب الف ليلة وليلة ، اللذين اوردهما فريتاك ، ان هذه الكلمة تشير الى شبه عمارة تلبسها النساء مع العصابة ، او العصبة . ويعتقد فليشر (كتابه ، ص 39) انها الكلمة الفارسية سرغوج ، المحذوف منها مقطع سرا ، 61 يقول هذا العالم الجليل : « حذف مقطع جذري من الكلمة . ومع ذلك فانني لا استطيع ان احل محاها كلمة اقرب اصلا منها . ويقول فليشر كذلك : « والمصريون الذين سألتهم قالوا انهم يجهلونها » . ويتحتم علي ان اعترف بأنني لم اجد كلمة قوج لدى اي مؤلف آخر . واذا كانت كلمة قوج تشير الى ما تشير اليه كلمة سراغوج ، وفى اللغة العربية سواقوج ، فهي عمارة امراة مسبلة من جهة على الجبين ، مغطية

---

(48) لعل هذا المقنع المذكور قد صنع من اللحم . راجع كلمة جبة . اما عن كلمة مروزي فبوسعنا استشارة ابن خلكان (وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 4) . ولم يدرك لين (الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 222 ، الترجمة الانجليزية) معنى مقنع فى هذه الفقرة .
ولو ترجمنا كلمة قناع فى هذه الفقرة بكلمة Voile خمار ، لاخطانا : 1 ــ لان المراة لا تلبس الخمار وهي فى بيتها ، ولدى حضور احتفال، 2 ــ لان السياق يقضي فى هذه الفقرة احلال قناع محل عمامة ، واخيرا 3 ــ لان العاشق الثالث (الوزير) قد دعي الى لبس غلالة زرقاء وطرطور احمر . وعلى ذلك ، وكما راينا سالفا ، تشير كلمة طرطور الى لباس راس بصورة يقينية جازمة .

(49) ان كلمة مرسوم تعني مزركشا . فنحن نقرا فى رحلة ابن جبير (مخ 320 ، ص 46) : لابسا ثوب سواد مرسوما بذهب . وكلمة مرسوم تعني كذلك مزركشا بالذهب . فنحن واجدون فى الكتاب المذكور (مخ ، ص 83) : خلعتان من الدبيقي المرسوم البديع الصنعة) .

الشعر ، ومتدلية حتى الكتف اليسري » . (كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 236) (50).

الكبـــــوت

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة الاسبانية Capote ، التى تسللت الى لهجة عرب الاندلس ولهجة المغاربة ، Des Maghrébins ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية وعربية) يفسر كلمة Capote بكلمة كبوت ، وجمعها كبابيت . ويفسر كانيس :

Cañes (نحو ، ص 171) كذلك كلمة كبوت بهذه الكلمات : معطف بلا كمين Capote sin mangas .

ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 241) ان كلمة كبوت Kabbout تشير الى نفس اللباس الذى تشير اليه كلمات Sant à Barra (راجع كلمة سنتبر) .

الكجــــة

يقول جان جاك شلتنس ، فى قاموس فريتاك :
« Pila maior, quae fit ex complicato panniculo »

« انها كساء مصنوع من عدة خرق متنوعة »

ولم اصادف مطلقا هذه الكلمة ، ولم الاحظ اي تعليق عليها من قبل شلتنس على نسخة كوليوس التى استعان بها هذا العلامة ، والموجودة حاليا فى مكتبة ليدن (51) .

الكرزيـة وجمعـها الكـرازي ـ الكرسية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقول الرحالة العربي الاندلسي ابن جبير (الرحلة ، مخ 320 ، ص 48) ان امير مكة كان متعمما بكرزية صوف بيضاء رقيقة . ونحن نقرا فى الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ 24 ، ص 42) : قال : كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الامام ابي حامد الغزالي فجاءه رجل كث اللحية على راسه كرسية فدخل المدرسة واقبل على الشيخ ابي حامد فسلم عليه فقال : « ممن الرجل ؟ فقال : « من اهل المغرب الاقصى » .

ويقول مارمول (وصف افريقيا ج 2 ، ص 3 ، مج 4 وص 4 ، مج 1) فى معرض حديثه عن بربر ولاية حيحا اقصى بلدان مراكش العربية : « انهم لا يضعون الطواقي ولا القبعات على الراس ، ولكنهم يشدون عصائب من الصوف يسمونها كرزية Cursias . وهي واسعة سعة جريدة النخل ، وطويلة ، فيلفون بها الراس خمس او ست لفات ، باعتبارها عمامة (Como tocas)واجمل هذه العمائم مزركش بالحواشي القطنية ، وهي مصبوغة بالحنة، ولها شرائط وقياطين مبرومة تتدلى على الجوانب بمثابة هدبات » .

ويقول دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 240) فى معرض وصفه ازياء سفراء مراكش ، الذين وفدوا الى امستردام عام 1659) : « كان لباس راس احدهم ينحصر فى طاقية Een muts) تدعى فى اللغة العربية كرزية Kurzya وهي مصنوعة من قماش صوفي غليظ ، ولكنها لم تكن مكورة حول الراس بشكل انيق ، كما تكور العمامة عادة بأناقة ، وهي الطراز السائد لدى المغاربة ، ومع ذلك فان بعض سكان هذا القطر يلبسونها معمولة من نسيج القطن الرفيع ومكورة حول الراس ، ويسمونها حينذاك Sied او Sjed (شد) .

---

(50) ان كلمة سراقوج ، التى يتحدث عنها كاترمير فى هذا الموضع ، تشير بصورة خاصة الى طاقية تترية ، ولهذه العلة لم اتقبلها فى كتابي . فانني اقرا مثلا فى كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 253) : كان صاحب سيس قد اعتمد ما يقتضي فسخ الهدنة التى وقع الاتفاق عليها فى سنة ست وثلاثين عند اطلاق ولده ليفون وقطع الهدايا المقررة عليه وخالف الشروط من انه لا يجد ذنبا ولا يحصن قلعة . وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه . ثم لم يقتصر على ذلك الى ان صار يلبس الارمن السراقوجات ويخيف بهم القوافل ويدعي انهم من عسكر التتار » .

(51) الكجة : لعبة للصبيان ، ياخذ الصبي خرقة فيدورها كأنها كرة ، ثم يتقامرون عليها (المعجم الوسيط) .

واعتقد ان هذه الكلمة لم تكن معروفة الاستعمال الا فى اسبانيا والمغرب ، واعترف ان ابن جبير يستعملها اثناء حديثه عن امير مكة ، ولكن هذا التخريج ما زال بعيدا عن اثبات ان هذه الكلمة كانت مستعملة في بلاد العرب ، والا لكان الرحالة العربي الاندلسي قد خلع على هذا اللباس الذى رآه فى قطر آخر الاسم الذى كان يحمله فى وطنه .

ونجد لدى شارح عربي اندلسي للحريري (المقامات ، ص 255) وهو الشريشي جمع كرزية وهو كرازي . وكلمة كرزية لا مشاحة فى ان اصلها غير عربي ، واعتقد انها بربرية ، ذلك لاننا فى المفردات البربرية لمؤلفها فنتير (رحلة هورنمان و ج 2 ، ص 449) نجد ان كلمة تركرزيت Terkerzit تعني عمامة . فاذا بترنا المقطع (تير) تبقى لدينا كلمة كيرزيت Kerzit ، وهي مماثلة كل المماثلة لكلمة كرزية العربية ، فاذا خلعنا على هذه الكلمة الصيغة العربية ، حصلت لدينا كلمة كرزية .

الكـــــرك

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة التركية كرك او كورك — ويحسبها كاترمير (صحيفة العلماء — 1842 — ص 72) .

من بين الكلمات التى لم يتبنها المتبنون فى مصر — الا بعد احتلال هذا القطر من قبل العثمانيين . والواقع انني لم اجد هذه الكلمة لدى مؤلف عربي — سابق على غزو السلطان سليم لمصر . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 2 ص 90) كرك سمور .

ويقرر بوكوك فى كتابه (وصف الشرق — ج 1 — ص 327) ان الكرك Keriki كان فى مصر شبه فرجية — وكان يختلف عن هذا اللباس الاخير بأن كميه مقدودان بشكل آخر — وبان الكيريكي Keriki لم يكن يرتدى فى الحفلات الرسمية — وكان هذا الثوب يعمل من الحرير .

ويعلمنا فريزر (اسفار الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، الخ . . ج 2 ص 102) «ان شيوخ بدو المنتفك لا يتميزون عن اتباعهم الا بكرك مبطن بالفرو (52) . او بسترة وثوب من الجوخ او من الارجوان الانعم الارق الخ . .» (الاسقلاط — الاشكرلاط) .

الكســـــاء

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان هذه الكلمة تشير بصورة عامة الى لباس ، ولو لم يكن لها الا هذا المعنى الغامض ، لما قبلتها فى كتابي .

ولكن كلمة كساء لها معنى آخر ايضا ، فهي تشير الى ما تشير اليه كلمة حيك (راجع هذه الكلمة) . ويجزم دابر جزما قاطعاً فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، ص 239 ، مج 2) ان الحيك يسمى ايضا كساء Kissa فى المغرب . ونحن نعلم ان من كلمة كساء تألفت الكلمة الاسبانية Alquicer او Alquicel ، التى حتى المعاجم الحديثة تفسرها بما يلي : « لباس مغربي على هيئة معطف Manteau » ، وكذلك تشرحها بما يأتي : « قماش كانت تصنع منه اغطية المائدة » . واليكم ما يقوله كوبا روفياس (كنز اللغة القشتالية ، مدريد، 1611) حول كلمة Alquicel : « غطاء سرير (شرشف) او شيء آخر ، وهي منسوجة ، دون خياطة ، تستعمل غطاء سرير (ملاءة ، شرشف) . وهذه الكلمة مشتقة من فعل Queseye (كسا) التى تعني التغطية والالباس . هذا ما يقوله ديكودي اوريا : ويقول الاب كوادي ان كلمة Quicel تشير الى معطف (ازار) موريسكي (Capa morisca) وهناك آخرون يقولون ان Quise تعني فى اللغة العربية مقعدا (Asiento) Siège وعلى هذا فان كلمة Alquizel تعني حينئذ غطاء المقعد (La couverture du siège) . . ولكن قبل كل شيء ينبغي تصويب اوريا Urrea ، ذلك لانه متعمق فى فقه اللغة العربية » .

وتمثل لنا الاغاني الاسبانية القديمة فى معظم الاحيان الفرسان العرب مرتدين الكساء Alquicel (راجع مجموعة اغاني الموريسكيين الشعبية ، ص 13 ، 15 ، 164) . ويتحدث مارمول عن الكساء او

---

(52) لعله يقصد الفروة (المترجم) .

Alquicel ، ويجزم بأنه معطف من الصوف الفليظ. ويقول (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 3 ، مج 9) فى معرض حديثه عن البربر فى حيحا Héha : «لباسهم الاعتيادي ينحصر فى الاكسية Alquicels . وهي تشبه اغطية المنام ، المصنوعة من الصوف التى تستعمل للتدثر بها ، ولكن هذه المعاطف انعم وارق، وتبطن بها الاجسام (53) . وبعد ذلك (ج 2 ، ص 38 ، مج 4) يقول على وجه التقريب نفس الشيء عن سكان سيكسيوا Secsiûa وهي سلسلة من الجبال فى مملكة مراكش .

ويقول فى موضع آخر (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) عن سكان مدينة فاس ، « اما اناس الطبقة المتوسطة الذين لا يستطيعون توفير العباء لانفسهم فيكتفون بارتداء هذه الكسى (Casaques Sayos) التى يلتفون بها » .

ويتحدث ديكودي توريس (قصة الشرفاء ، ص 327) عن جاكيت يسمونها Alquicel ويقص علينا كاداموستو فى كتابه الملاحة ، ص 99، 100) ان الزناغة (صنهاجة) Les Sinhadjah كما يلفظ العرب الكلمة ، يرتدون معاطف بيضاء يسمونها Alchezeli . واعتقد ان Al هي الاداة العربية ، و Li ، اذا لم اكن متوهما ، جمع ايطالي لنهاية جمع كلمة فى لغة المندنكو (Lo) راجع ما كبرير قواعد لغة المندنكو ، ص 13) (54) .

فاذا بترنا الاداة ونهاية الجمع فاننا نحتفظ بـ Cheze-Kezé كيزيه ، التي هي ولا ريب الكلمة العربية (كساء) .

وكلمة كساء بهذا المعنى مؤنثة — فنحن نقرا للمقري او بالاحرى لابن سعيد (لدي فريتاك ، طرائف عربية ، ص 148 ، 149) قال لابنه : « اعط هذا الشاب كساك الغليظة يزيدها على ثيابه . فدفع كساءه الي . ولما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها ويده فى الكساء » .

ونرى فى تعليق دي كايانكوس على هذا النص (تاريخ السلالات المحمدية فى الاندلس ، ج 1 ، ص 413) ان مخطوطة المقري التى يتملكها هذا العالم تذكر بكلمة بردة هنا بدل كلمة كساء . والواقع ان المعطف الكبير المسمى بردة ، لم يكن ليختلف كثيرا عن الكساء .

واليكم امثلة اخرى حول كلمة الكساء ماخوذة بمعنى معطف . يقول ابن خاقان (مطمح الانفس) مخ سان بطرسبورك ، 776 ، ص 52) : قال محمد ابن اسماعيل ، كاتب المنصور : « سرت بأمره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده ، والحضور على انزاله فى ملحده ، فنظرته ولا اثر فيه ، ولا عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين » .

ويعد مؤلف الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ 24 ، ص 9) من بين هدايا يوسف ابن تاشفين : « سبعمائة كساء بيض ومصبوغة » .

لذلك ارى ان كلمة كساء بهذا المعنى لم تكن مستعملة الا فى الاندلس والمغرب .

الكف وجمعه الكفوف

لا وجود لذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد، وكلمة كف تشير الى اليد — ومن هذا نجم ان كفوفا تستعمل للتعبير عن القفافيز . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 1 ص 1) : وكان الملك لابسا كفوفا من جلد السرادق . اما كلمة سرادق التى يترجمها و. تورنس Torrens بكلمات « حيوان مفترس »
. une bête de proie (a beast of prey)

فيخيل الي انها تشير بالتاكيد الى حيوان يستعمل لصنع الافرية — واعتقد انلها نفس المعنى فى هذا النص لابن خلدون (تاريخ الاندلس — مخ 1350 — ج 4 —

---

(53) ان فعل Batanar الذى نجده فى هذا النص، والذى تستعمله عدة قواميس اسبانية قديمة وحديثة ، وقد استشرتها ، لا تعطي الا معنى واحدا لا يلائم الموقف هنا ، فهو يعني الالتفاف بشيء (راجع مارمول ، ج 2 ص 9 ، مج 3 ، ص 32، مج 2) ، وهو مشتق من الفعل العربي بطن الذى يبدو أن عرب الاندلس قد استعملوه بهذا المعنى . (بيدرو دي الكالا) مفردات عربية ، يقول حول كلمة Aoriste Batanar (نبطن ، بطنت ، بطن).

(54) Grammer of the Mandingo language زنوج سودانيون ، اسسوا امبراطورية مالي القوية عام 1230 .

ص 12) : وعشرة افرية من غالـي جلـود الفنـك الخراسانية وستة من السرادقات العراقية .

وهذه الكلمة وكلمة قفاص (عد الى الصفحات السالفة) هما ـ حسب علمي ـ الكلمتان الوحيدتان اللتان تستعملان للتعبير عن القفافيز : Des gants وهي جزء من الملابس ـ نادر الوجـود كل النـدرة فى الشرق .

الكلفـة ـ الكلفتـاة ـ الكلوتـة

لقد سبق لكاترمير ان كتب فى (تاريخ السلاطين المماليـك ـ ج ـ ق 1 ـ ص 138 ـ تعليقـات ومقتبسات ـ ج ـ 13 ـ ص 271) ملاحظات غاية فى الاهمية ونفاذ البصيرة وثقوب الـراي وصحـة الاحكام ـ حول هذه الكلمة ـ وبرهن على انهـا : طاقية تؤلف هيكل العمامة ـ وعلاوة على ذلك فانها نفس كلمتنا : كالوت Calotte وهذا الجنـس من الطاقية لم يكن يلبسه الا رجال الطبقة الرفيعة .

وانني اقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ـ مخ 372 ـ ص 350) : كان من الرسم فى الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العسكر انهـم يلبسون على رؤوسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبـا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة فوقهـا . وتكـون شعورهم مضفورة مدلاة بدقوقة وهي فى كيس حرير اما احمر او اصفر .

وبعد ذلك بقليل (ص 351) يعلمنا المقريزي ان السلطان الملك الاشرف خليل : بدل الكلفتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الامراء ان يركبوا بين مماليكهم بكلفتات الزركش .

وسأحملكم مرة اخرى على ملاحظـة ان هـذه الكلمة تؤلف كذلك فى حالة الجمع كلاوات ـ لانـني اقرا فى نص من تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ـ ص 110) : انعم عليهم وشملهم بالخلع السنية بالكلاوات الزركش ـ وفى مجلد آخر ، مكتوب بخـط المؤلـف (مخ 19 ب ـ ص 29) : فركبوا بالكلاوات الزركش.

الكـمـة

يذهب القاموس (ط كلكتا ـ ص 1690) الى ان الكلمة هي : (القلنسوة المدورة) .

الكمـر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويعلمنا المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ـ مخ 372 ـ ص 350) ان الامراء والجنود والسلطـان نفسه ـ فى ايام حكم السلالة التركية ـ كانوا يرتدون (من فوق القباء كمران بحلق وابزيم) .

نرى مما تقدم اذن ان كلمة كمر الفارسية قد تسللت الى اللسـان العربي ـ وان (كمران) المقريزي هو مثنى كمر فى اللغة العربية . ويقول لين (الـف ليلة وليلة ـ ج 2 ـ ض 600) ان الحـزام الـذى يحتوي على حافظة النقود يدعى عادة بالكمر .

الكـمـرة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نجـد فى كتاب الف ليلة وليلـة (ط مكناكتن ـ ج 2 ـ ص 427) : وقد ارسلت اليكـم ملحفة ومكمرة . ويذهب لين فى تعليقـه على هـذا النص (ج 2 ـ ص 600) الى ان المكمرة تشير الى نفس ما يشير اليه الكمر . وقد فرغنا توا من التحدث عن هذه الكلمة .

الكـمـع

يذهـب القامـوس (ط كلكتـا ـ ص 1086) فى تفسير هذه الكلمة الى انها القباء نفسـه .

الكنبـوش وجمعه الكنابيـش

لا وجود لهذه الكلمـة فى القامـوس بالمعنـى المنشـود .

ويترجم بيـدرو الكـالا (مفردات اسبانيـة عربية) كلمة Antifaz بكلمة كنبوش ، كنابيش ، وان كلمات Toca de muger و Velo de muger يعبر عنهما نفس التعبير فى كتابه .

ويترجم دونبـاي Dombay (قواعـد ولغـة المغاربة العرب ، ص 83) كلمـة Velum بكلمـة كنبوش . فهذه الكلمة اذن تشيـر الى صنـف مـن الخمار تلبسه نساء الاندلس والمغرب . ولا يخالجني ادنى ريب بمماثلة هذه الكلمة للكلمة الاسبانية Cambux التى تشير ، حسب مـذهب هيروسم فيكتـور فى كتابه كنز اللغات (Tesoro de las tres lenguas, Genève, 1609 الى قناع او خمار او نقاب يغطي الوجه ».

وتذهب المعاجم المحدثة الى انه : « منديل راس او عمارة راس صغيرة من البز تحفـــظ بها رؤوس الاطفال » . وهي توازي كذلـك الكلمـة الاسبانيـة Cancabux التى تشير ، حسب راي فيكتور ، الى كلمة Antifaz ذاتها ، اي انها خمار يوضـع علـى الوجه (55) .

المكـــور ـ المكـــورة ـ المكـــوار

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 651) هــذه الكلمات بأنها العمامة .

الكوفيـــة والجمـــع الكوافـــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واليكم باديء الامر ما يقوله ليـــن (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 130) : « الكوفية منديل مربع يلبس فوق الراس ، له من الطول ذراع ، ومثله من العرض ، وهو من الوان مختلفة ، ولونه احمر غامق او ضارب الى الدكنة او من اللون الاخضر الزاهي ومن الاصغر المرقط احيانا ترقيطات واسعة واحيانا ضيقة، وعلى طول النهايتيـن المقابلتيـن له هدابات كثيرة ، مؤلفة من شرائط وقنزعة . واشيع شكل من الكوفية مؤلف من القطن ، وهناك نوع آخر من القطن المشوب بالحرير ، ونوع ثالث من الحرير المكفت بالذهب . وهذه الكوفية يلبسها فى هــذه الآونـة الوهابيــون وبعض قبائل البدو . ولكن الوهابيين يلبسون النوع الاول من الكوافي فقط ، لانهم يـرون ان الملابـس المصنوعة كلا او جزءا من الحرير او الصوف محرمة من قبل الشريعة . وكان هذا اللباس منتشرا فـى القديم بين سكان المدن . ويلبسه الرجـال بوجـــه خاص ، وتطوى هذه الطرحة بصورة منحرفة، وتوضع فوق الطاقيـــة ، بهيئة تتدلى معها على الظهـــر الزاويتان المثنيتان ، والزاويتـــان الاخريـان على الجبهة . وهناك قطعة من الصوف ، او عمامة تلف على العموم حول الطرحة ، وفى بعض الاحيـــان يتعمد بعضهم ابراز الزوايا ، او اظهـار الاقـــسام المتدلية على الجبين ، وتعقص هذه الزوايا فى اعلى نقطة من العمامة . وسكان المدن يلبسون عادة العمامة فوق الكوفية » . وبوسعكم مقارنة هذه التفاصيـل بتلك التى هيأها لنا فيسكيه Fesquet فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 185 :Voyage en Orient) الذى يكتب الكلمة Couffie او Caffieh .

وكان السلاطين المماليك فى مصـر يلبســـون الكوفية (تاريخ السلاطين المماليك) وفى عهد تلفيق الف ليلة وليلة ، كانت النسـاء تلبس هذه العمرة . فنحن نقرا فى هذا الكتاب (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 333) : « خلعت بعض ثيابها وقعدت فى قميص رفيع وكوفية حرير » . وفى موضع آخر (ج 1 ص 45) : « كوفية بألف دينار » . وبعد ذلك (ج 1، ص 596): « على راسها كوفية دق الطرقة مكللـة بالفصـوص المثمنة (56) » . وفى موضع آخر (ج 1، ص 833) : « فوق راسها كوفية مطـرزة بالذهـب مرصعـة بالجوهر ». ويرى لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 614) ان النسـاء كن يلبسن الكوفية مثلما يلبسن اليوم الفرودية اي يلف الطرحة حول الراس ، بحيث انها تؤلف عمامة صغيرة .

ويكتب بركهارت الكلمة Keffie فيخطيء قليلا (ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 27) . واليكم كلماته : « يضع جميع البدو على الراس عمامة » . (يفسر بركهارت الكوفية بالعمامة ، فيعطي للقاريء فكرة زائفة عن هذا النوع من لباس الـراس) » او

---

(55) ماذا نستنتج من كل هذا الكلام ، هل الكنبوش هو الخمار فحسب ، ام هو بخنق المولود ، الـذى ذكره المتنبي ؟ (المترجم) .

(56) يفسر هابيخت فى قويميسه ـ بصدد الجزءالثاني من طبعته لالف ليلة وليلة ـ دق المطرقة برابة الذهب او الفضة Paillettes d'or ou d'argent وان كوفية او خلعة (ط Nabicht ج 2 ، ص 46) مؤلفتان برمتيهما من براية شيء غريب مضحك. ولكن كلمتي دق المطرقة ، او دق فقـط ، دلالـة على الزركش . فانني اقرا فى كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 154 انه وجد لدى احد الكبراء : « خمس مائة صندوق من دق دمياط وتنيس برسم كسوة جسده » . ونحـن نعـلم ان دمياط وتنيس كانتا مشهورتين بمصانع الزركش . وقد راينا فى موضع آخر من الفقرة الاولى من من الف ليلة وليلة ، التى اتينا على ذكرها فى النص ، ان الكوفية كانت تعمل من الحرير ، ومن الفقرة الثالثة انها كانت مطرزة بالذهب ، وهذاكله يفسر دق المطرقة !

طرحة مربعة ، مصنوعة من القطن ، او من القطن والحرير ، بدلا من طاقية الاتراك الحمراء — وتسمى هذه العمامة كوفية ، وهم يلفونها حول الراس بحيث ان جانبا منها يتدلى الى الوراء ، وان الجانبين الآخرين يهبطان امام الكتفين، وبهاتين الزاويتين يغطي الوجه، لوقايته من اشعة الشمس ولحمايته من الريح الحارة ، وتجنيبه المطر ، او لاخفاء ملامحه وقسماته، اذا لم يشأ الانسان ان يعرفه احد . والكوفية صفراء، أو صفراء وخضراء » . ونحن نقرأ بعد ذلك فى كتاب بركهارت (ص 131) : ان طرحة الراس أو الكوفية ذات الخطوط الصفراء والخضراء ، التى يستعملها الرجال ، هي شائعة الاستعمال بين كافة قبائل شمال مكة ».

وما دام بكنكهام (اسفار فى بلاد ما بين النهرين ، ج 2 ، ص 159) يقول : « ان اعراب الصحراء يتميزون بكوافيهم ، أو بعمرتهم الحريرية ، والقطنية فانني لا اتردد عن التفكير بأن كيربورتر (اسفار الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة ، ص 292 ، 293 ، ج 2 الخ) يتحدث عن الاعراب الزبيديين فى العراق العربي قرب بغداد : « بعمرة الراس تتميز اقدار الرجال لدى الاعراب » . والكوفية هي هي او تكاد تكون كذلك لدى كل الاعراب بصورة عامة ، وهي تتألف من شقة بز صفراء او حمراء ملفوفة حول الجبين بمثابة عمامة طويلة ومدببة تسقط على الصدر . واحيانا يمرر طرف منها فوق الذقن ، وحين تسقط هذه الشقة من البز فوق الكتف فهي تخفي كل الاخفاء العنق والقسم الاسفل من الوجه ».

ويقول فريزر (اسفار فى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، الخ ، ج 1 ، ص 228) عن اعراب بغداد « ان عمرة راسهم ليست اقل غرابة . فهي ليست عمامة ، كما يفكر الكثيرون ، انما هي على العكس من ذلك لا تشبه العمامة اي شبه . وهذه العمرة تنحصر فى نوع من الطرحة الحريرية الكثيفة النسيج ، وهذه الطرحة مخططة بخطوط متلالئة براقة، صفراء وحمراء ، فى حين ان لحمة الاطراف مبرومة على هيئة حبال رفيعة ، بمثابة حاشية بالغة الطول . وبعد ان تطوى شقة البز على هيئة مثلث ، توضع على الراس ، كما هي العادة الموجودة لدى العجائز الايقوسيات تماما ، بحيث يتدلى طرفان الى امام الكتفين ، اما الطرفان المضاعفان فيطرحان على الظهر » .

(مقارنة الجزء الاول) .

وقد راينا حول كلمة طاقية فى نص للمقريزي ان جمع كلمة كوفية هو (كوافي) . ولا اعتقد ان احدا تسول له نفسه ان يخلع على كلمة كوفية اصلا عربيا . اما انا فاعتقد ان كلمة الكوفية ليست الا كلمة Cuffia الايطالية ، و Cofia الاسبانية ، و Coiffe و Coifa البرتغالية .

وافترض كذلك ان الشرقيين قد استعاروا هذه الكلمة من الايطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة فى الموانىء المصرية والسورية فى القرون الوسطى ، وهم الذين كانوا ينقلون الصليبيين .

ولعل الاتراك قد نحتوا كلمة اسقوفية (كوفيتهم) من نفس الكلمة الاوروبية — وسأحملكم على ملاحظة ان كوتوفيك Cotovic فى كتابه (رحلة ، ص 489) (Itinerarium) قال فى معرض كلامه عن الفتيات اليهوديات فى الشرق : « انهن معتمرات بالكوافي الفضية او الذهبية ، يتخذنها كزينة ، اذا كن فى مقتبل العمر ، اما المسنات منهن فيلبسنها للمحافظة على هندام الشعر من جهة وعلى السمت والوقار من الجهة الاخرى » (*) .

اللبيبة

يقول الجوهري (ج 1 — مخ 85 — ص 93) : اللبيبة ثوب كالبقيرة (راجع كلمة اتب) .

اللبدة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس — بمعنى طاقية — عرقية — كلوتة . ويقرر لين (المصريون المحدثون — ج 1 ص 45) ان كلمة لبدة تشير الى طاقية من اللباد الابيض او الاسمر — التى يلبسها الرجال فى القاهرة تحت الطاقية الاعظم المسماة بالطربوش . (اذن فهي نفس الشيء — من حيث الاستعمال — كاستعمال الطاقية لدى الاشخاص من

(*) ندرج فى آخر المعجم مقالا عن مجلة المقتطف — عدد مارس 1941 بعنوان « الكوفية والعقال » « مقال بكر فى موضوع قديم جديد » — بقلم الأب انستاس ماري الكرملي .

الطبقة المترفهة) . ونجد في القاهرة اناسا في حالة فظيعة من الفقر والادقاع بحيث انهم لا يلبسون طربوشا ولا عمامة — فيكتفون باللبدة وحدها : La libdeh ونقرا في : رحلة الى الشرق ص (183) لمؤلفها فيسكيه Fesquet : « لا يضع الفقراء الملقون في مصر على رؤوسهم الالبدة — وهي نوع من الطربوش الابيض او الاسمر — مصنوع من الصوف المقصور » .

اللباس وجمعه الالبسة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان كلمة لباس تستعمل لدى اعراب كافة الاقطار بمعنى Vestitus, l'habillement الملبوس . ولكن لهذه الكلمة في مصر معنى لا يوجد في الاقطار الاخرى ، فهو يشير الى سوروال Un caleçon تبان . ويحدث في كثير من الاحيان ان ترد في نسخة من كتاب الف ليلة وليلة كلمة سراويل وفي النسخة الاخرى كلمة لباس ، فيحملنا هذا الوضع على الاعتقاد بأن هاتين الكلمتين مترادفتان . فنحن نقرا مثلا ، في طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 171) : «وكانت من غير لباس» . في حين ان طبعة هابيخت (ج 1 ص 60) تكتب : « وكانت بلا سراويل » . وبعد ذلك طبعة مكناكتن (السالفة) تعرض : « حل لباسه » . وطبعة هابيخت (السابقة) تقول : « قلع سراويله » .

ونقرا في موضع آخر من طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 172) : « وهو بلا لباس » . وفي طبعة هابيخت (ج 2 ، ص 62) : « وهو بلا سراويل » . وبعد ذلك في طبعة مكناكتن الماضية نقرا : « من غير لباس » . وفي طبعة هابيخت (ج 2 ص 63) نطالع : « بلا سراويل » .

ونقرا في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 234 ، حوادث سنة 815) : « القوه على مزبلة خارج المدينة وهو عريان مكشوف الراس ليس عليه غير اللباس » . ونطالع في الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 604) : « حلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وامسكته لجاريتين وقالت لهما : « جرا الحبل . فجرتاه ففشي علي — وقطعت ذكري وبقيت مثل المراة » . (57) . وفي موضع آخر (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 78) : « قلع البدلة ورماها على ظهر البغلة الى ان بقي بالقميص واللباس فقط . » (58) . وبعد ذلك (ط مكناكتن ، ج 2، ص 106) : « فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير والبستها لباسا من الخيش وقميصا من الشعر وانزلتها في المطبخ (59) . وقد نشر بركهارت (الامثال العربية، ر 6) المثل المحدث التالي : « اذا كانت العمائم تشتكي الفسه ايش يكون حال الالبسة ؟ (60) . ويضيف قائلا : « ان هذا المثل يستعمل عندما يتذمر سكان القاهرة من الاضطهاد ، في حين ان الفلاحين لديهم اسباب اقوى لجعلهم متذمرين » .

---

(57) سيلحظ المستشرقون بسهولة علة اضرابي عن ترجمة هذه الفقرة !

(58) تشير كلمة بدلة الى : الملبوس الرائع الجديد . فنحن نقرا في الف ليلة وليلة (ط مكنكتن ، ج 1، ص 122 : « ارسلتها الى الحمام والبستها بذلة». حيث لين (ج1، ص 194) يترجم New apparel وحيث طبعة هابيخت (ج 1 ، ص 310) تقدم هذه الكلمات : «البستها من افخر ملبوس » . ونجد في موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكناكتن ، ج 1 ص 348) : « اشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش » . وبعد ذلك (ج 1 ، ص 425) : « بدلة لباس تركية مزركشة ». وفي لفيف من فقرات اخرى توجد كلمة بدل مستعملة بنفس المعني وعبثا نبحث عن هذه الكلمة في القاموس .

(59) ان كلمة صيغة ومصاغ ومصوغ تشير الى زراكش الذهب لاسيما تلك التي تستعملها النساء. فنحن نقرا في كتاب النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 170) : « ومعها جارية تحمل القماش والمصاغ (مقارنة حكاية هذه الواقعة في تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 247) . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 245) :« الاموال والقماش والمصوغ » .

(60) معنى هذا المثل البذيء : « اذا كانت العمائم تشتكي من الفساء ، فما حال التبابين ؟ » .
(المترجم)

وائبسة جمع لباس ، وهو السروال الذى يلبس تحت السروال الاكبر ». (Under the great trowsers)
ويفسر الكونت دي شابول فى (وصف مصر ، ج 18، ص 107) كلمة لباس بكلمة Culotte d'été لباس الصيف ، المصنوع عادة من الخام » . وبعد ذلك (ص 112) يقول : « اللباس هو الكالسون Caleçon التبان او تبان الصيف Culotte d'été المصنوع من خام الكتان او القطن » . وكذلك يقول لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39) : « ان اللباس يشير الى كالسون واسع (تبان) من الكتان أو من القطن » .. والكالسون يتجاوز الركبة قليلا ، او يصل حتى كعب القدم ، ولكن الكثرة الكاثرة من الاعراب لا ترتدي التبان الطويل ، لان ذلك محرم بأمر رسول الله » . وحتى ايام الحملة الفرنسية على مصر كان تبان النساء يسمى كذلك باللباس ، ولكن فى ايامنا هذه لا يحمل هذا الا اسم الشنتيان . (راجع لين ، ج 1 ، ص 56) .

ويخبرنا هيلفريتش (تقرير موجز واقعي عن الرحلات ، ص 393) « ان رجال القاهرة كانوا يلبسون فى عهده ، تبانا طويلا عريضا، مصنوعا من الكتان الابيض ، يتدلى حتى يكاد يلامس الحذاء ». ويقول غليوم ليتكوف (رحلات برية فى القرن التاسع عشر ، ج 1 ، ص 171) عن تبابين نساء القاهرة الكتانية .

وتحدث كاترمير فى (كتابه القيم الذى سيرد ذكره ، ج 1 ، ق 1 ، ص 58 ، 59) عن كلمة فتوة وتعابير كأس الفتوة وسراويل الفتوة ولباس الفتوة ، وذلك فى احدى تعليقاته النفيسة ، حول تاريخ السلاطين المماليك ، وهو الكتاب الذى ادى اجل الخدمات لعلم فقه اللغة العربية ، وقد صدر فى اوروبا على شكل شروح . ولكنني مستغرب مع ذلك من هذا العالم الجليل لانه لم يلحظ ، فى معارضته لنص القريزي ، الذى ترجمه ، مع بيت ابي الحسين الجزار ، ان كلمة لباس هي مرادف لكلمة سراويل ، واتعجب مرة اخرى من ترجمة كاترمير كلمة لباس بكلمات Robe de dessus رداء فوقاني ، وهو المعنى الذى لم يخطر ببال كلمة لباس مطلقا . وفضلا عن ذلك فان النصين التاليين لابن بطوطة جديران . اذا لم اكن متوهما ، بتوضيح تعبيري لباس الفتوة وسراويل الفتوة ، وهما متماثلان . يقول هذا المؤلف (الرحلة ، مخ دي كابانكوس ، ص 84) فى معرض وصف شيراز : « وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب، وهي اعظم كرامات السلطان عندهم. واذا خلع ثيابه كذلك على احد كانت شرفا له ولابنه واعقابه يتوارثونه ما دامت تلك الثياب او شيء منها واعظمها فى ذلك السراويل » . وفى موضع آخر (ص 124) : « وله طائفة كبيرة من التلاميذ واهم فى الفتوة سند يتصل الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ولباس الفتوة عندهم السروال كما تلبس الصوفية الخرقة » . وبدل لباس الفتوة (تبان الفتوة) ، يقال ايضا ببساطة : « الفتوة » . فنحن نقرا مثلا فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ـ ص 146): « وفى هذه الليلة حضر الخليفة الى خيمة السلطان (بيبرس) والبسه الفتوة بحضور من يعتبر حضوره فى ذلك » .

ويستعمل مذيل اعمال المكين Elmacin ، وهو يروي نفس الواقعة (لدى كاترمير ص 59) ، تعبير: « لباس الفتوة » .

اللثـــام

يقول لين (الف ليلة ليلة ـ ج 1 ـ ص 485) : « اللثام هو قطعة بز يغطي بها البدو فى معظم الاحيان الجزء الاسفل من الوجه ، واللثام يمنع كثيرا معرفة العربي من قبل عربي آخر يروم ان يجعل منه ضحية الثار او الانتقام La vendetta ، وهو وسيلة للتنكر لا يستعملها عادة الا العرب الذين يقطنون الصحراء » .

وحين ارادت الاميرة بدور ان تنتحل شخصية زوجها اخذت ملابسه : ضربت لها لثاما (الف ليلة وليلة ـ ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 878) . ونقرا فى موضع آخر من الكتاب الذى ذكرته (ط مكناكتن ـ ج 2 ـ ص 59) : واذا بالملك امراة ضاربة لها لثاما . وبعد ذلك (ج 2 ـ ص 117) ـ فى معرض الحديث عن سيدة لا تريد ان يعرفها الناس : وهي ضاربة لثاما . فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه واذا هو جارية كالشمس الضاحية فى السماء الصاحية ذات حسن وجمال . وهذا النوع من الخمار كان يحجب من النساء الجزء الاسفل من الوجه كما يغطي نفس الجزء من الرجال . ويقول المعتمد (فى الخريدة ـ

مخ المكتبة الملكية فى باريس ـ رقم 1375 ـ ص 146) :

ولولا حياء جُنّها الليل طارقا
« وقبلت ما تحتِ اللثام من اللمى »

وان سلالة المرابطين Morabites قد استعارت اسمها من (الملثمين) ومن (اولاد الملثمة) من العادة التى درج عليها المرابطون بوضع اللثام تحت النقاب. راجع البكري فى ص 63 ـ ج 12 ـ تعليقات ومقتبسات لكاترمير) اذ نرى من تعليق هذا العالم الشارح كاترمير ـ ان العادة ما تزال باقية حتى ايامنا هذه لدى الطوارق والطيبو :
« Les Touarics et les Tibbo »

اللحاف

تشير كلمة لحاف ، مثل كلمة ملحفة ، الى كساء واسع للمراة . ويقرر ابن جبير (الرحلة ، مخ 320 ، ص 200) ان الصقليات (التحفن اللحف الرائقة) وقد احتفظن ، ايام الدولة النورماندية ، بالزي الاسلامي . ويخبرنا النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 156) ان الطوارق يلفون رؤوسهم بخمر زرق تسمى El Khaaf اللحاف. ولا يساورني ادنى ارتياب فى ان كلمة El Khaaf هي تحريف للكلمة العربية لحاف ، او اللحاف ، اذا اضفنا اداة التعريف .

الملحف ، الملحفة

كانت تشير كلمة ملحفة فى القديم الى ازار رجل . ويقرر كتاب عيون الاثر (مخ 340 ، ص 189) ان الرسول (ص) ترك فيما ترك ، وهو يجود بنفسه ملحفة مورسة (مصبوغة بالورس) .

وقد راينا آنفا ، بصدد كلمة خرقة ، بفضل نص من رحلة ابن جبير ، ان الملاحف هي ملابس البدو . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاباتكوس ، ص 17) عن البجاة فى مدينة (ايذاب): « وهم سود الالوان يلتحفون ملاحف صفر » . ويستعمل كتاب شرقيون آخرون كلمة ملاحف ايضا عندما يريدون الاشارة الى الازر التى تستعملها الشعوب المنعتقة من الهمجية . والواقع ان النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 155 يؤكد ان الازر المخططة المرقطة ، التى يرتديها اهل السودان تدعى Melhaffi Zaberma .

ولكن كلمة ملحفة كانت تستعمل فى المغرب والاندلس للاشارة الى الخمار الكبير او الازار الذى تتحجب به لنساء فى الشرق ، حينما يبرزن من منازلهن ، ولذى اطنبت فى الحديث عنه بصدد كلمة ازار . ويقول الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة ، مخ ، ص 83) فى معرض حديثه عن نساء شيراز : « ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء » . ويقول دييكو دي توريس (قصة الشرفاء، ص 86) بجزم وصراحة ، ان الثياب التى ترتدى فى مراكش Liçares ليسارس (الازر) تسمى فى غرناطة Almalafas الملاحف (61) . وقد قرانا هذا النص بصدد كلمة ازار ، وراينا فيه ايضا ان مارمول يتحدث عن الملاحف او الازر » Melhafas o lizares . ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، ص 27 ، مج 2) ترتدي النساء العربيات فى مدينة الجزائر فوق القميص نوعا آخر من القمصان ، على ثلاث هيئات (62) أي ملحفة تشبه شرشف انام » :
(Que es a manera de una sabana

---

(61) تذكروا ان عبودية ثماني سنوات فى مدينة الجزائر حملت سرفانتس حملا على ملاحظة ازياء الافارقة .

(62) سبق لنصوص دييكو دي هيدو ودييكو دي توريس وكوبا روفياس ان اوردها كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ص 654) . وتعني كلمة محلفة كذلك غطاء . راجع المقريزي (لدى سيرفستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 35 من النص) وهو يتحدث عن غطاء (ملحفة من الـ (مرتبة). وكذلك كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 427) . وكانت مدينة بعلبك مشهورة بصنع هذه الملاحف (ابن بطوطة ، مخ دي كاباتكوس ، ص 30) . وكلمة لحاف لها نفس المعنى (الف ليلة وليلة ، ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 82) . وتستعمل كلمة ملحفة ايضا فى التحدث عن غطاء (او جل) يوضع فوق ظهر الحصان . فنحن نقرا لدى ابن خلدون (تاريخ الاندلس ، مخ 1350، ج 4 ص 12) : « ثمانية واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير الذهب » .

الا ان هذا الاخير مربع ، وان الـ Malaxa الملحفة عرضها ثلاث اذرع ، او ثلاث اذرع ونصف الذراع ، وطولها ثماني او تسع اذرع ، وهن يلففن اجسامهن بها فوق القميص » .

ويصور لنا سرفانتس Cervantes في كتابه « اقاصيص نموذجية — Novelas exemplares ج 1 ، ص 13 » احدى بطلاته وهي مرتدية على الطراز البربري ملحفة Almalafa من الاطلس الاخضر مرصعة بالذهب (راجع كذلك كوبا روفياس ، كنز اللغة القشتالية ، مدريد 1611) حول كلمة ملحفة . وقد حرم فيليب الثاني على نساء غرناطة ارتداء الملاحف (مارمول ، حكاية المغاربة ، ص 36 ، مج 1).

الملفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويذهب ابن جني (شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 103) الى ان هذه الكلمة تشير الى قطعة بز تضعها النساء على الوجه ، توقيا للخمار من الدهن الذى يدهن به شعورهن . واليكم كلمات الشارح : الغفارة : كل ما توقي به المراة الخمار من الدهن . ويقال له الغفار والصقاع والملفة .

اللفاع

لا يمكن لهذه الكلمة ان تحتل محلها في هذا الكتاب الا بمعنى ملحفة، وهو المعنى الذى يخلعه عليها القاموس . وفضلا عن ذلك فان للفاع معنى يتسم بسمة العموم ، ذلك لان القاموس (ط كلكتا، ص 1088) يفسره هكذا : الملحفة او الكساء او النطع او الرداء وكل ما تتلفع به المراة . والواقع ان هذه الكلمة تشير الى كساء واسع للمراة . وان ابن خاقان في كتابه (تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 45) يعبر عن الموضوع باستعمال مجازي فيقول : « فاضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار (في معرض وصف حالة الخراب التى آل اليها قصر الزهراء) . (اي انه بعد انتمتع ماتمتع بالجمال والبهاء والالاء والاشراق والعزة والمجد) اصبح هذا القصر في يوم من الايام انقاضا فوق انقاض ، وقد التف بالخرائب كما تتلفع المراة بالازار والعمرة » . ومعنى ذلك ان القصر انهار انهيارا شاملا . والمؤلف يقارن البناية المخربة بامراة متلفعة بازارها الفضفاض وبتاج راسها ، بحيث اصبح من الاستحالة بمكان تمييز احد اجزاء جسمها .

المجون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

على ان هذه الكلمة المشتقة من فعل مجن (Durus crassus fuit) تشير — حسب تقرير المقريزي (راجع آنفا ما دار من الكلام حول كلمة جوخة) الى ثوب له كمان وهيكل قصار — وهو مفصل من الجوخ — دون بطانة داخلية — ولا بطانة خارجية .

المرط

يقول القاموس (ط كلكتا — ص 970) عن المرط انه (كساء من صوف او خز) . ويقول التبريزي (شرح الحماسة — ص 504) ما يقارب هذا القول . ويقول الجوهري : « المروط وهي اكسية من صوف او خز كان يؤتزر بها . ويقول ابن جني كذلك في (شرح ديوان المتنبي — مخ 126 — 249) : « والمرط شبه كساء تلبسه نساء الاعراب وتأتزر به . ويقرر النووي (تهذيب الاسماء — ص 33) ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرتدي احيانا (مرطا اسود من شعر اي كساء) .

ولكن يبدو بالبداهة من بيت مذكور في الحماسة (ص 579) مستشهد به الجوهري (ج 1 — مخ 85 — ص 520) والشارح ابن خاقان (لدي فيرس — حول ابن زيدون — ص 40 — 137) ان كلمة مرط تعني كذلك نوعا من التبان السروال .

المسار

يفسر القاموس (ط كلكتا — ص 1948) هذه الكلمة بانها (كساء صفير له خطوط مرسلة وازار الساقي (الساق) من الصوف المخطط .

المز او المزد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تحريفات من الكلمة التركية مست . ويذهب الكونت دي شابرول فى (وصف مصر — ج 18 — ص 109) الى ان حذاء المصريين يتألف باديء ذي بدء من المست Mest — وهو نوع من الجواريب معمولة من السختيان المراكشي — الذى يغطي القدم بتمامها » . ونحن نقرأ لدى لين (المصريون المحدثون — ج 1 — ص 42) « بعض الناس يلبسون كذلك الخفاف (Inner shoes) المشغولة من السختيان المراكشي الاصفر اللين الناعم الملمس — مع بطانة نعلية من نفس الجلد — ويسميه : المز او بصورة أصح المزد — وهو تحريف للكلمة التركية المست ».

المسح

ان جمع هذه الكلمة هو مسوح . ويعرض كوليوس كلمة مسوح بوصفها مفردا — ولكنني أعتقد انه متوهم .

فنحن نقرأ فى اساطير بيدبا (ص 12) : « القى عليه مسوحه وهي لباس البراهمة » . وبعد ذلك (ص 30) : « فلما جاء الرسول قام فلبس الثياب التى كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهي المسوح السود » . وفى الشرح التاريخي لابن بردون على قصيدة ابن عبدون (مخ — ص 75) : « ثم انخلع من ملكه ولبس المسوح وساح فى الارض » . وفى رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس — ص 151 — 152) : واكثر هؤلاء الملوك اذا بلغ الستين او السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت » . وفى موضع آخر (ص 152) يقول نفس المؤلف ان الراهبات فى بيزنطية يلبسن المسوح (عليهن المسوح) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن) ان درويشا قال : « لبست مسحا اسود » . ونستخلص من فقرة لابن خاقان (مطمح الانفس — مخ سان بطرسبورك — ص 76) ان المسوح فى اسبانيا كان يرتديها العبيد النصارى . وانه كان لباسا لا شان لتفصيله — ولعله كان يشبه بعض الشبه كيس العبريين (63) . وكان يرتديه الرهبان بصورة خاصة وكذلك العبيد . ونستنتج بالاضافة الى ذلك من فقرة للمقري (تاريخ الاندلس — مخ دي غوتا — ص 365) ان المسح كان لباس الحداد . فان هذا المؤرخ يجزم بارتداء القيان للمسوح بعد وفاة المنصور — فيقول : « لبس قيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخز » (64) .

السومي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن فى احد كتب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين — ص 17) نجد ما يلي : « هناك انواع مختلفة من الكسي ، من الازر الناعمة الرقيقة بافراط من العباءات الخفيفة الهفهافة المشغولة من

---

(63) تشير كلمة مسح كذلك الى قماش من شعر الماعز او من شعر الحمير — يستعمل لحياكة العباء. يقول راوولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات — ص 132 ، 133) — واصفا هذا الزي لدى ازماعه السفر من حلب الى بغداد : « لباس يلبس فوق لباس آخر يغطي كافة الملابس — وهو معمول من « المسكة » : المسوح — وكان شائع الاستعمال لدى المغاربة والبربر . ويعمل غالبا من شعر الماعز واحيانا من شعر الحمير . وهذا اللباس ضيق لا اكمام له — وقصير لا يصل الى الركبتين — وهو يختلف عن بعضه . والفاخر منه مشغول برقة — خصوصا المعمول بصورة مخططة بخطوط سوداء او بيضاء — وكذلك المرقط — وبعضه الغليظ للخيم — ويستعمل اثناء الاسفار فى الصحاري وتتخذ منه العدول التي توضع على ظهور الحمير والبغال لحفظ علف هذه الحيوانات — ومنه يشد فى رقابها كما تعمل منه حقائب للصيد . وهذه الاكياس تعود بذاكرتنا الى عبور العبريين .
ونذكر بهذه المناسبة الاصحاح (37) من سفر التكوين من الكتاب المقدس وغيره :
« فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه اياما كثيرة » .

(64) لا ادري كيف اغفل المؤلف قصيدة ابن العتاهية المسوحية — التى مطلعها :
رحن بالوشي واقبلن عليهن المسوح   كل نطاح من الدهر له يوم نطوح
(المترجم)

الصوف الابيض ، المعمولة فى بغداد – وهي تحمل اسم المسومي Mesoumy فى قائمة الكلمات العربية المدرجة فى نهاية الكتاب .

المقلـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القامـوس – بمعنـى عمامـة .

ويقرر لين (المصريون المحدثون – ج 1 – ص 47) ان العلماء كان من عادتهم ارتداء عمامة غاية فى السعة وعلى هيئات مختلفة – وتسمى مقلة – وبعض الاشخاص الذين ينتمون الى هذه الطبقة ما يبرحون يلبسونها حتى يومنا هذا . ويتحفنا لين بصورة هذه العمامة .

المطـر – الممطـر – المطـرة

ان المراد – كما يشير الى ذلك اصل الكلمة – ثوب يرتدى للتوقي من المطر . وهو معمـول من الصوف – وينص القاموس (ط كلكتا – ص 658) على ما يلي : « المطر والممطر والمطرة ثوب صوفـي يتوقى به من المطر » .

الملاة – الملاءة – الملايـة

لا وجود للصيغة الاخيرة فى القاموس .

وقديما كان هذا النوع من المعطف لا يلبسه الا الرجال – ذلك لاننا نقرأ فى كتاب الاغاني (لدى كزكارتن طرائف عربيـة – ص 130) ان المغنيـة الشهيرة عزة الميلاء كانت قد اكتسبت لقبها الميلاء – على راي بعضهم – لانها كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال . والواقع ان الهيئة التى يخيل الينا ان الرجال كانوا يرتدون وفقها هذا الثوب – والتى ما يبرحون يتبعونها حتى يومنا هـذا – ليست مخلة كثيرا باحتشام المراة وحيائها . فنحن نقرأ فى كتاب لين (المصريـون المحدثـون – ج 1 – ص 45) : « ان هذا الثوب نوع من المعطف الازرق والابيض ويدعى ملاية – ويلبس هذه الملايـة كذلك بعض الرجال وعلى الاخص بعض النساء . وسناتـي على وصفها التفصيلي عند التحدث عن زي النساء – والرجال يطرحونها على الكتفين – او يلفـون بها الجسم » . وجاء فى (وصف مصر – ج 18 – ص 110) : الملاية شقة من القماش القطنـي المخطط بخطوط زرقاء وبيضاء – طولها ثماني اقدام وعرضها اربع اقدام . وتستعمل استعمال المعطف (الازار) او استعمال جبة كبار رجال الكهنوت camail » .

ولا يساورني هاجس ريب فى ان بوكوك يتحدث عن هذا اللباس (وصف الشرق – ج 1 – ص 327 – 328) حين يقول : « وهي عادة سارية على وجه التقريب بين الاعراب والمحمديين المولودين فى هذا القطر فى ارتداء ازار ابيض او اسمر – وفى الصيف يتخذونه من القطن الابيض والازرق – ونصارى الريف يتبعون على الدوام هذه العادة . وهم يغطون الذراع اليسرى باحدى الزوايا – ويطرحون الثوب الى الوراء – ويجعلونه يمر تحت الذراع اليمني – ثم فوق الصدر وعلى الجسم ، ويرمى سائره على الذراع اليسرى بحيث يجعلونه يتدلى على الظهر . والذراع اليمنى تبقى مكشوفة – بغية استعمالها بحرية . وحين يشتد الحر وهم على ظهور خيولهم – يسبلون الازار على السرج – بحيث انه لا يغطي الا البطن الاسفل . وقد لاحظت قرب الفيوم شبانا يافعين خصوصا من سواد الشعب – لم يكونوا يرتدون الا هذه المعطف او الازار » .

ويخبرنا هورنمان فى كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق – ص 21) ان الملاية يلبسها الرجال فى سيوه . ويقول الرحالة انها شقة كبيرة بخطوط زرق وبيض – وانها تطوى وتطرح على الكتف الايسر » . والملاية او الملاية النسائية تنتسب الى اسرة الازر الكبيرة او المعاطف الواسعة – التى تستر بها النساء الجسم كله (مقارنة مع كلمة شوذر وحبرة وازار وملحفة) . ويذهب لين (المصريون المحدثون – ج 1 – ص 66) الى انها نوع معطف يشبه من ناحية الشكل الحبرة – ويتالف من شقتي قطن منسوجتين تربيعات زرقاء وبيضاء – او على هيئة خطوط مائلة منحرفة – مشوبة باللون الاحمر فى كل طرف ... وعلى العموم فالقوم يرتدونها ارتداءهم للحبرة – ولكنهم فى بعض الاحيان يلبسونها لبسهم للطرحة » . ويضيف لين الى ذلك معلقا : « هناك نوع ملاية افخر وابدع – وهو مصنوع من الحرير – وله انواع متعددة – ولكنه قلما يلبس فى يومنا هذا . والشقتان اللتان تتالف منهما الملاية مخيطتان معا – كالشقتين اللتين تتالف منهما الحبرة ». (قارن من ناحية هيئة

ارتداء هذا الملبوس — هذا الكلام بالرسم (ص 65) فى كتاب لين) .

ويذهب هورنمان (مذكرات الخ .. ص 22) الى ان النساء فى سيوه يلبسن الملاية ، التى يلففن بها الراس ويسبلنها على هيئة الازار » .

ويخبرنا بركهارت (اسفار فى البلاد العربية — ج 1 — ص 339) ان نساءمكة يلبسن ملاية من الحرير المخطط بخطوط بيض مجلوبة من المصانع الهندية » . ويرى روبل (رحلة الى الحبشة — ج 1 — ص 201) ان نساء مدينة مصوع يرتدين شقة كبيرة من بز القطن — هي فى العادة مخططة بخطوط زرق وبيض — وتدعى ملاية — وهي تغطي عادة الذراعين فى أعلى الجسم » .

وهذا النوع من الازار الكبير او المعطف شائع الاستعمال ايضا فى الجزيرة — ذلك لان بكنكهام (اسفار فى بلاد ما بين النهرين — ج 1 — ص 344) يقول — فى معرض حديثه عن نساء ماردين: «ان المحمديات والعيسويات يسترن انفسهن بشقة من البز ذي التربيعات الزرقاء تستعمل فى مصر وتضفي مظهر الفقر على اللباس باكمله » . وبعد ذلك (ص 392) يعلمنا الرحالة نفسه أن نساء ديار بكر « يلبسن احيانا معطفا من القطن فيه تربيعات زرقاء — مثل المعطف المرتدى فى معظم انحاء سورية ومصر » . وعلاوة على ذلك فيقال اليوم ملاية بدلا من ملاءة — مثلما يقال عباية بدلا من عباءة — ومراية بدلا من مرآة (بركهارت — الامثال العربية — ص 49 الخ (65) .

الملوطة

لقد لاحظ فليشر :
«M. Fleischer: De glossis Habichtianis, pag. 70».

واحسن الملاحظة — ان هذه الكلمة ليست الا كلمة (ملوطة) التى احالها الاقباط الى (ملوتة) . ونرى من تعليق لين (الف ليلة وليلة — ج 1 — ص 485) ان المعنى بكلمة ملوطة هو الجبة — وكذلك يراد بها اللباس الفوقاني الواسع — الذى كان يلبس فوق الفرجية . فنحن نقرا فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 2 — ص 446) : « ملوطة من الحرير ». ويعلمنا الامير رادزفيل Radzivil (زيارة اورشليم — ص 30) ان لباس المماليك التحتاني كان يدعى مرلوتة Marlotta وكان له كمان مفرطان فى السعة . وهذا الثوب كان شائع الاستعمال ايضا فى اسبانيا — ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يترجم كلمات Cugulla de abito de frayle بكلمة ملوطة (66) وجمعها ملاليط — وفى اللغة

(65) تشير كلمة ملاءة كذلك الى غطاء . فنحن نقرا فى الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط القسطنطينية — ج 2 — ص 259) : « وكذا لا باس بملاءة حرير يوضع فى مهد الصبي لانه ليس بلبس » . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن — ج 1 — ص 111) : « ارخوا عليه ملاءة من الحرير » . وبعد ذلك (ج 1 — ص 361) نقرا ان امراة طاعنة فى السن وسيدة شابة تبارزتا — فأحرزت المراة الشابة النصر — وطرحت العجوز ارضا : « فأقبلت الجارية ورمت عليها ملاءة من الحرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت لها » . وفى موضع آخر (ج 1 — ص 820) اضطجع رجل لابس قميصا ومقنعا : ثم تغطى بملاءة من حرير » . وبعد ذلك (ج 1 — ص 821) نقرا كذلك فى نفس القصة : « وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان » . وبعدئذ (نفس المرجع) : « وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها » . واخيرا (ص 827) : « وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان » .

(66) يقول كوبا روفياس (كنز اللغة القشتالية — مدريد 1611) حول كلمة Cogulla « معطف الراهب الملحق به قبع على هيئة مغزل — وينتهي بلسان — وهذا القبع يشبه اقباع رهبان شارترو والرهبان الكبوشيين . وهو فى اللغة اللاتينية كوكولا Cuculla » . ومع ذلك فانني ارى ان (المعطف) Cugulla الذي ذكره بيدرو دي الكالا لا قبع له — نه يقول مباشرة بعد المواد المذكورة فى النص Cugulla con capilla Cuculle avec un capuchon (معطف مقبع) قبيلة — وجمعها قبابل — وهذا يبرهن — اذا لم اكن متوهما — انه حينما يقول كلمة Cugulla لوحدها — فانه يعني بذلك : « معطفا لا قبع له » .

العربية ـ التى يتخاطب بهاسكان شبه جزيرة اسبانيا ـ كانت تشير كذلك الى الجبة ـ لان بيدرو دي الكالا يقول مباشرة بعد المادة المذكورة :Cugulla assi جبة ـ وجمعها جباب .

ويفسر المؤلف المشار اليه كذلك كلمات سايا دي موخير Saya de Muger (تنورة امراة) بكلمة ملوطة ـ وجمعها ملاليط . (وقد قات آنفا ـ ص 87 انني ارى ان كامة بلوط وكلمة بلوطة ليستا سوى تحريف لكلمة ملوطة) . والواقع ان المؤرخين الاسبان القدماء يصورون لنا الفرسان والسيدات المغاربة مرتدين الملاليط فى معظم الاحيان . وهم يتحدثون عن ملوطة زركش Marlotta de brocart كان يلبسها ملك غرناطة (حروب غرناطة الاهلية ـ ص 35 : « Guerras civiles de Grenada » .

وعن ملوطة من المخمل فاخرة رائعة بافراط مطرزة بالذهب كان يرتديها فارس مغربي (المرجع السالف ـ ص 36) ـ وعن ماوطة من الحرير الاملس حمراء اللون (مجموعة اغاني المتنصرين (الموريسكيين) ص 32) :
« Romancero de Romances Moriscos »

وعن ماوطة خز ثلاثية الطبقات ـ كانت تلبسها ملكة غرناطة (حروب غرناطة الاهلية ـ ص 71) ـ وعن ملوطة من الدمقس ـ كانت ترتديها سيدة مغربية (المرجع السالف ـ ص 71).

وقد حرم فيليب الثاني على النساء المغربيات ارتداء الملاليط Marlotas . (مارمول ـ ثورة المتنصرين (الموريسكيين ـ ص 35 ـ مج 1 :
(Marmol, Rebelion de los Moriscos

انظر كذلك مجموعة اغاني الموريسكيين ـ الخ . . ص 13 ـ 31 ـ 35 ـ 40 ـ 43 الخ) .

ونحن نعلم انكلمة مرلوطة Marlota ما برحت مستعملة في اسبانيا .

ويبدو ان هذا الملبوس كان يرتدي فى مالطة ايضا ـ ذلك لاننا نجد فى معجم فاسالي ـ اللغة المالطية ـ مج 455) كلمة ماوط ومؤنثها ملوطة ـ والجمع ملاليط وملوطات ـ ولكن يخيل الينا اننا نجهل هذا اليوم معنى هذه الكلمة فى هذه الجزيرة ـ لان المعجمي يضيف « نحن نجهل المعنى » :
« Car le lexicographe ajoute : desideratur significatio »

المـــــوزج

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الكلمة الفارسية موزه ـ التى تسللت الى اللغة البيزنطية (متكساكيون ـ متكساكين) وهي فى اللغة السريانية (موقو) . وتشير الى (جزمة : (Une bottine . راجع : فليشر :
(de glossis Habichtianis, pag. 92 et l'Allgemeine Literatur-Zeitung, 1843, Ergänzungsblätter, col. 134)

ملحق جريدة عامة عن الادب لسنة 1843 .

النجـــاف

يفسر القاموس (ط كلكتا ـ ص 1330) هذه الكلمة بانها المدرعة . (راجع هذه الكلمة) .

النخـــاف

يفسر القاموس (7 كلكتا ـ ص 1321) هذه الكلمة بانها الخف . والظاهر انها نفس الكلمة مضافا اليها الحرف المساعد (ن) .

المنـــدل

يذهب القاموس الى ان المندل هو الخف كذلك.

المنديـــــــل (68)

لا وجود لهذه الكلمة فى القامــوس ، بالمعنــى المراد . وهي تشير الى : Le turban

1 ــ العمامة (شاش ، عمآمة) . فنحن نقرا فى اسفار اوليياريوس (رحلات الى موسكوفيا وبلاد التتار وفارس ، ص 811) : « ان طواقــي الفــرس وتدعى Mendils مناديل ، فى اللغة الفارسية ، وعمائم فى اللغــة التركيــة (كلمة دلبند فارسية ، وليست تركية) هي مصنوعة من القطن او من قماش حريري آخر ناعم رفيع الخيوط له الوان مختلفة، وهم يلفونها عدة لفات ، ولها من الطول ثمانــي او تســع

---

(68) ان كلمة منديل تعني كذلك : Un mouchoir (منديلا ، محرمة) فنحن نقرا فى عيون الأثر (مخ 340 ، ص 189) ان الرســول (ص) كان لديه (منديل يمسح به وجهه) . وفى رحلة ابن بطوطــة (مخ دي كاباتكــوس ، ص 144) : « وبكت ومسحت على وجهها بمنديل كان بين يديها». وفى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 288) : « فلما سمع السلطان ذلك وضع منديله على وجهه وبكى » . وفى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن، ج 1 ، ص 234) : « حط منديله على وجهه وبكى ساعة » . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص112 : « فرميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير » . ويلاحظ لين (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 424) بهذه المناسبة ، الملاحظة التالية : « هناك عادة سائدة بين الاعراب هي ان يهدوا نقودا مصرورة فى زاوية منديــل مطــرز » . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 607) يصــف ليــن منديل الشرقيين على هذه الشاكلة : « المناديل على العموم مستطيلة الشكل ، ولها حاشيتان مطرزتان بالحرير الملون المكفت بالذهب ، والحاشيتــان الاخريان محرومتان من هذه الزركشة » . ونقرا فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 568 : « منديل مطرز » . وبعد ذلك (نفس المرجع) « منديل ابيض » . وفى موضــع آخــر (ج 1 ، ص 572) : « منديل احمر » .
ويربط الشرقيون المنديل بالحزام . (اللوحة 15 ، الصورة 3 ، فى كتاب هوست ، اخبار من مراكش ، وبكنكهام ، اسفار فى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 152) . والعادة نفسها كانت سائدة بين الفرسان المسيحيين فى اسبانيا (مجموعة اشعار الموريسكيين « قصة السيد Le Cid) . واذا اعطى احدهم المنديل الى آخر فهي اشارة العفو . فنحن نقرا فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن، ج 1 ، ص 271) : « فقال اخي اراد الامان فاعطاه منديل الامان » . (راجــع تورنس ، الليالــي العربية ، ج 1 ، ص 33 ، ولين ، ج 1 ، ص 434) . وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 175) : « فقال الشاب : « العفو يا امير المومنين . اعطني منديل الامان ليسكن روعي ويطمئن قلبــي » . فقال له الخليفة : « لك الامان من الخــوف والاحسان » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 76) : » فجاءه الملك الصالــح اسماعيــل بعساكره الى القدس وصحبته الافرنج » . فأرسل الى الشيخ بعض خواصه بمنديله وقال له : «ادفع اليه منديلي وتلطف به واستر له وعده بعودة الى مناصبه . فان اجــاب فايتنــي بــه وان شنك فاعتقله فى خيمة الى جانب خيمتك» . وكلمة منديل تعني :
2 ــ منشفة ، طرحة . فنحن نقرا فى كتاب ابن بطوطة (الرحلة ، مخ، ص 108) : « فاخذها (الثياب) وربطها فى منديل وجعلها فوق راسه وانصرف » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ2 ، ص 31) كان يرسل ــ حلوا ورغيفا فى منديل مختوم » . وفى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 255) : « فجاءتنــي بكــوز مــن الذهب الاحمر مرصع بالدر والجــوهر مــلآن مــاء ممزوجا بالمسك الاذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الاخضر » .
2 ــ ميدعة . راجع النص الذى نشرته من النويري حول كلمة بقيار . وتستعمل كلمة Mandil الاسبانية فى المعنى نفســه . واخيرا تشير هذه الكلمة الى الخامات بصورة عامة . فنحن نقرا فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 106) وتزايدت الاقوال بانه مسموم وان زوجتــه خونــد سعادات قد سمته فى منديل عما يقال » . ويوضح الامر ابن بطوطة (مخ ، ص 95) فيقــول : « سمته فى منديل مسحته به بعد الجماع ».

اذرع ، ولها طيات وثنيات خفيفة مخيطة ومقصبة بالذهب . وطواقي رجال الدين الفرس ، وخصوصا الحفاظ ، هي خالصة البياض ، ومثلها مثل سائر ملابسهم الناصعة البياض . وبعضهم يلحقون بمناديلهم قنزعة من الحرير تتدلى على ظهورهم ، او فوق اكتافهم ، ويبلغ طولها نصف ذراع . والسادة ، اي اولئك الذين هم من سلالة الرسول ، والذين يزعمون انهم أعقابه وورثوه ، لهم قنزعة من الحرير الاخضر فى عمائمهم (69) . وهذا المعنى الذى كان لكلمة منديل فى فارس ، ما زال يجري على اقلام الكتاب العرب . وقد سلف لي ان قلت حول كلمة عمامة ، ان لبس العمامة حول الرقبة كان علامة على الخضوع والولاء ، وان المتظاهرين بهذه الشارة كانوا يشهدون على انفسهم اعترافهم بالمتسلط القاهر وتفويضه حق الحياة او الموت (الاحياء والامامة) فنحن نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ، ص 37) : «شاهد الغلبة فخرج الى السلطان وفى عنقه منديل». وفى كتاب ابن أياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 149) : « نزل من القلعة هو وبقية النواب واخذوا فى رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان » . وقلت كذلك حول كلمة عمامة ، ان العمامة تستعمل لصر النقود فيها . وعلى ذلك ، فنحن نقرأ فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 87) : « تذكر ان منديله وقع فى القبر وفيه جملة من الدراهم » .

وكلمة منديل تشير كذلك الى :

2 ـ حزام (منطقة) . يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخطوطة دي كايانكوس ، ص 97) عن مماليك الجوهريين فى تبريز : « عليهم الثياب الفاخرة واوساطهم مشدودة بمناديل الحرير » . ويقول الرحالة نفسه فى معرض كلامه عن الملك هرمز (ملك هرمز؟) ص 115) : « وهو مشدود الوسط بمنديل » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 46) نجد : « وهو مشدود الوسط بمنديل » . ونقرأ فى كتاب مارمول (وصف افريقيا ، ج 2 ص 3، مج 4) وهو يتحدث عن بربر Héha فى المغرب الاقصى من مملكة مراكش : يتمنطقون على جلودهم العارية بمناديل (Con unos mendiles من نفس القماش (الصوفي (الذى يغطيهم من موقع الحزام حتى وسط الافخاذ » .

المنسرية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر هوست فى كتابه (اخبار من مراكش . ص 119) ان نساء مراكش يلبسن 1 ـ القميص 2 ـ القفطان 3 ـ يلبس بعضهن فوق هذا الثوب منسرية Ueberzug او ميدعة surtout من تيل الكتان الرقيق » . واخيرا 4 ـ الحيك Le haïk

وقد تأيد هذا المذهب من قبل كرابر دي همسو فى كتابه (المراة الخ ، ص 82) المكتوبة فيه الكلمة Monsoria ويكتبها دونباي (النحو المغربي العربي ، ص 82) منصورية ، ويترجم الكلمة بانها Indusium .

المنشير

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 667) هذه الكلمة بانها المئزر . (راجع الكلمة) .

المنشف

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد سبق لنا ان رأينا آنفا (حول كلمة مئزر) ان الصيغة المؤنثة لهذه الكلمة هي منشفة ، وهي موجودة فى اللغة العربية ، وان مؤلفين من مصر يستعملونها بمعنى Torchon, serviette منشفة .

وفى اسبانيا كانت تشير صيغة المذكر منشف الى نوع من عمرة الراس ، ذلك لان بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) يفسر كلمة الميزر Almaizar بكلمة منشف ، وجمعه مناشف .

راجع عن كلمة الميزر كلمة مئزر

(69) راجع (1) الاولى ان ما يقوله اوليايروس غير مطبق فى ايامنا هذه ، لان الفرس يلبسون اليوم طاقية من جلد النعاج عالية ضيقة سوداء . وقد رأى كيربورتس فى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة (ج 1،ص 415) عمائم كانت تلبس قديما فى فارس ، فى رسوم شيهل ستون (قصر الاعمدة الاربعين) .

النـــــص راس

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى دونباي (النحو المغربي العربي، ص 83) ان هذا التعبير يعني طاقية يستعملها الملاحون :
Galericulus nautarum, un petit bonnet dont se servent les matelots
وكلمة نص ربما تكون تحريفا وتشويها لكلمة نصف ، لان الناس فى المغرب ، وكذلك فى مصر (راجع لين، المصريون المحدثون ، ج 2 ص 419) ينطقون هذه الكلمة الاخيرة على هذه الصورة (راجع النحو ، ص 11) . اذن فان كلمتي نص راس تعنيان بالحرف الواحد : نصف الراس .

النطـــــاق

انني احيل القاريء الى ما قيل عن هذا النوع من اللباس من قبل العلامة سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 2 ص 303 ، 304) . ونحن نقرا فى شرح الحماسة للتبريزي (ص 38) : وذات النطاقين ، اسماء بنت ابي بكر ، ويسمي البخاري (الصحيح ، ج 2 ، مخ 356 ، ص 168) هذه المراة : ذات النطاقين ، ويشرح لنا لماذا منح اللقب هذا لابنة ابي بكر ، وذلك بالكلمات التالية : « فجهزناهما احب الجهاز وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فاوكات به الجراب ولذلك كانت تسمى ذات النطاقين » .

المنطـــق ، المنطقـــة

تشير هاتان الكلمتان الى الحزام ، ولكنه دائما حزام من الذهب او الفضة . فاننا لن نقرا ابدا عن منطق او منطقة من الجلد او من القماش ، ايا كان نوع هذا القماش. وبالرغم من تحريم التحلي بالذهب او الفضة على الرجال ، فان الشريعة قد احلت لهم التمنطق بمنطقة من الفضة او الذهب . فقد روي فى ملتقى الابحر (مخ 1211 ، ص 164) : « ويجوز للنساء التحلي بالذهب والفضة ولا يجوز للرجال الا الخاتم والمنطقة وحلية السيف) . ويلاحظ شارح (مجمع الانهر ، طبعة القسطنطينية ج 2 ، ص 259) على هذه الكلمات الملاحظة التالية : « والفضة اغنت عن الذهب لانهما من جنس واحد ». ومن كلمة منطق تالف فعل تمنطق . فنحن نقرا فى رسائل ابن الخطيب (مخ 11 ، ص 21 : « قد تمنطقوا فوق الاقبية الديباجية » .

النعـــــل

لقد سبق لهامر ـ بركستال فى ((كتاب فيينا السنوي ـ ج 69) ان برهن بصورة مقنعة للغاية ان كلمة نعل تعني صندلا ـ خفا
Une sandale
وليس انواعا اخرى من الاحذية . وبوسعكم مشاهدة شكل الخفاف العربية فى كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية ـ اللوحة 2) . وحين يتحدث تيرنر فى كتابه (يوميات جولة فى المشرق ـ ص 428 ـ ج 2) عن بدو صحراء مصر ـ نقرا ما يلي : «يمشون حفاة الاقدام ـ ولكنهم فى مناسبات اخرى يلبسون النعال ـ المصنوعة من جاود الجمال الفجة ـ وهم يربطونها بشراكين يمر الاول منهما على وسط القدم ـ والآخر بين الابهام والسبابة من القدم . وقد اشتريت فردتين من هذه النعال فى السويس من غلام عربي صادفته محتذيا من شاكلتها ـ ولكنها كانت ترد من الحجاز وكانت مزركشة زركشة تفوق زركشة النعال العادية » . ويخبرنا بركهارت (اسفار فى البلاد العربية ـ ج 1 ـ ص 336) ان رجال مكة يلبسون « نعالا بدلا من الاحذية. وافخر النعال تلك الواردة من اليمن ـ حيث يبدو ازدهار كل الصناعات الجلدية » .

ويظهر ان نعل الرسول (ص) او خفه (صندله) كان من انفس المخلفات المباركة . فنحن نقرا فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ـ ص 51 و 52) : « ومما حكاه ابو المظفر ايضا ـ قال « كنت عنده بخلاط . فقدم النظام بن ابي الحديد ومعه نعل النبي (ص) . فاخبرته بقدومه . فاذن بحضوره . فلما جاءه ومعه النعل قام ونزل من الايوان واخذ النعل فقبله ووضعه على عينيه وبكى . وخلع على النظام واعطاه نفقة واجرى عليه جراية وقال : « يكون فى الصحبة نتبرك به » . ثم عزم على اخذ قطعة من النعل تكون عنده . قال بعد ذلك : « لما عزمت على ذلك بت متفكرا وقات : « ان فعلت هذا فعل غيري مثله فيتسلسل الحال ويؤدي الى استئصاله . فرجعت عن هذا الخاطر وتركته لله . وقات : « من ترك

شيئا له عوضه الله خيرا منه » . ثم اقام النظـام عندهم شهورا ومرض واوصى لي بالنعـل . ومات واخذته باسره . ولما اشترى دار قايماز النجمي وجعلها دار حديث ترك النعل فيها ونقل اليها الكتب الثمينة واوقف عليها الاوقاف » .

وفى عام 711 نجد نعل الرسول (ص) فى دمشق ـــ ذلك لاننا نقرأ فى مجلد آخر من تاريخ النويـري (مخ 2 ـــ ص 57) : « اخرج الخطيب جمال الدين القزويني المصحـف الكريم العثمانـي ونعـل النبـي (ص) » . وبعد ذلك (ص 57) : « وسقط المصحف الكريم والنعل المكرم النبوي الى الارض والصناجق ثم رفعت واعيدت الى البلد » . (وقد حدث ما توقعه الملك الاشرف وخافه ـــ فان نعل الرسول (ص) اصابه ما أصاب المخلفات المباركة الاخرى : « فقد شملـه التقسيم » .

ونحن واجدون فى تاريـخ مصـر لابن ايـاس (مخ 367 ـــ ص 429) ان قطعة من نعل الرسـول (ص) كانت بحوزة احد قضاة مصر عام 843 .

ويظهر ان العرب القدامى قد استعملـوا هذا المثل « هي النعل زلت بي » . راجع فيـرس (ابن خاقان عن ابن زيدون ـــ ص 28 ـــ وتعليق العالـم الناشر ـــ ص 96) .

ويقول المصريون فى ايامنا هذه : « تاخذ من الحافي نعله » اي تدمره كليا (بركهارت ـــ الامثـال العربية ـــ ص 162) (70) .

النـقـــاب

اننا حتى هذه اللحظة لم نقع على اية كلمة تصلح لتعيين خمار المراة ، الذى كان يحدث فيه نقبان فى موضع العينين . على ان خمارا او برقعا او حجابا او نقابا من هذا النوع لابد ان يكون معروف الاستعمال سابقا ، وذلك لان الرحالين قد تناولوه فى كتبهم . وعلى هذا فان فعل نقب فى اللغة العربية و (بوشي) فى اللغة العبرية يعني كل منهما Perforavit فى اللغة اللاتينية . فمن الطبيعـي كـل الطبيعـي ، والحالة هذه ، ان تستطيع كلمة نقاب التعبير عن هذه الكلمات : « Velum cui sunt foramina »

والواقع أن ابن جني يؤكد الامر بصورة قاطعة ، فى قوله (شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 220): «النقاب ان تعمد المراة الى برقع فتنقب منه موضع العين» . ونحن نقرأ فى قصة رحلة فان خيستلا ، ص 23) : « ان نساء الريف يضعن امام وجوههن شقة قماش لها ثقبان تستطيع ان تنظر منهما » . ويقول بلون كذلك فى كتابه (ملاحظات ، ص 233) : ان مظهر القرويات الاعرابيات والمصريات هو نقاب من اقبح ما وجد من انقبة : ذلك لانهن يضعن على عيونهن حجابا من تيل القطن الاسود او من لون آخر يتدلى على وجوههن حتى الاذقان ، فكأنه كمامة آتيـة من الطبقة العليا او كانه عثنون صغيـر ، ولكـي تـرى النساء طريقهن من خلال هذا الحاجز المنســوج ، يحدثن نقبين فى موضع العينين ، بحيث انهن فى هذه اللبسة المضحكة يشبهن اولئك الذين يتصارعون يوم الجمعة المقدس فى روما او فى مدينـة افنيـون (عاصمة البابا القديمة فى فرنسا) . (مقارنة مع بيترو دو لا فاله ، الرحلة ، ج 1 ، ص 330 . ويقول الامير رادزيفيل (زيارة اورشليم ، ص 187) فى معرض حديثه عن بنات الريف : « ينحصر نقابهـن فى قطعة من تيل القطن مفتوح فيه نقبان فى موضع العينين (Foraminibus pro oculis excisis) والريح ترفع بسهولة هذا النقاب ، فلا تبقى هنـاك صعوبة تحول دون رؤية وجوههـن » . ونقـرأ فى الكتاب المعنون (قصة رحلة فى مطلع عام 1610 ، ص 209) : ان نساء الريف يسترن وجوههن بقطع من البز ، قريب منظرها من منظر Beastly clouts ولهذه الخمور نقوب اما العيون « .

« Se couvrent le visage de pièces d'étoffes, horribles à voir »

وفى قصة كوبان ، درع أوروبا ، ص 219 : « تتبرقع بنات الموسرين بانقبة حريرية حمـراء واما بنات الفقراء فلا يتبرقعن الا بالتيل الابيض او الازرق، وهذان النوعان من الخرق لهما فتحات صغيرة امام العيون لتستطيع الاناث المتبرقعات بها ان يمشين فى طريقهن » .

وهذا النوع من النقاب كانت ترتـديه نسـاء البدو فى مصر ايضا . فنحن واجـدوه فى قصـة هيلفريتش (تقرير واقعي موجز للرحلات ، ص 387):

---

(70) لا تعني كلمة حاف حافي القدمين فحسب ـــ بلْ معنى الحفاء اي الوجى ـــ وهو وجع القدمين من كثرة المشي .

« انهن يبرقعن وجوههن بقطعة من القماش المفتوح فيها ثقبان ، ليستطعن رؤية مواقع اقدامهن » . ويقول روجيه في كتابه « الارض المقدسة ، ص 208) في معرض حديثه عن نساء البدو في سورية : « يضعن على وجوههن قطعة من قماش مثقوبة في موضع العينين » . ويخبرنا الرحالة الاندلسي ابن جبير ان النساء الصقليات : (انتقبن بالنقب الملونة) وكان المرابطون يضعون النقاب فوق اللثام ، بحيث لا يستطيع الناظر اليهم ان يرى منهم الا محاجر عيونهم . ويبدو ان هذا النقاب لديهم كان عصابة Bandeau (انظر البكري، في ملاحظات ومقتبسات، ج 12 ، ص 633 ، كاترمير — العلامة المترجم .

النقبة

النقبة شبه سروال المرأة او تبانها ، وهي مزودة بمجرى لامرار القيطان فيه ، وهذا اللباس ليس له هيئة التبان ولا تغطى به الافخاذ . (راجع التبريزي ، شرح الحماسة ، ص 682 — لدي فريتاك) . ويذهب الزمخشري :
(Lexicon Arab. Pers ; part. I, pag. 62)
مقدمة الادب ، الى أن هذه الكلمة تعني منطقة (ميان بند) .

النقية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

يقرر بركهارت « ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 29) « ان النساء لدى البدو يغطين نصف الوجه بخمار ملون لونا غامقا ، يدعى نقية Nekye ، وهو يشد بصورة يغطي معها الذقن والفم » .

النمرة

لابد ان هذه الكلمة تشير الى شبه برد ، ذلك لاننا نقرأ في الباب المعنون : باب البرود والحبرة والشملة ، للبخاري (الصحيح ، ج 2 ، مخ 366 ، ص 168) الحديث التالي : قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة من امتي زمرة هي سبعون الفا تضيء وجوههم اضاءة القمر » . فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع نمرة عليه . فقال : « ادع الله لي يا رسول الله ان يجعلني منهم » . فقال : اللهم اجعله منهم » . ثم قام رجل من الانصار . فقال : « يا رسول الله : « ادع الله ان يجعلني منهم » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سبقك عكاشة !!» .

النيرة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقص علينا ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياتكوس ، ص 225) انه لدى وقوعه اسيرا بأيدي كفرة الهند ، غدا مدينا بحريته لشاب هندي . ويضيف قائلا : « فاخذت الجبة التي كانت علي واعطيتها اياه واعطاني منيرة بالية عنده واراني الطريق » . والصفة منير ، التي مؤنثها منيرة ، تعني فيما تعنيه Grossier ، ما هو غليظ ، في معرض الحديث عن جلد . لذلك ارى أن منيرة ، حين ناخذها من جهة الوصفية ، تشير الى نوع كساء غليظ .

الهدون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير في المغرب الى كساء من الصوف (دونباي ، النحو المغربي العربي ، ص 83) .

الهميان

يبدو ان هذه الكلمة لا تستعمل الا في معرض الحديث عن منطقة تتخذ لصر النقود . فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كاياتكوس ، ص 47) : وكان في وسطه هميان فيه ذهب . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط. مكناكتن ، ج 1 ، ص 267) : وجلس اخي وهو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرها في الهميان . وهناك بيت لابي بكر بن اللبانة (تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 70) يبرهن برهنة واضحة على ان كلمة هميان تعني بصورة خاصة منطقة توضع فيها النقود . فهذا الشاعر يزور مولاه القديم في سجنه ، الا وهو المعتمد ملك اشبيلية ، العاثر الجد ، فيشده لرؤيته رازحا في الاغلال ، فتطير نفسه شعاعا وينبعث بهذا البيت (البسيط) :

غلطت بين همايين عقدن لـه
وبينهـا فـاذا الانـواع اشـتـات

فالشاعر يقـارن بين همايـين الامس واغـلال اليـوم .

وربما كان هذا الهميان من الجلد .

الوسطانيــــــة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولعلها كساء يشبه التحتانية والفوقانية (راجع هاتين الكلمتين) . ويقول ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياتكوس ، ص 259) في حديثه عن سومطرة : اخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الاجناس يسمونها التحتانية من جنس الفوط .

الوشــــــاح

يذهب المعجميون العرب الى ان الوشاح هو منطقة عريضة من الجلد ، مزركش بالاحجار الكريمة تلبسه النساء . (ضع مقايسة مع تعليق دي كاياتكوس ، تاريخ السلالات المحمدية في اسبانيا ، ج 1 ، ص 409) ونحن واجدون لدى المتنبي (الديوان ، مخ 542 ، ص 82) البيت التالي (الوافر) :

ترفع ثوبها الارداف عنها
فيبقي من وشاحيها شسوعا

لفهم هذا البيت ينبغي ان نتذكر ان العرب يحبون كثيرا لدى النساء ضخامة الاعجاز . فكلمة ثوب تشير هنا الى الازار الكبير الذي ترتديه النساء في الشرق لدى شخوصهن من منازلهن . والشارح الواحدي يفسر كلمة وشاحين على هذا المنوال : يريد بالوشاحين قلادتين تتوشح بهما المراة . ترسل احداهما على جنبها الايمن والاخرى على الايسر . ولكن هذا الشرح لا يشفي غليلي .

والشعراء العرب يستعملون تعبير ذات الوشاح للاشارة الى المراة . فهناك بيت لابن حمديس الصقلي (في اخبار الملوك ، مخ 639 ، ص 168) يروى على هذه الصورة (السريع) :

قم هاتها من كف ذات الوشاح

وتذهب المعاجم العربية الى ان هذا النوع من الحزام لا تتمنطق به الا النساء . ومع ذلك فنحن نقرا للفتح بن خاقان في كتابه (تاريخ بني عباد ، ص 44) في معرض الحديث عن فتى : وقد توشح وكان الثريا وشاحه . وفي موضع آخر من قلائد العقيان ، مخ 306 ، ص 84) : ملوك لم يتوشحوا الا بالحمائل . انظر كذلك ابا الفداء (ج 2 ص 179 ـ وراجع حول الجمع اشاح الشارح في طرائف عربية لسيلفستر دي ساسي ، ج 2 ص 390 ، تع (68).

الوقايــــــة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 549) السيدارة بالوقاية تحت المقنعة والعصابة . اذن فالوقاية شبه طاقية . وفي لب الالباب (ص 275) تفسر كلمة وقاية بكلمة مقنعة .

اليـلـك

لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس .

ونحن نقرا بعد مادة الصديري في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) : «اليلك مشد Corset آخر ، او صدرية اخرى ، للمماليك ، وهو واسع ، قصير ، وله كمان في غاية الطول والفضفضة » . فهو ، دون ادنى ريب ، الصدارى Gilet القصير ذو الكمين الذى جاء على وصفه بوكوك Pocoke في كتابه : وصف الشرق (ج 1 ، ص 327 ، اللوحة 58
(Bes chrijving van het Oosten, M,

واليلك يلبسه كذلك سكان بلاد البربر في طرابلس ، ذلك لاننا نقرا في الكتاب المعنون (قصة اقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص 3)
(narrative of a ten years residence at Tripoli in Africa)

« كان الوزير الاول يرتدي يلكا ، او سترة من الاطلس القرميزي ، المطرز بالذهب من جانب الصدر ، وهذا الثوب بمثابة صدرية ، شائلة من الامام والوراء ، وهو يرتدى بادخال الراس من فتحة تقور

من الجهة العلوية » . (انظر كذلك المرجع السابق ، ص 31 ، 38) .

ويفسر الكونت دي شابرول (ص 112) اليلك، في معرض حديثه عن ازياء النساء ، بانه « ثوب يلبس فوق القميص ، وهو مفتوح من الامام ، وله كمان ضيقان » .

والوصف التالي للمؤلف لين (المصريون المحدثون ج 1 ، ص 58) فيه تفصيلات اطول واعرض ، اذ يقول : « وهم يرتدون فوق القميص والشنتيان سترة طويلة تسمى اليلك ، مصنوعة من انفس اقمشة الشنتيان . وهي تكاد تشبه قفاطين الرجال ، ولكنها تضغط الجسم والذراعين ضغطا اشد ، وكذلك فان كمي اليلك اطول ، وهو مفصل بشكل يسهل تزريره من الجهة الامامية ، من الصدر حتى الحزام ، أو الى أسفل من ذلك ، في حين ان القفطان يصلب على الصدر ، وهو كذلك مفتوح من الجانبين من الخصرين الى الاسفل وعلى العموم فان اليلك مفصل بشكل يسمح بكشف نصف الصدر ، ولكن نصف الصدر هذا مغطى بالقميص ، ومع ذلك فان كثيرا من السيدات يلبسنه اوسع في هذا الجزء من الجسم . ووفقا لهندام الساعة السائد المستحسن يجب ان يكون طوله كافيا لملامسة الارض ، بل يجب ان يكون اطول من ذلك ثلاث عقد او نيف » . قابس هذه الصور الخطية بالشكل المرسوم في كتاب لين ، ص 57 ، واللوحة 26 في مصور رحلة أوليفيه .

LE MARKETING AIDE L'ENTREPRISE A S'ADA PTER AU CHANGEMENT

CLIENT
DECIDEUR, PRESCRIPTEUR
ACHETEUR, CONTROLEUR

INTERMEDIAIRE
GROSSISTE
INSTALLATEUR
TRANSFORMATEUR

ETUDE MARKETING

PRODUIT
OFFRE
prix, barème
marque...

COMMUNICATIONS
Publicité
Promo ventes
Assistance technique
Relations Publiques
Force Vente

LOGISTIQUE
Dépôt
Stock
Livraison physique

RECHERCHE
ET DEVELOPPEMENT

PRODUCTION

Product
mix

Marketing
mix

Structure
Plans

Buts
Objectifs

Marchés
Nationaux

Concurrents

Concurrences

Marché
Européen

Réglementation
Lois

Canaux
de distri-
bution

Style
de vie
Economie

Technologie

Facteurs
maîtrisables
Marketing

Organisation
Gestion

Environnement

Facteurs
non-maîtrisables

Ça évolue

Offre :

— caractéristiques
— prix
— conditionnements
— marques
— services liés au produit

Communication :

— force de vente
— publicité